نار المجاذيب

الشاعر السوداني
محمد المهدي المجذوب

دار الجيل
بيروت

شركة المكتبة الأهلية
الخرطوم

نار المجاذيب

نار المجاذيب

الشاعرُ السّوداني
محمّد المهْدِيْ المجذُوبْ

الناشر

دار الجيل
بيروت

شركة المكتبة الأهلية
الخرطوم

١٩٨٢م ـ ١٤٠٢هـ.

الاهداء

الى الشاعر العظيم

الدكتور عبدالله الطيب

النَّارُ أوقدَها «عِيسَىٰ» وَشَارَكنىٰ ★ فيها إبنُ بَيْرَقَ أسرارِى وَأَقْدَاسىٰ

خِلِّىٰ وشَيخىٰ
وَسُلْوَانىٰ وَعافِيتي
وَمَنْ يَـدُومُ
وَوُدُّ النَّاسِ لَمْ يَدُمِ

تحيّة

الى الأخوان الأفاضل الذين أهتموا بأمر هذا الديوان

الشاعر محمد احمد محجوب
الشاعر عبد الماجد أبو حسبو
الأديب الشريف السيد عبد الله الحسن
الدكتور عبد المجيد عابدين
الشاعر منصور عبد الحميد

المفتقر الى الله
محمد المهدى المجذوب

الخرطوم
٢٨/١١/١٩٦٨

مقدمة

نار المجاذيب



رأيت طفولتى الباكرة على ضوء هـذه النار المباركة ، ونظرت إليها وسمعت حديثها ، وَعَلِمْتُ واتتشيت وغنيت •

أوقدها الحاج عيسى وُد قِنديل ، والسودان فى مُلْك العَنَج النصارى من أهليه ، فتلفتت فى ليل (دَرُّو) الساكن ، تلقى ذوائبها الذهبية على الحِيرَان ، تحلقوا حولها وعانقوا الألواح ورتلوا القرآن ، وسهر حولها الفرسان والفقهاء وأصحاب الخوارق ، يسبحون وينشدون ، سماحة بين الناس وأمنا وأريحية ، قرونا طوالا حتى الساعة •

ودفع بى أبى إلى ضوء هذه النار ، فرأيتُ وجه شيخى وسيدى ، شيخ الفقراء الورع الحافظ ، الفقيه محمد ود الطاهر •

وأبى هو الشاعر المعلم ، الحافظ العلامة الفذ العابد ، الشيخ محمد المجذوب ، بن الفقيه محمد ، بن الفقيه احمد ، بن الفقيه جلال الدين ، ابن الفقيه عبد الله النَّقَرْ ، بن طيِّبِ النِيَّة الشاذلى ، الفقيه حمد ، بن الفارس الفقيه محمد المجذوب ، بن على البَكَّاء من خشية الله ، بن حمد ضمين الدامر ، بن عبد الله المشهور برجل (دَرُّو) ، بن محمد ، بن الحاج عيسى وَدْ قنديل بن حمد بن عبد العال بن عرمان والاجماع قائم على أن شاع الدين وعبد العال ابنى عرمان أمهما من نسل البضعة الشريفة ـ وأَعُدُّ نسبى فى الجعليين من عرب السودان حتى العباس بن عبد المطلب ، والحمد لله على ذلك ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه •

وخرجتُ مع الجِيرَان إلى (الفَزْعَةِ) لنحتطب ، وفى قبضتى الصغيرة قَرَّارٌ وماءٌ من بحر النيل فى زجاجة خضراء ، وتغوص أقدامنا فى كثبان الرمال السمر ، وتتعلق أعيننا بزرقة النيل ، ورؤوس الدوم والنخيل ، ونريح طفولتنا فى السدر الظليل ، ونعود إلى النار بالعُشَرِ والسَّلَمِ وتطعمنا النار ، مغربَ كل أربعاء ، كَرَامةً من بليلةِ اللوبياء المبارك ، وعيش الريف الحلال .

ومن ليل الدامر الساكن الهامس بالنجوم

ومن مدائح الولى الكامل جليس الرسول محمد المجذوب ، ووَجْدِهِ الصادح فى ضوء النار الساهر .

ومن فرحى الغامر بصحبتى لقسيم الصبا والأحلام والشباب ، الشاعر الفذ الفنان ، عمي وأخي وسيدي أبى البركات عبد الله بن سيدى الوالد ، الشاعر الحافظ المعلم ، الشيخ الطيب ، عليه رحمة الله ورضوانه .

ومن لالاء نُوَّار اللُّوبياء ، فى جُرف السيدة (صَافِي النيَّةِ) رضوان الله عليها ورحمته ، ومن رقتها وحنانها العميق ،

ومن سِيَر التاريخ الحافل بالمآثر أَخْذاً عن جدتى الحافظة ، المعلمة الذاكرة ، السيدة الحاجة مريم بنت الولى الصالح الحاج عطوه المغربى الخفاجى ، والسيدة البرة الكريمة ، أم الأضياف البرة الوهابة ، بنت وهب بنت النقر ، رضوان الله عليهما ورحمته وبركاته ،

ومن طبول المُقَدَّم القادرى ، تلميذ الشيخ الجعلى ، (دياب)، رضوان الله عليه . ومن الصدق الذى علمنيه والداى العاطفان ..

من كل ماذكرت ، فى محبة ووفاء وعرفان ، انعقد جوهر هذا الشعر .

سادتى القراء

معاذ الله أن أفخر وأنا من تراب ...

ولقد علم العلام أننى ما أردت ، بالذى ذكرت ، إلا إقرارا بعجزى وشكرى .

وانتقلت بعد الخلوة القرآنية فى (الدَّامَرْ) إلى مدارس الحكومة فى الخرطوم ، حتى تخرجت من كلية غردون ولم ألق بالا بوعى كامل إلى هذه المدارس ، ولم أمنع نفسى من شرورها وقشورها ، ومازلت أعانى من أمورها .

وجدت عند أبى قراءة حافلة ودرسا متصلا ، ثم اخترت ... ولقد أفدت كثيرا من مخالطة الناس خصوصا المساكين فلديهم صدق أخاذ نفعنى وشفانى .

أعمل حاسبا فى حكومة السودان ، وقد تنقلت فى بلادي،بحكم وظيفتى، من أقصى الشرق إلى أقصى الجنوب إلى اقصى الغرب مع نشأتى فى الشمال .

ولقد سمعت ورأيت وجربت كثيرا ، حزنا وسرورا ، وكنت أصنع هذا الشعر على أحوال مختلفات ...

ولقد علمت بعد المعالجة والتجربة أن الشعر أصعب الفنون ، ولم تؤهلنى طاقتى إلى بلوغ الغاية فيه ... وقد آذانى الشعر .. فقد رسخ فى أذهان الناس هنا أن الشاعر من كوكب آخر ... فهو لا يأكل الطعام ولا يسعى فى الأسواق .

وأذكر أول التحاقى بالوظيفة ، أن رئيسى فى الديوان ، رآنى أختلس النظر إلى ديوان العقاد ، وكنت خبأته فى أحد ادراجى .

وأصلح الرجل الطيب شاربه الملكى ، وامتلأ بوظيفته ، ونظر وعبس وبسر ، وقال فى إشفاق واستخفاف : شعر ؟ يابنى الشعر مايِسنقِيش مَيّه ـ وأعترف هنا أننى لم أنتفع بنصيحة قط ، وما انتهت نفسى عن غيها ، وليس لها منى زاجر .

وتذكرت نصح الرجل الطيب .. فقد حسبنى مداحا .. وهو قد فطن إلى ضعف الشاعر فى هذا الزمان ، وأكثر القوم فى الشرق العربى ينظرون إلى شخصه لا عمله .

ولقد كان الشاعر فى السودان مذبوحا .. دمه من المُشهِّيات ومما اتُّفِق عليه — ولا نعرف فظاعة القسوة التى فيه ، أن الألم يعين على الأبداع ، ولا يقول هذا من يعرف القلوب ، فالألم إذا جاوز الطاقة — مثل الفقر — يفحم ويقتل المواهب ويعمى البصيرة والبصر .

ولقد علمت أن الشعر كسائر الفنون لايُشْرك به ... ولم أتمكن من الجمع بين الواقع الذى أعيش فيه والشعر ، ثم غلب على ابتغاء الأجر فى طلب العيش ، فأعطيت وظيفتى ، وهى حق لا ريب فيه كل وقتى وتفكيرى وطاقتى (وأسلم فى هذا الموضع ، بكل احترام ، على من بيدهم أمر العلاوات والترقيات من رؤسائى فى خدمة الدولة)

انا أحب الفرح — متفائل بطبعى ، لأننى أحب الخير لنفسى وللناس ، وبهذا تعتدل الحياة ، ولكن الله جلت حكمته ابتلانى وأعاننى ، وله الحمد ، فاحتملت ، وأعيانى حبى للصفاء فاعتزلت ، وأحاسب نفسى ، وأتهم صدقى وأتعب وأوسوس واتشاءم ، وعلمت — غير نادم — أن التطرف فى الحب والولاء لايؤذى إلا صاحبه ، والنفوس شِحاح ، والأنصاف على الصفاء هو الأكسير — والأكسير خرافه — وشجرة الأكسير كانت على الذروة من جبل كسلا — وليس غيرها فى الدنيا ، قيل صعد إليها رجل فاقتلعها .. أين الرجل ؟ ولكننى لن أسام من طلب الخير لنفسى ولغيرى .. وأومن بالقضاء والقدر ، وهذا باب طويل .

ليس لى مذهب شعرى ، فقد حاولت التعبير عن نفسى بصدق ، ولم التفت إلى مذهب نقدى ، ولم أجعل اللغة غاية ، وأخشاها ، وأشتهى الخروج على قوانينها الصارمة ، ولا أعرف تقطيع البيت على التفاعيل ، ومازلت أتعجب ممن يطيق هذا التركيب وأشهد له بالبراعة .

هذا ، وما كنت أعد نفسى فى الشعراء ، فقد اشتهيت أن أكون رساما ولم أفلح .

مشايخى فى الشعر ؟

لا أول لهم ولا آخر ، من العرب والعجم الفصحاء ، قدامى ومحدثين رجالا ونساء ... وأنا لهم مدين .

أنا إنسان حسن الحظ جدا،فقد كتب الله لى سعادة حين عطف عليَّ قلوب أفراد من النساء والرجال ، داخل السودان وخارجه ، تولونى بالتشجيع وأذاعوا ما استجادوا من هذا الشعر ،

ولما كنت أجد سرورا فى الاعتراف بالفضل ، فقد كنت أحب أن أزين هذا الديوان بذكر أسماء هؤلاء الأحباب ، وترديد أسمائهم يعدل عندى رنين قصيدة .

والعاطفون علي يعرفون شكرى ووفائى وسعادتى بشكرهم وذكرهم ، وقلوبهم تحدثهم عنى ، وكنت أحب لو نشرت أسماءهم ولكنها ديوان" وحده.

وبعد أيها القارىء الكريم ...

هذا شعرى بين يديك ، وأرجو أن ينفعنى صدقى لديك ، وأحب أن نلتقى فى ديوان آخر ولك شكرى .

محمد المهدي المجذوب

الى روز ماري

مُونـالِيزَا

الخرطوم ٦ ر ٨ ر ١٩٦٠



أَتُـرَى تَسْـمَعِين ! إِنِّـىَ أَدْعُـوكِ وأَدْعُـوكِ فى دُجَاىَ الطَّـوِيلِ
أَتُـرى تَسْـمَعِينَ ! قَلْـبىَ فى الليـل يُنَـادى نـداءَ طِفْـلٍ عَليـلِ
أَنْتِ خَيَّـلْتِ لى بأَنَّـكِ تَـدْرِينَ فَمَـنْ لِى بِلَمْحَةٍ مِنْ دَلِيـلِ
نَظْـرَةٌ حـينَ خَالَـطَتْ قَلْـبِىَ المَحْـزُونَ ضَاعَتْ وراءَ هُدْبٍ ظَلِيـلِ

* * *

أَسَـأَلُ الضَّارِبَاتِ بالـوَدَع المُـنْبِى وأَطْـوِى تَمِيمَـةً لِلْقَبُـولِ
ثُـمَّ أَرْتَـدُّ يَائِسـاً أَكْبُـحُ الشَّـوْقَ عصَانِى وَلَيْسَ لِى مِـنْ حَـوِيلِ
وأَكَلْـتُ العُـروقَ لَيْـلاً .. لَقَـدْ جَـرَّبْتُ فى(الدَّيْرَ بِـىِّ) كُلَّ سَـبِيل
وتَحَـوَّيْتُ بِابْنِ سِـيرينَ كَـىْ يَصْنَـع حُلْـمِى وأَشْتَفِى مِنْ غَلِيـلِى

* * *

أَنَـا أَهْـوَاكِ لِى ذِمَـامٌ وهَـلْ يُغْنِى ذِمَـامِى وَلِى غَـرَامٌ يَحِـنُّ
لَـمْ أَزُرْهَـا لِأَنَّ عَيْنِىَ لاَ تُـؤْمَـنُ كَأْسٌ بِهَـا تَـرِفٌ وَدَنُّ

* * *

هِـيَ أَمْـنٌ وَكَـمْ أَتُـوقُ إلى أَمْـنٍ وضَعْـفٌ يُثِـيرُنِـى واقْتِـدَارُ
هِـيَ كالْبَحْـرِ لَيْسَ يُـؤْمَـنُ مِنْهَـا ، جَانِبٌ فِيه عَاصِفٌ وقِفَـارُ ،
وَجِبَـالٌ مِـنْ حَيْثُ لايُـدْرِكُ الظَّـنُّ تَهَـاوَى ومَـاحَـواهـا قَـرَارُ

* * *

حُبُّهَـا مُقْمِـرٌ فَلَيْسَ يَضِلُّ اللَّيْـلُ فيـهِ ولاَ يَغِيبُ النَّهَـارُ
هِـيَ كَأْسٌ فى ظِلِّهـا ضَحِـكُ الأَنْـوَارِ خِـدْرٌ يَذُوبُ فِيه السُّرارُ
مِـلْءُ عَـينى فَكَيْفَ أَعْجَـزَ أَشْـوَاقِيَ لَـوْنٌ يَشِـفُّ عَنْـهُ الإِزَارُ

* * *

إنَّ حُـبِّى أُسِـرُّهُ فَهْيَ سِـرٌّ ، وَحَنِـينٌ بِـلاَ مِهَـادٍ وَظَـنٌّ
زَهْـرَةٌ فى جُنُـوبِهَـا العَسَـلُ الخَفَّـاقُ رَوْضٌ بقَطْـرَةٍ مُسْتَكِـنٌّ
حُبُّهَـا الرُّوحُ مِـلْءُ رُوحِـيِ عَلَى قُـرْبِيَ مِنْهَـا وَقُـرْبِهَا كَـمْ تَضِنُّ
أَنْتِ حُـبِّى فَمَـا ينـالُـكِ شِـعْـرٌ ، نَـالَ مِنِّـى ولا يَنَـالُكِ فَـنٌّ
نَفَسِـى عَبَّ فِيـهِ مِـنْ دَمِـى المَخْـرُورِ نَفْـحٌ أَشَـمُّهُ وَأُجَـنُّ

* * *

فِى حَشَـاىَ المَشُـوقِ سُـحْبٌ ولا تَهْمِي بأَرْضٍ تَخَـافُ لَمْـعَ البُرُوق
جَنَّـةٌ حُلْـوَةُ الثِّمَـارِ بِهـا الغُدْرَانُ تَغْـنَى عَـنِ السَّحَابِ الدَّفُـوق
يَشْـتَهِى قَطْـرَةً مِـنَ العَسَـلِ المَخْبُـوءِ نَحْـلٌ مُثُـوَّرٌ فِى عُـرُوقِى
وحَشَـاىَ المَشُـوقُ سُـحْبٌ مِـنَ الرِّيـح بِهَـا الشَّـوْقُ صَرْخَةٌ مِنْ غَرِيقِ

انطلاق

واو – أبريل ١٩٥٤



لَزِيمٌ (الجُورِ) مِنْ أَسفِي لزيمُ ... ومن ندمى ، خَشعتُ له ، غَرِيمُ

وقلبىَ – كَم رثيتُ له – غَرِيرٌ ... كَسِيرٌ فى جوانحه كَظِيمُ

ومَالِي عَنْ تَغَرُّبِهِ محَيصٌ ... إذا لم يكفنى وطنٌ كريم

وما وطنى ! أَضعت له شبابى ... براجعه ولاهُوَ بى عَليمُ

لَقًى بينَ المَفاجع والمآسِى ... تَخَيَّلَ أنَّ قاتله رَحِيمُ

تَفِيضُ به الغُيوثُ على صُخُورٍ ... عقيماتٍ يُعاقِرُها السَّمُومُ



أَمِنْ (بَرْغُوثَ) أَعجلنى قضائى ... إلى (بحرِ الغزالِ) ! فَمَا نَرُومُ ؟

وكَمْ علمٍ تطيرُ به الأمانى ... تهوَّر تحتَه بَطَلٌ هَزِيمُ

ولِى أَجْرٌ أُطارِدُهُ فَيَنْأَى ... مَطُولٌ – كَمْ يُسخِّرنى – لئيمُ

ولو كنْتُ الاجيرَ لدى المآسِى ... لجَازَتْنى ولى أَجْرٌ عظيمُ

وسانَدنِى على البَلْوى رَجَاءٌ ... تحيَّرُ من طُفُولَتِه الغُمُومُ

يَجُوزُ بى الحياةَ أَسًى ودَمْعاً ... ويَجْهل أنَّنِى أَسِفٌ مُلِيمُ

وَحيَّرنى ابنُ آدم وهو يَسْعى ... وفى مسعاهُ مرتَعُه الوخِيمُ

تعدَّدتِ المكاسبُ والمسَاعِي ... وما أرْضَى سوائمَه المُسِيمُ
وتحتالُ العقولُ فلَيْتَ شِعْرِيَ ... مَتَى عَقَلتْ وحيلتُها عَقِيمُ
وحيَّرني (الكُجُورُ) له ادِّعاءٌ ... كما يُدْلي بحجته العليم
هما عندي – وكم جَهِدا – سواءٌ ... وقد أعياهما القدرُ البهيمُ
وفي سمعي الأذان له انطلاق ... وللشيطان عارضَهُ رَزِيمُ
وللنَّاقوس أنْفاسٌ طِوالٌ ... تَخَشَّعَ تحتها زِنْجٌ ورومُ
يَرَوْنَ على الصَّليبِ دماً صبيباً ... وربًّا في كنيستهم يُقيمُ
وما يَفْدِي ابنُ مريم ! كلُّ نَفْسٍ ... تخيَّرهَا بطينتها سَدُومُ
وما جدوى الحضارةِ في أُناس ... يُضِلُّ رشادَهم خبلٌ قديمُ
يحيلون القلوبَ إلى نُقُود ... مُعَلَّمَةٍ يقدِّرُها زَنيمُ
تعالى الله مشرعه مُشَاعٌ ... ولكن في طبائعنا تُخُومُ
وأمسى العيشُ مَتْربَةً ورِقًّا ... يُحَثُّ عن الحُجورِ له الفطيمُ
ولم ننعم بغير أسى نماه ... طباعُ الناس والطمع الأثيم
أما في العالمين هوى تقيٌّ ... أما في الكائنات نُهًى حكيمُ
سئمتُ ولو قدرت خلَعْتُ نفسي ... وفارقني تقلُّبها السَّئُومُ
فهاتِ ليَ الشَّرابَ فما حياتي ... تضيعُ به ولا وطري عَدِيمُ
عُقَارٌ في اللَّهاةِ لها شَرَارٌ ... على شَغَفٍ تمزَّزَهُ النَّديمُ
لدى (المُقْطَاع) أمنحُه زمانًا ... زَمِيعًا في مسرتنا يُقيمُ
وأُلصِقُ بالنهودِ يدي.. وعيني ... على أردافه القُصوى تحومُ

يذوقُ الخمر جاذبَها عبُوسٌ على فمِه يزومُ لها تَزوْم
وروَّضها فضوَّأتِ الحنايا بَهارتُهَا وفَاحَ لها شَميمُ
ولاحت فى العيون وميضَ شوق بهيمٍ فى جوانحنا يَهيمُ
وغيّبنا بها ظِل خَبِيءٌ أضاءتْ فى عرائشه الكروم
وأحلام يجود بها غِزارا منَامٌ خلف يقظتنا عَميمُ
ونسيانٌ يطوف على المآسِي فتضحكُ فى دياجرها الكلُومُ
وما عقلى سِوى حسِّى بصيراً بلذاتٍ مواكِنُها الجُسومُ
نَذُوقُ بها الحياةَ وسوف نَبْلَىٰ ويُشْكِر غَيْرَنا الحانُ القديم

* * *

ويوم (التُّنْجِ) حيانى خيالٌ غَريبٌ ليس يعرفُنى حميمُ
تَعرَّى ليس تُحرجه عيونٌ طليقا فى شبيبته يحوم
تخطَّر فى محاسنه بريئا يُنسِّى العار منظرَهُ الوسيمُ
ألَذُّ به وفى أُذنى أرنَّتْ جَلاجِله لها مرحٌ رخيم
بها يدعو كما تدعو فراشا أزاهرُ صبغها حضن رَؤوم
تَصيَّحُ فوق أردافٍ ثِقال يُسَائِلُ رجعَها كشح هضيم

* * *

عناءٌ يافُؤادِ وما عنائى سوى الحُسْنِ المُريح به تهيمُ
تركتُ له المشاعرَ حاسراتٍ وفيها من تَشَوُّفها سُهُوم
فعانقَ فى ضمائرها صفاءً كَنفْحِ العطر عانقه النَّسيمُ

فياليلَ الجنوب وأنتَ حانٌ ... خرائدهُ اللذائذُ لا النُّجومُ
نَسيتُ بكَ العواصمَ قاسياتٍ ... وفى حاناتها زَخَمٌ وبُومُ
أناسٌ فى الثياب لهم رِياءٌ ... وكلٌّ فى صغائِرها (زَعِيمْ)
فليتَ الناسَ قد لبسوا قلوباً ... كأعينهم تَنِمُّ بما تروُم
فباتَ الناس أطفالا وراحوا ... ولم يُحرجْ تطلُّعَهم كَتُومُ
وأرضانى الجنوب فما أبالى ... بمن يصم العُراةَ ومن يلوم
هُمُ عَشِقُوا الحياةَ فعاشَرَتْهم ... كما تبغى المشاعرُ لا الحلومُ
فليْتِيَ فى الزُّنوج ولى رَبَابٌ ... تَميلُ به خُطَاىَ وتَسْتَقِيمُ
أُجمِّشُه فيُجْفِلُ وهو يشْكو ... كما يَشْكو من الحُمَةِ السَّلِيمُ
وفى حَقْوَىَّ من خَرَزٍ حِزامٌ ... وفى صُدْغَىَّ من وَدَعٍ نَظِيمُ
وأجترعُ المريسةَ فى الحَوانِى ... وأَهْذِرُ لا أُلامُ ولا أَلُومُ
طليقٌ لا تُقيِّدُنى قريشٌ ... بأحسابِ الكرام ولا تميمُ
وأُصْرَعُ فى الطريقِ وفى عيونى ... ضبابُ السُّكْرِ والطَّرَبُ الغَشُومُ
ولى شَرَفٌ .. وما جَدْوى صِيَاحِى ... بِمَفْخَرٍ ليس يَشْرَبُه النديم
وشرٌّ الناس فى الدنيا نصيحٌ ... دفينٌ فى مخاوِفِه رَمِيمُ
وحذَّرنى ولكنى أراهُ ... بآلٍ من توهُّمِه يَعُومُ



وجاشَ الفجرُ فى كُوبِ الليالى ... وحيَّانى تَطلُّعَه القَسِيمُ
به شرب الظلامُ وكم سقَاهُ ... فأنعشه فغادره الوجوم

وأبصرَ فالحياةُ على يديه ... مُلَوَّنةٌ مصائرُها تحومُ
وعدتُ إلى رحايَ مُثَقَّلاتٍ ... يدورُ بها معى أمل مَضِيمُ
سأسلو يوم تخطفنى المنايا ... وليس يَردُّها أنى دميم
ولستُ أجوزها أبدا وغيرى ... بخال وما بحفرته كليم
وما الفردوس غير هوى مطاع ... وفى عصيان شهوتى الجحيم
فمن ذا يبلغ الاشياخَ عنى ... بأنى فى مسابحهم أثيم
أقامونى على التقوى صبيًّا ... أباح سماءه طَبْعٌ رجيمُ
تركتُ القيد عند أبى لغيرى ... وقيَّدنى التجاربُ والهموم
وقربنى الحنين إلى صحابى ... وبين وجُوهنا الحَلَكُ البهيمُ
وراءَ (الجُور) أرمقهم وعينى ... لديهم فى مرابعهم تحوم
وسمَّيْتُ الكؤوسَ بهم فراقت ... وضاعت فى بشاشتها الغُمومُ

* * *

وأرْتضِعُ السجارةَ وهى أنثى ... تأوَّهُ فى يَدَىَّ وتستَنِيمُ
بقيةُ نجمةٍ قُصْوى أراهَا ... حِيالِىَ والرَّمَادُ لها غُيومُ
وأنْفُضُهَا لأُوقِظَهَا فتكْرَى ... كما يَكْرَى من التعبِ السَّقيمُ
ولا ألقى بها إلا هباءً ... أَبَرٌّ بها من القَدَمِ النسيمُ

سَهُم

رأيت جنود الاحتلال يجوسون شوارع بورتسودان

بورتسودان ١١ يناير ١٩٥٣



حُرُماتٌ عتيقُها مُسْتباحُ ، لا أُنوفٌ حميَّةٌ لا جِمَاحُ
وطنى ماتَ نصفَ قَرْنٍ وأعداءُ بلادي من التِّراتِ استراحُوا
وطنى ضاعَ فى القيودِ فلو أُطلِقَ لَمْ تبقَ خُطْوَةٌ أَوسَراحُ
ويحَ طير يَشُبُّ فى القفص القهَّارِ .. قَيْدٌ شَكِيرُهُ والجَنَاحُ
خلبَ الأُفقِ ريشَه وهولو طار عليه تخطَّفته الرياحُ
شبحٌ مطرقٌ .. بِلَهْوَتِه التَّغْرِيدُ سلوى حزينةٌ أَونَواحُ
نبتةٌ فى القيودِ أورَاقُها الصُّفْرُ وَدَاعٌ مُضَيَّعٌ وانتِزَاحُ
قد يُمنِّى السجينَ سِجْنٌ فلو نَدَّ نَجِيًّا لأَيأَسَتْهُ البِطَاحُ
نورُ عينيه ليس يَهْدِى وإن لم تَهْدِ عيْنٌ فكلُّ نُورٍ مَطَاحُ

* * *

كـرَرِي .. لو بكتْ عيـونىَ بالنِّيلـين لم تَرْوَ غُلَّـةٌ والْتِياحُ
حَـل من بعـدِك الهـوانُ وسـاغَ المرُّ واسترفَـدَ السَّمومَ إلأقاحُ
كـررى لِمْ بقيتُ بعـدك فى السُّـودان. فى الذُّلّ عُجْمُهُ والفِصاحُ

* * *

بيننا أحمـرُ تَقَطَّـرُ كفـاهُ بِسُـم لنـا عليـه ارْتِيَـاحُ
تَزْحَـمُ (البيبةُ) الخَبيثةُ شِـدْقيـه كما تَزْحَـمُ الجُعُورَ الفِقَاحُ
كاهـنٌ يمسـخُ العقـولَ فمن والاه فالخيـرُ كَسْـبُهُ والصَّلاحُ
عنـده العـدل أن نَغُضَّ على الهُـون وأن تكـتم الدمـاءَ الجِرَاحُ
كَرِرى .. أين معشـرى دفعـوا الضيم فماتُوا فما عليهم جُنَاحُ
أين .. يلقى العـدا خليفتُك المقتـول نارُ الوغى عليهِ وِشَاحُ
ذَهِـلَ المـوتُ حينما افْتَرشَ الفـرْوَ ونامتْ بجانبيهِ الصِّفَاحُ
أين اجـدادىَ العـدولُ واشـياخي والدينُ بعـدَهم والسَّمَاحُ

* * *

وطنى هـل نسيتَ والنيلُ يسـقيكَ أم النيل صَرْعَـةٌ وانْصِيَاحُ
من خَـؤُونٌ وشمَت كَفَّيـهِ بالعهـد فولَّى وفى يديـه القِدَاحُ
وكفورٍ بـه استَغْنتَ يُداجيـكَ ومَسْـعَـاه مأْثَمٌ واجْـتِرَاحُ
شَـبِقٌ يشْـتَهِى تدافـعَ كالتيسِ وما فيـه صَوْلَـةٌ أوْ نِطـاح
رمقتـه الحقـوقُ ثَكْلى كما ينظـر نسرٌ يهيض منه الكُساح
صورٌ تبخس العقـول فللعاقل هَـدْىٌ بزيفهـا وانتصَاحُ

كذبَ الظلم فالعـــدالةُ شَــرْعٌ أبـدِىٌّ ومـن يَدَيْهِ الصبَّاحُ
رَضِيَتْ كُلُّ وردةٍ فلهـا ثـوبٌ نـدِىٌّ مُعَطَّــرٌ وانقـدَاحُ
ونُجـومُ السماءِ والبحــرُ للعــــدلِ خفُوق بِخفقِهَا وارْتِيَاحُ
كُلُّ شَـىءٍ على نِظَـام فـأنْ شَــذَّ فَظُلْمٌ وكلُّ ظُلْم سِفَاحُ
وغُثَـاءُ الفَسَـــادِ ما نَفَتِ الأرْضُ وَدَعَّـتْ إلى النُّفُودِ الرِّيَاحُ

* * *

إن انجلتــرى تَمُنُّ .. وما أعْلَمُ جِــدٌّ مقَالها أمْ مِـــزَاحُ
أ إذَا الشَّمْسُ لَمْ تَفِضْ مَن سَمَاهــا ، فَهْىَ دَعْوَى ضياؤُها والْبَراحُ
أمَّنُــوا الأرضَ ؟.. كَيْفَ ذَلِكَ والأُسْـطُول منه الدِّماءُ ليس تُرَاحُ
سَـابِحٌ فى عُبابهـا يَمْخُــرُ الناسَ وإزْبَادُهُ الأَسَـى والنُّـوَاحُ
إن مـا تَدَّعيـهِ قـــد عَلِمَ الكـونُ ــ خَرَابٌ مُضَـرَّمٌ واجْتِيَاحُ
وعلى صدرهــا صليبٌ .. تَعالى اللهُ أنْ تَذْكُـرَ البتولَ سَجَاحُ
هَـذِه الخمــرُ فى المَعَـاصِرِ لَنْ يَرْتَـدَّ كَرْمـاً عبيرُها والنُّفَاحُ
فاسْـألوا كُلَّ دمعـة أفنتِ الصبر فـأوْدَى بَحَسْرَةٍ لاتُبَاحُ
ورياضاً عَقِمْنَ لَيْسَ لَهُنَّ المــــاءُ فالماءُ مَدْمَـعٌ مُسْـتَباحُ

* * *

وَطَـنِى هَـلْ نَسِيتَ أمْ جَمَـدَ الحِسُّ وبينَ القُبُورِ طَابَ المرَاحُ
من بَشِـيرى بِأنَّ حِمْـدكَ خَمْـرٌ ، من شُـعَاعَاتِه تُصَاغُ الرِّمَاح
نصف قــرن عليه بِتْنا وبالثَّـــارَاتِ شَـوْقٌ وللسيوف امتِيـاحُ

ضاقَ دَنٌّ السلاف وابتدرَ العطرُ فللدنِّ بالعبيرِ افتضاحُ

يَبعثُ الحامدينَ فالأمسُ ملءُ اليومِ نجوى خصومِه والصِّياحُ

والنُّجوميُّ في الجموعِ وحَمْدَانُ وعُثْمانُ خَيْلُه والكِفاحُ

ومُتُونُ السُّيوفِ ضاءتْ لِعزريلَ شموعاً فَراشُهَا الأرواحُ

ويُظلُّ النَّهارَ ما تَنْسِجُ الخَيْلُ غُبَاراً يُسَنُّ فيه السِّلاحُ

والدُّجى سائل أغَيْرِيَ دَجْنٌ، فيه يَسعى - وما يُنيب - الصَّباحُ



أينَ يَنْجُو الدَّعِيُّ من شَفَةِ المُوَّةِ فيهاَ لألْفِ هَولٍ نُباحُ

نَبَتَتْ حولَه الغمودُ وَما يَدْرِي بِأنَّ الغُمُودَ أُمٌّ وَقاحُ

صَقَلَتْ وُلْدَهَا لِيَومٍ وَجَاءَ اليَوْمُ يَسْعَى فُكُلٌّ ثَأْرٍ مُتاحُ



إحســان

إحسانُ كَمْ لَكِ من طَيْفٍ يقَاسِمُنى ... دَمْعــاً بِدَمْــعٍ وأشواقًا بــأشْــوَاقِ
فهَــلْ بِنَفْسِكِ شَئٌ من تَعَطُّفِــه ... أَمْ ذَاكَ حُبِّــىَ مِنْ ظَنِّى وإشْفَاقِى
يُزَوِّرُ الليــلُ أوهــامى ويَصْقَلُهَــا ... مِثْلَ الكواكبِ مِنْ صَفْوٍ وإشْرَاقِ
ليسَ الصباحُ بمــاحٍ فى تَدَفُّقِــه ... ما أيْنَــعَ اللَّيْــلُ مِنْ حُسْنٍ وأنْمَــاق
وَهْــمٌ رضيتُ به أهْــلاً وعَاطِفَــةً ... كالطَّوْقِ وَسْماً .. لَقَدْ أحْمَدْتُ أطواقِى

إلى محمود محمد طه

المُنتَظَر

سنة ١٩٤٦



(موسى) دُعيتَ فلاتَ حين تَوارى ... (الطور) أفصحَ عن نداءِ النارِ
(فرعونُ) ذو العرشِ المكينِ زحمتَهُ ... وطويته بعُبابَك المَوّارِ
أعمى الضياءُ عيونه فأضلَّه ... كالبرقِ يَخْطَفُ من نواظِرِ سَارِ
حَسِبَ العصَا وثبتْ إليه تَعِلَّةً ... من سَاحِرٍ لحقائقِ الأَبْصَارِ
ما الحُجَّةُ البيضاءُ يُخْجِلُ حسنَها ... خَصِمٌ يُدلُّ بزيفه ويُمَارى
النيلُ صَرَّحَ موجُه عن قُمقُم ... سَدِكٍ بِشَيْخ عَبَاقِرٍ جَبَّارِ



بالسَّفْح مِن (كَررِي) بقيةُ ثَوْرَةٍ ... حَلُمت بسيف كريهةٍ مِدْرَارِ
جَبَلٌ به أثرُ الدِّماءِ كأنَّه ... عِطْرٌ بذابلِ أَغْصُنٍ وثِمَارِ
أنبُوءةٌ فى صَخْرِهِ مكتومَةٌ ... لبثت وراءَ تجلُّدٍ وَوَقَارِ
مَكَثَتْ هُنالِكَ فالخطوبُ لهولها ... صُوَرٌ إليه ضوارعُ الأَبْصَارِ



وَطنِي عُصبيتَ ومارُعيت وخالَفتْ هَـذى الكتابِ عمائِمُ الأخْبار
الدينُ مِقْـوَدُ جَاهـلٍ أُقيـادهُ سُبُحٌ تسوخُ بخطوه فى النار
قَرعوك طَبْلَ خُصومة وتَجَفّلـوا يورونَ خَمْرَ ضغينـةٍ وشِجَارِ
ومن الصحافة فى القلوب حرائقٌ تُعْمى النهارَ فلاتَ حينَ نهارِ
وسـهرتَ هل أغنى الذين تجمعوا تحتَ الظلام تجمُّـع الأصفَـارِ
نتجاذبُ الرحمَ العتيقَ ولم يَكُنْ إلا بقيةَ رحمـةٍ وجِـوارِ
ما للمراغنة انطويتُ مكابـراً يوم الخلافِ ولا أنا أنصاري
أَهـلى على الحب العميم وليلُهم ليلى وشمسُ نهارهـم لِنَهـاري

* * *

محمودُ قم واخْرج بسيفكَ عَادِلاً عَلَمـا يؤم كتيبـةَ الأحـرارِ
وطنى استفق إنى دعوتُ ألم تُصِخْ أم أنت بينَ هَوامِـدِ الأدهَـارِ
أدمَنْتَ يأسَ القانطين أما ترى صُبحى الجديدَ على سَنَى أشعارِي
ويْحى عليكَ أخـا الضراعةِ مُقْحَماً تَنْسَى عذابَك فى لهيبِ النّار
إنَّ القيودَ وإن تطاوَلَ عَهْـدُهَـا حَبَبٌ تَفقّـعَ فى كؤوسِ عُقَارِ
حُلُمُ الصبا المحروم بعد شبيبتى أوفى ومـا هُوَ مُزعجى بسِرَارِ
كم نجمةٍ أفلت فقُمْتُ أَشيمُها فى الظنّ بين مَعَالِم الأسْـرَار
وطنى استفقْ حـانَ الوِثابُ وصيحةٌ كالصُّورِ تبعثُ هُمَّـدَ الأدْهَـار
عَقَدُوا لِوَاءكَ فى أواخـر لَيْلَـةٍ عَصفَ الصباحُ بركنها المنهـارِ
خمسونَ من عُمُـرِ الزمان تصرمت كمَداً وأنتَ على انتظار الثّارِ

هَتَفَ البشيرُ فمدَّ رجعُ هتافه ... أُفقاً أمدَّ لطيرك الثوّارِ

عَلَمٌ تضيءُ به البلادُ كأنّه ... خدٌّ يضيءُ مهفهفَ الأسْتَار

يجْلُو الدجونَ عن العيون كأنه ... بَرْقٌ يُفَتِّح قُبْلَة النُوّار



ياشاطئ النيلِ السعيدِ تحيةً ... سَيَّارةً كجمالك السيَّارِ

عـاد الربيعُ إليك بعد جَفَائه ... وأتاكَ يُضحك أعينَ الأزْهَار

بشٌّرٌ سواقيك المرِنَّةَ بالدَّجى ... يَبْكينَ بين تَجلُّدِ وإسَارِ

تُلقِي الشُجُونَ مع الجرار فتَنْقضِي ... وتضيعُ بَيْن مَجَاهِلِ التَيَّارِ

إرفعْ شِرَاعكَ فالغمَامُ حمائمٌ ... طَافَتْ بِقلْعِكَ والنُّجوم قَمَارِي

الريحُ تسقطُ عن صفَاءِ بياضِه ... وتَنِدُّ عنه فليلة الأظْفَارِ

في زُرقة الأُفق البعيدِ كأنُه ... نَغَمٌ يَرِفُّ على صدىً قيْثَار

ما حمرةُ الشَّفَقِ الحزينِ تُحيلُه ... عِنْدَ الغُروبِ صُبَابةً من نَارِ

وهو الصباحُ مُلَوَّناً بضيائه ... دُنياكَ فَهِيَ وليدةُ الأنوار

فَجرُ الشُعوبِ تَنَظَّرَته عَلى الوَنَى ... شَوْقا إليه كليلةَ الأبْصارِ

نفضوا القيودَ على الوُعُودِ وَهَللُّوا ... خَلْفَ السُّدُودِ تَهلُّلَ الأسْحَار



مهداة إلى «منسية»

كَلبٌ وَقرية

وادمدني - اغسطس ١٩٥٧



فى بيت (الفحلِ أبى السُرَّه) جِــرْوٌ ربّاهُ على الكِسْرَهْ

الله الله عـلى الكِسْــره

بيضاءُ تهيجُ لها (الحَضْرَهْ)

اللهْ اللهْ - اللهْ اللهْ

* * *

أهداهُ الجِروَ أخٌ لَبِق كَلْبتُه قد ولدت سِتَّهْ

وله بنتان وزوجتُه فى البيت أقاربُها (دَسْتَه)

* * *

والجِرْوُ يفوزُ الفَحْلُ بِه قد فارقَ أُمًّا مسكينه

لا أدرى ماذا حاق بها ولماذا تَلِدُ المجنونهْ !

دارتْ فى الحىِّ لها شَبَقٌ ... أعمى أعينها المفتونه
لازوجَ لها إلاَّ قَدَرٌ ... زَرعَ الأَشواقَ لدى العَدَمِ
أعطاها ثَدْياً تَملَؤُه ... رِيًّا للشهوةِ والأَلم
هل تدرى الحبَّ فتجعله ... عذْراً للحسْرةِ والنَّدمِ

* * *

وأهاب (الفحلُ) بزوجته ... أَمَّ السرَّهْ ! أَمَّ السُرَّه !؟
ونداءُ الفحل يذوِّبُها ... غُنْجاً تُخْفِيه فيشْتَعِلُ
وأتتْ من (دُوكَتها) تَسْعَى ... تسأَلُه : ماذا يارجُلُ ؟
وأَراها الجِروَ فحركها ... عجبا فى دهشته وجَلُ
وتصيحُ ، وتجمعُ فِرْكَتهَا ... وتميلُ عليهِ وتَعْتَدِلُ
أَبِعدْهُ كَذَا .. يانوحُ ! أَمَا ... فى بيتىَ عن كلب شُغُلُ
باللهِ بسيِّدنا الحَسَنِ ... أبعده وأَرْقِدْ لِى رُوحى
الكَلْبُ الأَسودْ ! ؟ وَاسَكْنِى ... أَتَسُوقُ الشؤْمَ إلى السُّوح
وأَشار الفحلُ يقول لها : ... أنسيتِ اللصَّ وما أَكَلاَ
تَمْرِى القُنْدِيلَةُ مُدَّخَراً ... فى الخَلْوَةِ لَمْ يُوضَعْ هَمَلاَ
وسَيُجْزَى الوَغْدُ بما فَعَلاَ

* * *

وأَفاقَ الجِروُ فَخَيَّلَهُ ... أَسَداً فى الغَابِ لَهُ زَأْرَهْ
ورماه كَمَا يَرْمِى صُرَّهْ ... أَعْمَى يَتَقَلَّبُ فى حُفْره

* * *

ورأتـــهُ دُجـاجـةُ سِتّ البيـ ـتِ ونَقَّـتْ فالرزقُ يَسِيرُ
والتَّـيْسُ رَنَـا ... في لِحْيَتِـه غَضَبٌ يَهْـتَزُّ وتَفْـكِيرُ
وأتـى الأولادُ لَهُـمْ مَـرَحٌ يَخْشَـاهُ الجِـرْوُ وتَصْفِيرُ
والبيتُ تلـفَّـتَ لِلْكِسْـرَهْ
اللهُ اللهُ عـلى الكِسْـرَهْ
اللهُ اللهُ عـلى الكِسْـرَهْ
بيـضاءُ تهيـجُ لهـا (الحَضْرَهْ)

* * *

ويُنَـادِي ولَـدٌ : يا أمَّـهْ وتَصِيحُ بِـه : يَـا مَغْضُوبُ
دَعْـنِي فالدُّوكَـةُ حَـامِيـةٌ والحَـرْفُ عَلَيْهَا مَقْـلُـوبُ
ويصيـحُ ويصـرُخ : يا أمَّـهْ باللهِ تَعَـالَيْ يـا أمَّـهْ
بِـمَ نَـدْعـو الكَلْبَ : لَقَدْ نَبَحَا
وأسَـالَ القَـرْعَـةَ والقَدَحَـا
وأبُـوهـم عـادَ من الغَابَـهْ في هَـامَتِـه لَـفُّ ثِيَـابـهْ
وعليها أقْعَـدَ أحْـطَابَـهْ
ورمـى الفَـرّارَ مـعَ الفـاسِ وأزال الحمـل عـن الـرّاسِ
وأتاهـم ينهـرُ : ما القِصَّـه فتَصَـدَّى وَلَـدٌ ذُو قُصَّـةْ :
أأبـا مـاذا أدعـو الكلبـا حتى إن صحتُ بـه لَـبَّـى
فَتَفـكَّـرَ يَفْتـل شَـارِبَـهُ وتَلفَّتَ يحـلبـه حَلْبَـا

* * *

وعيونُ الطفلِ بها ماسُ تتألقُ فيه الأنفاسُ
ويَصُرُّ أبوهم حاجبَهُ ويقولُ لَهُمْ : ذَا جَرْقَاسُ
ويصيحُ الطفلُ ، وقدْ عِلَموا ، جَرْقَاسُ الفارسُ جَرْقَاسُ
جَرْقَاسْ . ! جَرْقَاسْ . ! جَرْقَاسْ . !
ويَمُرُّ زَمَانٌ لا نَدْرِيهِ وَنَدْرِي مَاذَا فى الدَّارِ
مِنْ أخْبَارِ
قَدْ شَبَّ الطفلُ وجَرْقَاسٌ فى السُّوحِ يتيهُ بأظْفَارِ
والتيسُ يُقَلِّصُ مِشْفَرَهُ حَذَراً من صَاحِبه الضَّارِى
وأقامَ يدورُ بمربطِهِ يُنْبِى قَرْنَيْهِ بأسْرَارِ
والديكُ وراءَ الخُصِّ رأى نَمْلاً يَبْلُوهُ بِمِنْقَارِ
والحَلَّةُ شَيْطَان قَذِرٌ مُسْوَدُّ الجِلْدِ عَلَى النَّارِ

* * *

وسَعَى الأطْفَالُ إلى شيخٍ حَفِظَ القُرآنَ وَغَنَّاهُ
يَرْمِى الآياتِ فَيَلْقَفُهَا لَوْحٌ كَمْ يَحْفَظُ جَنْبَاهُ
وبجانِبِه سَوْطٌ شَرِسٌ أضْنَاهُ الحِقْدُ وأذْوَاهُ

* * *

أمَّا جَرْقَاسُ فَلَمْ يَذْهَبْ مَعَهُمْ لِلْخَلْوَةِ وارْتَاحَا
يَسْعَى يَتَشَمَّمُ أقداحَا أوْقِدْراً أصبَحَ فَوَّاحَا

عَبـــدٌ فى البيتِ ولا أجْـرُ

إلاّ الزَّجْـرُ

قَـدْ يَذْكُـرَيومَ اللَّيْلِيَّـــةْ اللـــهُ اللـــهُ اللَّيْـلِيَّـةْ !

من رِدَّة عَظْـم مَـرْمِيَّـه أَوْ مَضْغَـةِ لَحْـمٍ مَنْسِـيَّـةْ

أَوْ يَذكُـرُ نَعْجَـةَ (سَـعْدِيَّـه) لَمَّـا انْتَفَخَتْ فى البَرِّيَـةْ

أيعيشُ العُمْـرَ عَـلى الكِسْـرَةْ وإدَامِ الْويكَـةِ والخُضْـرَةْ

اللهْ اللهْ عـلى الخُضْـرَةْ اللهْ تَـزِيـدُ بِهـا القُـدْرَه

ويَعَـومُ بهـا طبقُ الكِسْـرَةْ

* * *

ويقـــومُ الليـلَ بأجمَعِـهِ غَضْبَـانَ يُهَيِّـجُـه البَـدْرُ

ودعــاَ فى المِئْـذَنَـةِ الفَجْرُ

وغَفَـــا جَـرْقَاسْ

غَفَـــا جَـرْقَاسْ

* * *

وقال سـيدُ جـرقاسٍ لزوجتِـه: أما سَمِعْتِ وراءَ اللَّيْـلِ جَرْقَـاسَـا

قد أَمَّنَ الحيَّ ..قالت: كم صحوتُ له أخَـالُ زَوْلاً .وراءَ التَّيْسِ جسَّاسَـا

وأطرقَ الفَحْلُ كَىْ يغتَالَ فى شَغَفٍ قَمْـلاً تَعَايَشَ فى ثَوْبَيْهِ أَجْنَاسَا

أَرْضَـاهُ حـارسُه الوافي وأَغْضَبَـهُ أنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمَ ذَاكَ التَّمْرِ أَحْرَاسَا

وظَلَّ يهْمِسُ فى حَـزْمٍ تَلَبَّسَـهُ ودقَّ من فخـرِه المزعومِ أَجْرَاسَـا

ياليتَ من ذَاقَ تَمْرِى يَوْمَ ضَيْعَتِـهِ قَدْ ذَاقَ مِنْ كَلْبِىَ الوَثَّابِ أَضْرَاسَا

أَلَمْ يُحَرِّشْهُ عِنْدَ الجرفِ حِينَ رَأى فَرْخاً يَدُورُ بِعَيْشِ الرِّيفِ خَنَّاسَا
وراحَ يُضْمِرُ أَحْقَاداً مُلَوَّنَةً وَزَوْجُهُ أَضْمَرَتْ خَوْفاً وَوَسْوَاسَا

* * *

وارْتفعَ الضُّحَى والكلبُ ماصَحَا

والتيسُ يَجْتَرُّ التُّرَابْ أَتُرَاهُ يَحْسَبُه كَبَابْ
ولِمِشْفَرَيْهِ تَحَرُّكٌ أَتُرَاهُ يَتْلُو فِي كِتَابْ
أَتُرَاهُ أَغْفَى ذِقْنَهُ حَتَّى يُغَرِّرَ بالذِّئَابْ

* * *

والفَرارِيجُ نَافِشَاتْ كالصَّبَايَا مُبَرْقَشَاتْ
وسِتُّ الدَّارِ تَبْصُقُ كُلَّ حِينٍ وهُنَّ إلى البُصَاقِ مُهَرْوِلَاتُ
ويَغْشَيْنَ الكنيفَ بلاحَيَاءٍ ففي أرجائه جَثَمَتْ هِبَاتُ

ومرَّ يَوْمٌ طَوِيلْ كأَنَّهُ لَا يَحُولْ
وَجَرةُ المَاءِ مَالَتْ تَغْفُو بِرُكنٍ ظَلِيلْ....
كَأَنَّهَا أَمَةُ الحَان في زَرَاقٍ ثَقِيلْ
ولاحَ شيخٌ عجوزٌ يَقِيلُ عِنْدَ السَّبِيلْ
والشمسُ مالت أصيلاً علَى رؤوسِ النَّخِيلْ
والنهرُ لَوْحُ نُحَاس بَيْنَ الرُّبَى لايَسِيلْ

* * *

وأَذَّنَ المُؤَذِّنُ العِشَاءْ وصوتُه يَسْرِي بلا انْتِهَاءْ
وَصَيَّحَ الطَّارُ لَهُ نداءْ منْ وَرَعٍ صافٍ ومِنْ غِنَاءْ

أَلْحَانُهُ تَرْقُصُ فى الفَضَاءِ عَاشِقَةٌ تَعْرِفُها السَّمَاءْ
والحىُّ خَفَّ إلى المديحِ سُلافُهُ شايٌ – وكم طَرِبُوا له – مَلْبُونُ
عَسَلٌ على اللَّبَنِ المبَارَكِ أسْمَرٌ مَا الهِنْدُ تعرِفُ مِثْلَهُ والصِّينُ
وَتَلَفَّتَ المَدَّاحُ يُرْسِلُ صوتَه نَغَماً يُخَالِطُه أسىً وحنينُ
يَرْوِى انطلاقَ العيسِ لاتَشْكوالوَجَى لما دعَاها الصَّادِقُ المَأْمُونُ
وجَرْقَاسُ يبدو على حائطٍ ويَنْظُرُ للطَّارِ فِى حَيْرَةِ
رَآهُ يُحَمَّسُ فى جَانِبٍ وتَلْحَسُهُ النَّارُ كالهِرَّةِ
فَشَمَّ وماشَمَّ ريحَ الشِّوَاءِ تَطَايَرَ مِنْ عُشَرِ الخَلْوَةِ

* * *

وانْقَضَى الشَّاىُ وانْقضَى المدحُ والقومُ نَشَاوَى تفرَّقُوا فى المَسَالِكْ
وانْثَنَى مادحُ الرَّسُولِ إلى دَارِ مضيفٍ له بَنَاتٌ فَوارِكْ
حيثُ عَشَّاهُ فى الحَرَازِ بِمسْمُونٍ فَطيرٍ مُسَكَّرٍ فى حَليبِ
مُعْمِلاً كَفَّهُ كما يَنْقُرُ الطَّارَ وجَنْبَاهُ فى اهتزازٍ رَتِيبِ
مَا ارْتجَى حِلْفَةَ الطَّلاقِ لِيزدَادَ فتَانًا من الحَرَازِ الوَهُوبِ
والفَطِيرُ المَلْبُونُ غيمٌ مِنَ السُّكَّرِ يَنْثَالُ دَرُّهُ فى قَليبِ
إنَّ زوجَ المضيفِ تَسْأَلُ هَلْ هَذَا حَرَازِى أَمْ بَطْنُ ذاكَ اللَّبِيبِ

* * *

وانْثَنَى المادحُ الهمامُ الى كيسٍ كبيرٍ به يُغيِّبُ طارَه
ثُم ألقاهُ عندَ رُكْنٍ ودَقَّتْ بطنُه حِينَمَا غَفَا نُقَّارَهْ
وأقامَ الأبريقُ يَسْهَرُ فى اللَّيْلِ ويَأْبَى عَلَى الدُّجَى أسْرَارَهْ

قَاعِداً يَصْحَبُ الدَّراوِيشَ في الخَشْيَةِ والزُّهْدِ والتُّقَى والشَّطَارَةْ

* * *

وكِلابُ الحيِّ تَحْتَرِبُ يَتَعَاوَى بَيْنَهَا الغَضَبُ
فَهْيَ في ثَوْبِ الدُّجَى لَهَبُ

* * *

وجاءَ جرقاسُ يَسْعَى وأَنْفُهُ في التُّرَابِ
يَشَمُّ رِيحَ جُلُودٍ قَدْ خُبِّئَتْ فِي ثِيَابِ
ودَاعَبَ العَطَّارَ في الكِيسِ لَمْ يَجِدْ فِيهِ نَهْشَةْ
فَمَالَ يرفَعُ رِجْلاً وبَالَ فِيهِ وَرَشَّةْ

* * *

ومن القوزِ أبيضا فرشَ البَدْرُ مِهَاداً مِنَ الرِّمَالِ النَّوَاعِمْ
شَرِبتْ من ضِيَائِهِ الرَّطْبِ قد نَامَتْ عليهِ وَرَوَّحَتْهَا النَّسَائِمْ
جلَسَ القَوْمُ يَسْمُرُونَ علَيْهَا بين صاحٍ مع الأحاجي ونائِمْ
يذكرونَ الأرانِبَ السُّمْرَ والغِزْلاَن ياطيبَ لحمِها والحَمَائِمْ
وأطالَ الحَديثَ مالكُ جَرْقَاسٍ بما خَاضَ كَلْبُهُ مِنْ مَلاَحِمْ
ولقد يَفْخَرُونَ بالنَّسَبِ البَاذِخِ يَرْقَى إلى ذُؤَابَةِ هَاشِمْ
ومَضَى الليلُ وانْقَضَى السَّمَرُ ومَضَوْا لِلْبُيُوتِ واسْتَتَرُوا
واقام الضِّياء يلعبُ في الرَّمْلِ وحيداً ومالهُ وَطَرُ

* * *

وقامتِ الغِيلاَنُ والسَّعَالِي تَلْعَبُ في مَقَاصِرِ المُحَالِ

مُشْرِفَةً من جَبَلِ اللّيَالِي

وسَهِرَتْ تَمَائِمُ الأَطْفَالِ تَمْنَعُهُم مِنْ ذَلك الخيال

* * *

وقُبَّةُ الشَّيْخِ قَامَتْ بين رَايَاتِ تَتْلُو شِكَايَةَ أحياءٍ لأَمْوَاتِ

تَبْدُو عَلَى البَدْرِ والأَظلالُ تَلْمَسُها كَفَارِسٍ يَتَهَادَى بَيْنَ شَارَاتِ

وكُلُّ قَلْبٍ لَهُ دِرْعٌ يُفَصِّلُها مِنْهَا فَلَيْسَ يبَالِي بالْمُلِمَّاتِ

* * *

وسَرَى النَّوْمُ بالعُيُونِ وبالآذانِ تَسْرِى عَلَى مَدَاهُ السَّكِينَةْ

غُرْبَةٌ مابِهَا ضَيَاعٌ وقدْ تُنْبِتُ فيها المُحَالَ نَفْسٌ دَفِينَه

* * *

غَيْرَ أَنَّ الكَرَى تَمَزَّقَ والأَجْفَانُ أَمْسَتْ مُرَقَّعَاتِ المَنَامِ

وَيْلَ جرقاسَ مادَهَاهُ فَهَلْ أَبْصَر جِنًّا تَمُرُّ تَحْتَ الظَّلَامِ

سَالَ جُرْحٌ فى صَوْتِه وتَرَامَى ثم أَهْوى لِحَلْقِهِ وَهْوَ دَامِ

* * *

وصَحَتْ خَوْفاً أُمُّ السُّرَّهْ

وتُسَمِّى البَارِىءَ ذَا القُدْرَهْ

وتُنَادى الفحلَ : أَبَا السُرَّه !

أَبَا السرَّهْ !

قُمْ واسمَعْ خَبرَ الأَخْبَارِ

الكلبَ مُصَابٌ بِسُعَارِ

يا وَيْحَ الصِّبْيَةِ وانَاري!
يَا لَوْعَةَ أُمِّي وصِغَاري!

* * *

وقامَ الفحلُ يحلبُ شارِبَيْهِ فَتُسكِتُها إشَارَتُه الرَّهيبَهْ
وأمسكَ بالعِصَا وَرنَا وأصْغَى وأَلْجَمَ حبلُه بابَ الزَّرِيبَهْ

* * *

وباتَ جَرْقَاسُ خَارِجَ الدَّارِ ومِلْءُ عَيْنَيْهِ فَتْكُ جَزَّارِ
وَخَمْرُهُ لم تُتَحْ لخَمَّارِ نَارُ الغَضَا صُوِّرَتْ بأظْفَارِ
لَوْ عَضَّ صَخْراً لطَارَ الصَّخْرُ مُتَّقِداً حَيًّا يصيحُ لِمَا يَلْقَى مِنَ الفَزَعِ
فكيف لو نالَ إنسانا وأسكرهُ يَعْوى ولو كان شيخَ الحي في الورعِ
من حوّل النارَ أظفاراً وصيَّرَهَا نَاباً تَأكلُ بَيْنَ الجُوعِ والشِّبَعِ

* * *

وأَضْحى النَّاسُ في غابِ من الهيجاءِ متَّقِدِ
مَشَوْا يَبْغُونَ جَرْقَاساً بِلا أَهْلٍ بِلا سَنَدِ
تَنَادَوْا حَوْلَهُ وعَوَى فأَجفلَ كُلُّ مُنْجَرِدِ
رَأَوْا نَاباً يَشُبُّ النَّارَ في وَجْهٍ مِنَ الزَرَدِ

* * *

ونَالَتْهُ الحِجارةُ وهو يَبْكِي بلا دَمْعٍ وقَدْ عَضَّ الحِجَارَهْ
وأهوى نِصْفُهُ فأَتَاهُ شَيْخٌ يُبَصِّرُ من تَخرُّفِهُ الجَسَارَه
وقَارَبَهُ لِيَطْعَنَهُ برمْحٍ ولكِنَّ الصَّرِيعَ بِهِ شَرَارَهْ
رَأَى عُرْقُوبَ قَاتِلِه قَرِيباً فَعَضَّ بِهِ وأَرْسَلَ فِيه نَارَهُ

وَمَـــاتَ جَـرْقَــاسُ لَكِـنْ . فَـى الحَـىِّ بَـاتَ عُـــوَاوُهْ
قَــدْ أَصـبَــحَ الشَّيْخُ كَلْبــاً لا يُسْــــتَطَاعُ لِقَــــاؤُهْ
والنَّـــاسُ لـــمْ يَقْتُلُـــوهُ مَـــادَامَ يُـرْجَـى حِبَـــاؤُهْ

* * *

ولَــمْ يكفِ جرقاسَ هــذا الصنيــعُ وأهْــدى لهم جِيفَةً مُنْتِنَهْ
وقــد حَمَّــلَ الريحَ أخبــارَهُ فصــاحَ المُؤَذِّنُ : مــا أعْفنَـهْ
ضَـرِيــرٌ يقلِّبُ آذانَـــه ويَعْــوِى إذا رَكِبَ المِئْذَنَـهْ

* * *

والتيسُ يُســائلُ لِحْيَتَـــهُ وَيُحَــدِّثُــه حَبْــلٌ قَــاسِ
قَــدْ فَتَــكَ النَّــاسُ بِجَرْقَــاسِ
واهْــتَزَّتْ لِحْيَتُــه فَـزعَــاً وطَــوَى القَــرْنَيْنِ عَلى الرَّأسِ
ودَعَــا مِعْــزَاهُ لِيُخْبِرهَــا مــا فَعَــل النَّـاسُ بِجَرْقَــاس
قَالَتْ : يَاتَيْسُ لَـكَ النُّصْـرَه
قَــد زَادَ نَصِيبُـــكَ فى الكِسْرَهْ
اللهُ اللهُ عَـلى الْـكِسْـــرَهْ
بيضــاءُ تهيــجُ لَهَــا (الحَضْرَهْ)
الله اللهْ !

عيدُ الفداء

١٩٥٧



أشرِقْ عليَّ محبةً وصفاءَ ... واملأْ حياتيَ بهجةً ورضاءَ
وأعِدْ صباىَ فقد رأيتُك فرحةً ... من عهده وسماحة ونقاءَ
وانشر على الدنيا السلامَ فأنها ... بذلت عليه مدامعا ودماءَ
ثكلى يُذَوِّبُها البكاءُ فإن تجد ... صبرا فما وجدت لديه عزاءَ
من ياترى يفدى الحياة ذبيحةً ... إن كان قد وجد الذبيحُ فداءَ



الليلُ نحذر أن يكون وراءه ... صبح يسوقُ فجيعة وفناءَ
والأرض حائرة تدور وحولها ... قمرٌ سرى يتسقط الأنباءَ
بَثُّوه يختبر الفضاءَ وجنحوا ... عِقبانهم تتلقفُ الأحياءَ
هل شاهَ وجهُ العلم إلا بعدما ... جعلوه - مانْ عقولهم - أهواءَ
ما قوة الأنسان تجعل يسره ... عسرا وتمسح روضهُ صحراءَ
حمل العذاب وليس يدرك غاية ... إلا أسى وضغينة وعداءَ
والعقل منشور الشراع ولا أرى ... شطا يُتيح لفلكه إرساءَ

يبغى السماء ولو أحب لنالها … بل صاغ من هذا التراب سماء

* * *

سبحان من وهب الحياة وردها … سرا وعلم آدم الأسماء
وبلا العباد لحكمة فى علمه … وأقامهم فى أرضه خلفاء
ودعا إليه المرسلونَ بوحيه … خيرا يقيم عدالة وجزاء
يختارُ أجدرهم بحمل كتابه … وأحقهم فى الصالحين بقاء
ألحق منتصر ولو أبصرته … فى الحرب يحمل راية بيضاء
والناس مهما أفسدوا بعقولهم … فقلوبهم تأبى الفساد إباء
تشتاق مذ خفقت ظلالَ سكينة … تُفْشِى لذائذ حبها إفشاء

* * *

ومبكرين مع الصباح كأنَّهُم … لبسوهُ بين ربوعهم أزياء
يتسابقون إلى الصلاه كأنها … وِرد وقد عجلوا إليه ظِمَاء
جمعتهم شتى على محرابها … كالأُم تجمع حولها الأبناء
ويسلمون وللقلوب تصافحٌ … وتجاوزٌ عمن هفا وأساء
رفعوا القلوب على الأكف وأوسعوا … صفو السماء ضراعة ودعاء
ويقبِّلون يد الأمام رفيقة … بل يمسكون وسيلة ورجاء
ويُريدُ يسترها فَتَفضَحُ ثوبَهُ … حسناء رنحها الجمالُ حياء
مُتخَشِّعٌ وبرأسه مَكِّيَّةٌ … مَا التاج يدركها سنى وسناء

* * *

ويعـرجون على القبـور كأنمـا وجـدوا هنـاك قطينها أحيـاء

أنِسُـوا بهـا وتمسحوا بتـرابها شـجوا يصور للحـزين لقـاء

وهـى الحيـاة وللحـزين مسـرة بالحـزن يمـزج سـلوة ووفـاء

وَلَـهُ يُلـم بنـا فنعـرف أنها ذكـرى تبثُّ حنينهـا أصـداء

* * *

أبنـاء موطـنى الكـريم تحيـة كالعيـد أشـرق بينكم وأضـاء

ألقـاكم فيها فتـؤنس وحشـتى وتـرف بَيْـنَ أضـالعى غنـاء

عـدتم إلى الوطـن العزيز أعـزة متعـاطفـين بظلـه رُحَمَـاء

يعطيكـم أسـراره ويحيـلها عمـلا يعـود رفاهـةً ورخـاء

وجلـوتـم عنـه الدخيل فلم يكن أمنـا عليـه كما اشتهى وثـراء

فتعـايشوا متعاونـين ولا أرى أبقـى مـن المتعـاونين بنـاء

والأرض يعمرها التسـامح لاالهوى يُعْطـىِ لغـير العاملـين جـزاء

وتـريثـوا متـأملين فـربمـا ظلـم العجـول بحكمـه بـرآء

* * *

ذهب الشـباب وما بكيت لفقـده مادمت أحمـل مهجـة خضـراء

ما قلت إنى قـد مللت من السرى ووجـدت أيـام الحيـاة سـواء

الورد لـم يذبل ففـى أعماقـه يحيـا ويحمـل نفحـة وَنَمـاء

غَـابـة

الخـرطـوم – ٣ر٨ر١٩٥٩



زَمـانُـك ذا فاسِـدُ
فـكُـن فاسـدًا
وكـن فاجـراً أَيهـا العـابدُ
وكن طامعـا أَيهـا الزاهـدُ

* * *

وإنْ لم تجـد نُهْـزَةً حُلْـوةً
فكُـن حـاسـدا
وإمّـا هُـزمت على غِـرَّةٍ
فكُـن حـاقـدا
فمـازَيَّـنَ الارض إلا الحقُـودْ
ولا ألهـم العـدل إلا الحسـود

* * *

أتعمى عن اللذةِ
تدورُ بها فتنةٌ نَاهِدُ
وذَا العَالَمُ الفاسدُ
تَمَرَّغَ فى نشوة واصْطفَقْ
ذبائحَ من نَزَغاتِ الجَسَدْ
تَصارَعْن حتى احترقْ
وقلبُك فى صحوة مُرَّةٍ
تحَّرق فيها القَلَقْ
فكيفَ تزهَّدْتَ يازَاهِدُ
وضاعَ الشبابُ وضاعَ الأمَلْ . .
بعينيك يخفقُ خفقَ السَّرابِ وراءَ اليبابْ
وما منْ إيَابْ

* * *

وما وطنى ! أين ذاك الوطنْ ؟
وراءَ الخَيَالْ
أراهُ فأعجبُ من جَنَّةٍ
تجاوزتُها وهى من رَغْبَتِى
إلى غيرها فى المُحَال

* * *

شبابُك كيف مضى كيف غابْ

وكيف انتقل

وأحلامُه قبضةٌ من تُرابْ

أضاع لأنك تخشى الحسابْ

لأنك ترتقب المنتظرْ

وقبرُك منتظر ليلةً

بها انتظرتْك الحُفرْ

* * *

فنشّرْ حياءك أحبولَةً

تصيُد بها الغافلينَ ، وَتظْفَرُ بالغافِلاتْ

وهادِنْ بِها الصَّائدينْ

* * *

أتعْصِرُ خمرَك من كَرْمَةٍ

وراءَ الخيالْ

فما بالُها لم تَضِيءْ في القَدَحْ

ولا ضحِكت من مَرَحْ

فذُقْ ما عصرت من الحَسْرَةِ

ونادمْ عليها الخَبَالْ

* * *

حياؤُك مثلُ الصَّنَمْ

فما ينطقُ

ولا يَسْبِقُ ،

إذا استبق الناسُ فى المُزْدَحَمْ

* * *

أتسهرُ فى معبدِ

وحيدَ الصَّلاةِ يتيمَ الدُّعَاءْ

وما سمعتْكَ السَّمَاءْ

فقد شَرَّدَ الظُّلْمُ حُجَّابهَا

وأَغْلَقَ أبوابَها

وأنزل آفاقها الصافياتِ

إلى الأرض غارقةً فى الدماءْ

* * *

زَمانُكَ ذا فَاسِدُ

فكُن فاسداً أَيُّهَا العَابِدُ

وكن طامعا أَيُّها الزَّاهِدُ

وَحطِّمْ شُموسَكَ فى المَعْبَدِ

لتسمعَ فى ظلِّهِ آهَةً

وغُنْجاً تهافتَ فى مَرْقَدِ

فكيف تزهدتَ يازاهدُ

وضاعَ الشبابُ ومامن إيابْ

وأحلامه قبضةٌ من ترابْ

فزوّجْ غرائزك العانِسَاتْ
قبلَ الفواتْ
فنومُ القبورِ طويلٌ طويلْ
وليس يفيدُ العويلْ

* * *

لقد هجع الظلمُ فِى قَصْرِه
سعيداً بما يَسْرِقُ
وما أنا بالنائمِ
ولكننى ساهرٌ مطرقُ
ومن فوقهِ ليلُهُ صخرةٌ
يقيِّدُها عدمٌ مُطْلَقُ

* * *

وما الصبحُ أينعَ من فجرِهِ
بِصُبحٍ ولكنه صائحٌ
بِتَرْكِ الأَسيرِ على أَسْرِهِ
وحث الفراش إلى زهرِهِ
خليعٌ تخيَّر تحتَ الظلامِ
لذائذَ ما خطرَتْ للمُدَامْ

* * *

ونخرُجُ من دورنا الجائعهْ

بأيامنا الضائعة ..
إماء خَدَمْنَ البُغاةْ
ودُرنَ على لُقْمَةٍ
هنالِك عند الطغاةْ
وماعُدْنَ باللقمة المُشْتهاةْ
وضيَّعْنَ فيها الحَيَاةْ

* * *

ندمتُ على أنني فاضلُ
أنا الجاهلُ
أنا الغافلُ
وكيفَ وطُهْرِىَ فقرٌ مُقِيمْ
وهَمٌّ ثقيلٌ وشجوٌ طَويلٌ وعُمْرٌ سقيمْ

* * *

وليَثٍ لدى الغابِ أظفَارُهُ
بها اتَّقَدَتْ نارُهُ
على ليلةٍ مِنْ دمٍ
سَخينٍ لدى غابِه المُظْلِمِ
وليسَ يُبالى الصباحَ تدَّفَقَ من فَجْرِهِ
وليسَ يُبالى المَسَاءَ تَجَّمدَ فى سِتْرِهِ
فدُنْيَاهُ فى ظُفْرِهِ

أحبَاب

١٩٣٩



أَحبابَنَا أَومايَتِمُّ سرورُكم   إلا ودمْعِىَ حائرٌ هَتَّانُ
لم يبقَ لى إلا الأَسى فعليكم   منى الرضاءُ وما بذاك هوانُ
يَا سالبى أنسَ الحياةِ ومن به   أُنسُ الحياةِ أَما لديكَ حَنَانُ

وحــده

الكراكسة ٣ر١٢ر١٩٤٩



تَلُومينَنى كيف اعتــذَاري ولم أكُن ... بذي ضَجْرةٍ حتى يقــالَ سئوم
مَلِلْتِ سكونى ! رب طــود مكَلَّلٍ ... تئز به النيرانُ وهــو كظيــمُ
فلا تحسَبى غيري بلاغــا لحاجة ... فنحن ســواءٌ والجُسومُ جسومُ
وما الشوق إلاَّ حرقةُ النفس فاتَها ... خلــودٌ وعيش للحياةِ خَصِيمُ
تعــددت الألوان والضوء واحــدٌ ... وقد تذهب الألــوانُ حين يدومُ
وما وثقت نفسى بعينى فأنها ... تخادعها الأشياءُ حيث تحــومُ
إذا نحنُ عُوفينا من الشوق والهوي ... فليس لنا فى العــالمين غَرِيمُ



أري الصُّبْحَ طِفلاً مايُبالى ،وكمْ مضَى ... ســواهُ ، أَما يبدو عليه سُهومُ !
أري جدثاً أَحنى على الأرض ظهرَه ... وما يتقى ! والمــوتُ فيه مُقــيم
وَجُمْجُمَةٍ ثمَّ استهلَّت بضَحكــة ... أتســخرُ مما نَشتهى ونَــرُوم
لقد نظرت عينانِ منها فهل رأي ... عمــاهَا يــدَ الأقــدارِ حيث تحومُ
هى الوحدة الكبري مع الغيب قبلما ... أَضاءَ لديهــا الفكرُ وهو رَجِيمُ
لقد نَسِيتْ ما يَقْظَةُ الأمسِ وانبَري ... لها حُلُمٌ فى الكائنات عَظِيمُ

مأتمُ الشريف

أمِ درمـان ـ العباسية



إرْوِ لى يانُحاسُ بَعْضَ الشُّجُونِ   إنّها فى عَزِيفِكَ المَجْنُونِ
أنَّ فى غُـرَّةِ الصباح على الـدَّجْـنِ   فمـاذا وراءَ سِتْرِ الدُّجُونِ !
أيقظتْه أيدى النُّعاةِ تلقَّاها سِهاداً   تَشَاحَنَتْ فى الرنينِ
عَجِلاتٌ عَلَيْهِ رَفَّتْ كما اسْتَعْجَلَ   خَفْقُ الجَنَاحِ دُونَ الوكُونِ
أرْعَشَ النيلَ فاسْتَحَرَّ به الموجُ   وضجت شُطُوطُه بالأنينِ
رَنَّ كالثَّاكِلاتِ بَيْنَ حبيبينِ   ومثلَ اللَّبَاةِ دُونَ العَرينِ
البرارَي إلى الجزيرةِ فالنيلينِ   فالنيلِ فى مَآتمَ جُونِ
تَنْدُبَ النابهَ المُؤمَّلَ ذا الأقْدامِ   مفتاحَ كُلِّ غَيْبٍ كَنِينِ



وتَطَلَّعْتُ ذَاهِلاً أسألُ الناسَ   بعينى وما بهمْ مِن مُعِينِ
ما لِهَذا الصبَّاحِ تَحْذَرُهُ النَّفسُ   وتَخْشَاهُ مُبْكِرَاتُ العُيُونِ
ما لِهَذا الصبَّاحِ أثقَلَ إحْسَاسى   وَرَدَّ اليراعَ فيه يَمِينى
مرِضَتْ شَمْسُهُ وقَصَّرَ مَسْعَاهُ   وحارَتْ طُيورُهُ فى الوُكُونِ

لحظةٌ كالشِّهَابِ يُعْقِبُهَا اللَّيْلُ وكالدَّمْعِ في امْتِلاءِ الجُفُون
أقْتَلُ الحُزْنِ ما دَهَاكَ ودمعُ العَيْنِ في غَفْلَةِ الخَلِيِّ الأمِينِ
وطَني بَعْدَ يُوسُفٍ مثل يَعْقُوبَ ومَا دَارُ يُوسُفٍ بِشَطُون
طَالَما هَاجَنِي الوفاءُ فلا حَقْتُ بِدَمْعِي الخَدينَ بَعْدَ الخَدِينِ
أيُّهَا الراقِدُ الخَلِيُّ لقد كُنْتَ عَزَاءً لِكُلِّ بَاكٍ شَجِينِ
بين أهلي وبين أهْلِكَ آياتُ إخاءٍ على ذِمَام مَتِينِ
كُنْتَ تُثْنِي عَلى (البشير) وحُرُّ المدح ما كانَ مِنْ فُؤَادٍ مُبِينِ
وعلى العالِم المُقَدَّسِ (عبدِ اللهِ) ذِي الصَّالحاتِ والتَّمْكِينِ
فَعَلى شَيْبِكَ المُوَقَّرِ أحْزاني لَقَدْ كان من ضِيَاءِ اليَقِين
عِشْتَ عُمْراً كالآيِ في الطُّهْرِ والحُسْنِ وكالحَقِّ في انْبِعَاثِ الأذِين
رَدَّ آباؤُك الهُداةُ إلى القرآنِ نُوراً من البَيَانِ الرَّصِين
أنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ تَخِفُّ المحارِيب إليهم فِي رَهْبَةٍ وفُتُونِ
منهمُ ذَلِكَ الذي رَتَّلَ القرآن في أُفْقِ خَشْيَةٍ وسُكون
هَامَ في الليلِ هاتِفاً بالتراتِيلِ هُتَافَ النَّسِيمِ بالنَّسْرِينِ
كلِمَتُهُ السَّماءُ يَسْتَنْزِلُ التنزيلَ مِنْ سِرِّ نُورِها المَكْنُونِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ ورَضُوا عنه وسَرُّوا قُلُوبَ حُورٍ وعِينِ

* * *

ما لِهَذا الصَّبَاح يَسْوَدُّ فِي عَيْنَيَّ حتى اسْتَرَابَ فيه يَقِينِي
قَدْ تَوَجَّعْتُ لِلأمينِ فَمَا لِلدَّمْعِ لَمْ يَسْتَجِمَّ بَعْدَ الأمين

هَاتِهَا يا نُحاسُ مِنْكَ شِكَايَاتٍ تَردُّ الحليمَ كَالمَجْنُون

فِيكَ آهاتُ أُمَّةٍ ضَرَب الدهرُ عليها بِذِلَّةٍ فِي رُكُون

إملأ النفْسَ يَا نُحاسُ برعد الهول أضحَى الشريفُ رَهْنَ المَنُونِ

واعْثُرِي يا جِيادَ ولْتُحْسَرِ الفِتْنَةُ عَنْ كُلِّ سَابِقٍ ذِي صُفُونِ

ذهَبَ المُمْتَنيكِ أَجْراً وَمَجْداً ، عَربيٌّ الشِّيَاةِ والتَّزْيِينِ

ذهبَ الغوث والرجاءُ وولى مَوْئِلُ النَّاسِ مِنْ حَيَاءٍ ودِينِ

وطَوَى الصَّالِحَاتِ دَهْرٌ على الأحْسَانِ والصَّالِحَاتِ غَيْرُ أَمِينِ

أَخرجُوا الغَانِيَاتِ يَوْمَ تَولَّيْتَ وأخلى الحَمَامُ دِفْءَ الوُكُونِ

حاسِرَاتٍ وكُدرة الحَزَنِ اللذَّاع فى كُلِّ مُقْلَةٍ وجبينِ

رُبَّ قُمْرية تربَّتْ على الشَّدْوِ أضاعَتْ غِناءَها فى الأنينِ

عَريت قُطَّعُ السيوفِ لتَبكيك بدمع من الشُّعَاع سَخِينِ

أجفلتْ والصباحُ يَلْثِمُ حواشيها بِبَرْقٍ يَرُدُّ لَحْظَ العيون

أَنتِ للحزنِ ياسيوفُ وقد يشفى جماحُ السيوفِ كَرْبَ الحزين

غَاب هِنْدِيُّك العتيقُ فلا تأْسَىْ إذا غبت بعده فى الجفون

ذِكــرى

الخرطوم - اكتوبر ١٩٦٢

★

فُؤادِىَ كَمْ أُسَاهِرُهُ سَليماً وأُسْهِرُ منْ أَسَاىَ لَهُ نَدِيمَا
وضعتُ يدى عليه فَضلٌ فيهَا ولمْ يَسْمَعْ تَلمُّسَهَا رَحِيمَا
ويَسْندُهُ أَساى فأنْ سَقَاهُ سَقَاهُ الصَّبْرَ يَجْرعُه أَلِيمَا
وأين الصبْرُ شَارَفَنَا سحَاباً ومَرَّ بِنَا -على ظمأٍ- عَقِيمَا
تأَمَّلَ والحوادثُ مُنْسِياتٌ جَفَاءً من حَبيبَتِه لَزِيمَا
تَذَكَّرَ ضِحْكَهَا فَرأى رَبيعاً فَلا عِطْراً حَبَاهُ ولانَسِيمَا
أُشارِكُهُ البكاءَ يَرِنُّ جُرْحاً خَفِيًّا فِى جَوانِحِنَا بَكِيمَا
لِمَنْ طَلَلٌ وقَفْتُ عليه صُبْحاً يُذَكِّرُهُ الحُدَاءُ هَوىً قَدِيمَا
وتنْحِتُهُ الرياحُ لَهَا حديثٌ تحَيَّرَ فى هَيَاكِلِه رُسُومَا
صَحَا وَتَرٌ صَحَوْتُ له فَغَنَّى وأَطْلع مِنْ غَيَابَتِه نُجُومَا
بَصِيصٌ هَلْ بَصرْتُ به سُلافاً وكوبٌ هَلْ شَرِبْتُ به حَطِيمَا
وجُزْتُ به تُسايرنى رُؤاهُ تُسَائلنى وتطْمَعُ أَن أُقيمَا
أَقمتُ وقد رحلتُ وفى عُيونى سِرَاجٌ خانَنى وغَفَا رَمِيمَا

فِلسْطين

١٩٤٨

*

جَاشَ مِنْهَا الدمُ الجديدُ كما جَاشَ البراكينُ باللهيبِ العتيد
شفَقٌ مَادَ فى البِطَاح كَمَا مَادَ غُروبٌ على عُبابٍ شرودِ
فِى فِلَسْطينَ دُولَةٌ لليهود ! ، أَوعادَ بنُ مَرْيَم للوُجُود
إن يكونُوا همُ الالَٰى خَتَلوا عِيسَى وحيداً على جَلالٍ وحيدِ
ثم أَعلَوْا صليبَه ذا جَنَاحَيْنِ كَفَرْخٍ مُحَلِّقٍ بِوَليدِ
فَهُم رَاوَغُوا شَريعةَ يَس وَهَمُّوا بَصلْبِها مِنْ جَديدِ
دُونَ ما يطْلبُونَ رِيحٌ من المَوْتِ وَدَهْرٌ من الدِّما واللُّحُودِ
والمنايَا على انْفعَال البراكينِ تَفَجَّرْنَ باللهيبِ المَشِيدِ

* * *

رَجَعُـــوا بينَ قَاتِلٍ خَاضِبِ الظُّفْـرِ ولـصٌ عليـه حَـزُّ القُـيُـودِ
جُـنَّ صِهْيُـون شَـاهِـراً وَعْـدَ بَلْفُـورَ لِـوَاءً على رؤوسِ اليَهُودِ
رَافِعـاً هيكلَ النـبىِّ سُـليمانَ على غَـيْرِ شَـرْعِـه والحُـدُودِ
خَـارَ عِجْـلُ النُّضَـارِ فى آخـرِ الأدهـارِ والسَّامِرىُّ جَمُّ العَبِيـدِ
تِلـك أرضُ الميعـاد يَكنف منها بَيْتَ لَحْـمٍ بعُـدَّةٍ وعَـدِيـدِ
عُصبَـةٌ لـم تَـثُرْ لمُـزْمُـورِ دَاوودَ ولكـنْ عَلى صَليلِ الحَديـدِ
كلهـم زَفَّ منـه حِـرْمَـانُه العَـاتِقُ كالـريح فى غَيـاهِبَ سُود
رَفَعتْ رأسـها غُـروراً إلى النَّجْمِ وأهْـوَتْ طَلِيحَـةً للصَّعِيـد
أيْنَ مُـوسى فَكُلُّهـم فِى فلسـطين كَفِرْعَـوْنَ طـامـعٌ فى الخُلـودِ
وعْـدُ بلفـور ! أىُّ وعـد أبلفـورُ إلـهٌ حَنَـانُـه لِليَهُـودِ
الثَّـرى والسَّـمَـاءُ للهِ والحـقِّ ولَيْسَـتْ لأعجمِـىٍّ جَـحُـودِ
أينَ بَلْفُـورُكىْ يرى بَطْـشَ عَـدْنَانَ وما خَافَ رَمْلـه مِنْ عَـدِيـدِ
هَبَّـتِ الخيـلُ فَـوقَ ألـفٍ مـن الدَّهْـرِ هُـبُـوبَ الرِّياح فَوْقَ النُّجُودِ
تُلحِـمُ الشَّـاَم بالعـرَاقِ الى إلنيـل إلى المغـربِ القَـريبِ البَعِيدِ
دَافِعُـوا حقَّنـا العتيـدَ ويأبى السَّـيْفُ إلا انْتصَـار حَـقٍّ عَتيـدِ
أين كنتـم وقـد تكنف حِطِّـينَ عُبَّـابٌ مُـدَفَّـعٌ مـن أسُـود
عَـرَبٌ نحنُ شَـاَقَنَـاَ مَـرَحُ السَّـيْفِ مُـرِنًّا على رَنِينِ القَصِيـدِ

* * *

شَـعْبَ إسـريلَ كنتـم النَفَـرَ الخالصَ للهِ من ذُنُـوبِ العَبِيـدِ

فعـــدوتم ومـــا انتظرتم على السَّبْتِ فصِرْتم أذِلَّـةً كالقُـرُودِ
وَيْلَكُـمْ وَيْلَكُـمْ لقد طَلَـعَ الفجـرُ ولكنَّـهُ صبـــاحُ الوعيـدِ
رَعَشَ النِّيـــلُ مِـنْ مَنَابِعـــه الـزُّرقِ إلى البحـر جَـارِفاً للسُّـدُود
عَـادَهُ سِـرُّه القـديمُ وَلَـمْ يَنْس عُـهُـــودَ العُـــلاَ وثـأْر الجُدُودِ
عَـرِبِىٌّ يُضَحِّـــرُ الخيـــلَ فى الله ويَحْـدُو غُبـارَها بالبُـنُـــودِ
وَبَـدا الشَّـرْقُ فى يـديه البِشَـــارَاتُ وفيـه التَّـوى لِكُلِّ مَـرِيـدِ
يا رَعى الله مصرَ والنَّفَــرَ العَـــائِــذَ بالنِّيـل من كِـرَامٍ وَصِيـدِ

* * *

وأَصرَّ اليهـــودُ كِبْـراً مُصَلِّينَ لنـــارِ الحقُـــودِ ذاتِ الوَقُـودِ
ثَبتُـــوا ، والعليمُ يَعْلَـمُ لا أنكـرُ منهم مُضَيَّـعَـــاتِ الجُهُـــودِ
سَـخِـرَ السـيفُ منهم ضَاحِـكَ الشَّـفْرَةِ يَرْنُـــو إليهم كالعميـدِ
هِى أَرضُ الميعـــادِ لِلْمَـــوْتِ لاَ البعثِ أَتَـوْهَـا فهل لهـم مِنْ مَـزيدِ

* * *

يابنِي العُرْبِ قَـدْ عَـرفتم وَجَـربتُـمْ مِطال العِـدَى وَنُصْـحَ البَعيـدِ
أتصيحـونَ فى اللُّحـودِ ، وهَـلْ تَسْـمَعُ هـذا النـداءَ صُـمُّ اللُّحُـودِ
عَـرِّضُوا بالوُفُـودِ وَلْيَـكُنِ السـيفُ خَبِيئـاً لدى ثِيَـــابِ الوُفُـود
وقَصِيــرٌ أخـوكُمُ وهَبَ الزَبَّـــاءَ مَـوْتاً على بَعـيرٍ وئيــــدِ
حَـاشَ لله أن تَبيتُـــوا على الخَسْـفِ وتَسْـتَمْرِئُـوا نَقِيـعَ الهَبِـيدِ

* * *

يا خليليَّ عَـاوِنَانِى فِللشَّـجْوِ حُقُـوقٌ على فُـؤادِى العَمِيــــدِ

نَبَّئا قُبَّةً بيثرب مانَالَ فِلَسْطِينَ مِنْ عَذَابٍ شديدِ

وارمقا مَكَّةً على أمنها الطُّهْرِ ومُسَّا تُرابَها بالخُدُودِ

والْمَسَا البيتَ رَاهباً حفَّهُ الناسُ وحيداً عَلى غلائلَ سُودِ

وإذا ما الحجيجُ أَمْعَنَ فى الذِّكْرَى وأضحىَ عَلَى خُشُوعٍ مَديدِ

فادْعُوا كُلَّ مُسْلِمٍ عَبدَ اللهُ وألقىَ جبينَهُ للسجود:

أَفِلَسْطِينُ قِبلَةُ المُسْلِم الأُولِ فِى لَهْفَةِ الغَبِينِ الحَرِيدِ !

مَهْدُ عيسى أمانَةٌ من يَدِ اللهِ وسطر مِنَ الكِتابِ المَجِيدِ

أنسيتم كِتَابَكُمْ أيها الناسُ وضَاعَتْ مُخَلَّدَاتُ العُهُودِ

وإذا المسلمونَ باتُوا على الذل فما الدِّينُ حِلْيَةٌ لِلْعَبِيدِ

أَصَلاحٌ عَلى فِلَسْطِينَ قَبْرٌ واجِمٌ بَيْنَ حَسْرَةٍ ونُفُودِ

عَرَبَ المَجْدِ والمروءةِ ما بَيْنَ صَبُورٍ على الشَّجَا وكَمِيدِ

أذكُرُوا فَاتِحاً عَقَدْنَا لَهُ النَّصْرَ فَجَازَى دِمَاءَنَا بالجُحُود

أَو يَبْقَى عشيرُ بَلْفُورَ يا ربُّ وساويتَ نَاقَةً بِثَمُود

ربِّ فاجْعَلْ بِلادَهُمْ زَبَدَ الحَرْبِ إذا مَارَسَيْلُها بالصَّعِيدِ

رَبِّ فابعثْ إليكَ خَلْقَكَ واحْكُمْ ، عَادِلاً بَيْنَ سَيِّدٍ ومَسُودِ

ضَاقَتِ الأرضُ بالفَسَادِ فَدمِّرْهَا وبَدِّلْ حَرَاكَهَا بِجمُودِ

يافُؤادِى أنستريح إلى الموتِ وما أنت خَافِقٌ فى اللُّحودِ

إنَّهُ العَالَمُ الحَقِيرُ فما فِيه جَمَالٌ ولا به من وَدُودِ

ذَهَبَ الحُسْنُ والهُيَامُ أما جاوزتُ عِشْرِينَ عَاثِرَاتِ الجُدُودِ

أيُّها الصُّبْحُ كَيْفَ تَبْسِمُ والدُّنْيَا دِمَاءٌ تَرَقْرَقَتْ فِى الصَّعِيدِ
أعلَى غَيْرِ هذهِ الأَرضِ أَشْرَقْتَ وأعليتَ من سَنَاكَ المشيد
تُورِثُ اليَأْسَ والجُنُونَ رِيَاضٌ وَرْدُها مِنْ جَوانِحٍ وكُبُودِ
إعصفى ياخُطوبُ سُوداً وَحُمْراً ثُمَّ فِيدِى عَلى خُوَاءِ النُّفُود
واتركى خَلْفَكِ السُّكُونَ بِسَمْعِ الغَيْبِ لَمْ يَأْتِ أَمرُهُ من وجود



شتات

أم درمان ٢٣ر١٢ر١٩٤٣

*

رَجَاؤُكَ شَتَّى والهُمُوم جميعُ ... أما لَكَ إلاَ الذِّكْرَيَاتِ رَبيعُ
هُنَالِكَ خَلْفَ العُمْرِ .. لاَ الخَطْوُ رَاجِعٌ ... ولاَ العِطْرُ مِنْ رَوْحِ الشَّبَابِ يضوعُ
محَارِيبُ ذاد الشَّوْقَ عَنْهَا وَرَدَّهُ ... حُدَاءٌ يَحُثُّ الرَاحِلِينَ مَرُوعُ
تَشَابَكَتِ الأَظْلاَلُ فِيها وأَقْفَرَتْ ... مَسَالِكُ فيها لَهْفَةٌ ودُمُوعُ
هُنَالِكَ خَلْفَ النَّفْسِ غَامَتْ وَحْولَها ... غُبَارُ الدنَايا الهَامِدَاتِ يَشِيعُ
وهل أَنا إلا الرمسُ فى طَيِّ ليلِهِ ... ضِياءُ غُيوبٍ لَم تَنَلْهُ شُمُوعُ

* * *

أَفِى كُلِّ صُبْحٍ تَرْحَةٌ بعدَ تَرْحَةٍ ... وَصَبٌ على بَابِ الحَيَاةِ صَرِيعُ
أَلَمْ تَكُ مَنَّتْنِى وضَمَّتْ جَوانحى ... وَرِفَّتْ لَهَا حَوْلَ العناقِ فُرُوعُ
أَتهجُرُنِى يَدْعُو خَيَالِى بِطَيْفِهَا ... وَهَيْهَاتَ ما النَّجْمُ البَعِيدُ سَمِيعُ
صُبَابَةُ كَرْمٍ من شَبَابٍ كأَنَّهَا ... صُبَابَةُ كَرْمٍ فى الدِّنَانِ تَضِيعُ
وكَمْ ثَمَر فى الرَّوْضِ يَمْضِى وإنْ زَكَا ... لَهُ بَيْنَ أَشْوَاقِ النُّفوسِ يُنُوعُ
نَعَاهُ إِلَىَّ الرَّوْضُ والصُّبْحُ ضَاحِكٌ ... وَرَنَّتْ لَهُ بَيْنَ الغُصُونِ ضُلُوعُ

* * *

هُوَ العَيْشُ كَأْسٌ ما تَخَيَّرْتُ سُمَّهَا ... وما اختارَ فى حِجْرِ الحَياةِ رَضِيعُ
مُنًى مَذِهِ الدُّنْيَا وكُلُّ خَميلَةٍ ... غَرَامٌ علَى وَجْهِ الزَّمَانِ .. يَضيعُ

رَجُــل

١٩٤٠



مـا رأينا به غـروراً ولازهوا ولاغِلظـةً ولا كبريـاء
شَـفقٌ يَسبقُ الصبـاح فيكسـوه جمـالا ورقةً وحياءَ
يسـبقُ الفعـلُ قولَه وفَعَالُ الناس أضحى تبرجا وافتراء
أزعجـوا الارض بالدعـاوةِ واستبقى حياءً وعفّةً وأبَـاء
رجـلٌ والرجالُ سـالينَ لاهين أضاعـوا حقوقَنا والرَّجَـاء
قد خبرناهُ حِقبَـةً فوجـدناهُ كما شَاءتِ الحقوقُ وشَـاء

***

أدرك الثعلبـانَ صُبْحٌ حـدوناهُ فأبـدى صفاقـةً شَنْعَاء

فأشحنا بأوجه نَضَّرَ الخيرُ سناها وشَعَّ فيه رُوَاء
وسَيَلْقَوْن والحفائظ صُمٌّ يومَ نَسْتَعْجِلُ الجزاء جزَاء

* * *

ياعفيفَ الجَنانِ واليدِ وُقِّيتَ ولُقِّيتِ رفعة وعَلاء
أنت يا صاحبى الأمينُ إذا أشجى زمانٌ يُبدل الأُمناء
أنت حادى البلاد للخيرِ لم تسمعْ على مَرِّ أربعينَ حُدَاء

* * *

أنا أوجزتُ لااكتفاءً ومثلى ، لايرى فى سُرى النَّشِيدِ اكْتِفَاء
غير أنى أوجزتُ مثلك أوجزتَ فاحسنتُ بالصديق اقْتِدَاء



نموت وتحيا مصر

امدرمان – اول نوفمبر ١٩٥٦



قِتَالٌ ولَسْنَا نُبَالِي القِتَالْ   فَيَا مَرْحَباً بالوَغَى والنِّضَالْ
عُبَابٌ يَجِيشُ هُنَا فِي الجَنُوب   لَهُ مَوْعِدٌ فِي عُبَابِ القَنَالْ

* * *

تُدَوِّي القنابلُ في القاهِرَهْ   فَتَخْلَعُ أطلالَها النَّاضِرَهْ
وتَخْرُجُ للحربِ في عُدَّةٍ   كما تَخْرُجُ الغَابَةُ الثَّائِرَهْ
وهيهاتَ أن تَخْضَعَ القَاهِرَهْ

* * *

تَدُقُّ فَرَنْسَا على بَابِهَا   وتَزْعَقُ انجِلْتَرَى الفَاجِرَهْ
تَسُوقُ ادِّعَاءً بِلاحُجَّةٍ   كَمَا تَدَّعِي الشَّرَفَ العَاهِرَهْ
ويُغْضِي أبو الهولِ عَنْ رِجْسِهِمْ   ويَرْنُو بِنَظْرَتِهِ السَّاخِرَهْ

فَيَنْحسِرُ البغىُ عَنْ صَخْرِهِ ... ويَرتَدُّ كالموجةِ العَاثِرَهْ
وهيهاتَ أَنْ تَخضع القَاهِرَه

* * *

أَضيئُوا ظَلامَ الوَغَى بالجِرَاحْ ... وهزوا الرماح لتصحو الرماح
تُضَاحِك فى جمعنا (خالداً) ... يصول وتسأله عن (صلاح)
نعود بها العرب الفاتك ... ين لِبِسْنَا الفلا وحدونا البطاح
يغنى لنا المجد أُنشودة ... وتحمل عنه الغناء الرياح

* * *

وأعلامُنَا حُرَّةٌ ثَائرهْ ... نَكُرُّ على الفِئَةِ الخَاسِرَه
خَرَجْنَا إليهم نُحِبُّ الرَّدَى ... ويَخْشَوْنَ أَو ضَاحَهُ البَاسِرَهْ
نُخَرِّبُ عَيْشَهُمُ لا يَرَوْ ... نَ سِوَاهُ ونَظْفَرُ بالآخِرَهْ
ولَنْ يجِدُوا مِنْ وَراءِ القَنَا ... لِ ، كما خَيَّلُوا ، جَنَّةً نَاضِرَهْ

* * *

قِتَالٌ فلسنَا نُبَالِى القِتَالْ ... ونَسْتَنْزِلُ النَّسْرَ مِنْ وَكْرِهِ
ولو طَارَ يَبْنِيهِ فَوْقَ المُحَال ... وَنُطْعِمُه النَّارَ لا تَكْتَفِى
وَلَوْ أَكَلَتْ ظلُمَاتِ اللَّيَالْ

رِجَالٌ رِجَالٌ رِجَالٌ رجالْ ... عَلَى رَغْم انْجِلْتَرىَ الفَاجِرَهْ
عَلَى رَغْمِهَا .. رَكِبَتْ طَائرَهْ ... ولاَ حَتْ من اللُّجَجِ الزَّاخِرَهْ
فَهيْهَاتَ أَنْ تَخْضَعَ القَاهِرَهْ ... مُحَالٌ مُحَالٌ مُحَالٌ مُحَالْ

* * *

سَنُعْطِيكُمُ البيدَ بَعْدَ السُّيوفِ وأَعْيُنُكُمْ عَلِقتْ بالسَّرَابْ
وأَشلاَؤكُمْ فى حَنَايَا الصُّقُورِ وأَعْظُمكم فى صُدُورِ الهِضَابْ
تُرَابٌ فَهَلْ تأْكلونَ التُّرَابْ وآلٌ فهل تَشْربونَ السَّرَابْ
وقدْ أنْبَتَ النِّيلُ فى شَطِّهِ أزاهِرَ فِيها الرَّدَى والخَرَابْ
وسالَ به السُّمُّ بَعْدَ الزُّلاَلِ وصَبَّ عَلَيْكُمْ سَحَابَ العَذَابْ
تَعالَوْا إليه على لَهْفَةٍ هَنِيئاً لَكُمْ ظِلُّهُ والشَّرَابْ

* * *

نَزَالِ نزالِ على شَطِّهِ وصَبْراً على المِحْنَةِ العَابِرَهْ
وتِلْكَ الجَزَائرُ مِنْ أَوْجُهِ كأَوْجُهِنَا الحُرَّةِ الطَّاهِرَهْ
فَرَنْسَا تَسِيلُ بأَسْيَافِهَا شَرَابٌ لأَسيافِنَا البَاتِرَهْ
وأَيْنَ ولم يَبْقَ إلاَّ النِّزَالْ وضربٌ تذوبُ عليه الجِبَالْ
وَيُخْسِنُ فيه الرَّصَاصُ الجِدَالْ نُرِيقُ الدِّمَاءَ به ثَرَّةً
لِيَعْبُرَهَا مَنْ يُرِيدُ القِتَالْ

* * *

جَمَالُكِ يامِصْرُ منْذُ القِدَمْ يَلُوحُ لَنَا فِى مُحيًّا جَمَالْ
يَهُزُّ من المُهَجَاتِ العَلَمْ ويرْتَدُّ عَنْهُ مُصِيبُ النِّبَالْ
لَقَدْ أَلِفَ الحادثاتِ الهَرَمْ وآوتْ لأَظْلاَلِه كالجِبَالْ
وليسَ يُبَالِى الرَّدَى والعَدَمْ فَقَدْ زَالَ عَنْهُ الرَّدَى والزَّوَالْ

* * *

قِيَاماً قِيَاماً إلى نَصْرِهِ إلى الموتِ مُنْتَصِراً لاَ يُنَالْ

فُـؤادىَ يَخْفُـقُ فى القـاهـره تُحيـط بـه الأَنْفُسُ الصـَّابِرَهْ
إذا حلَّقتْ فـوقَهُـمْ طَـائِـرهْ يُنـادُون فى عِـزَّةٍ : يَاجَمَـالْ ...
.. أبيْنَـا ولنْ نُسْـلِمَ القَـاهِـرهْ وَلَوْ رَكِبُـوا الأَنْجُـمَ الدَّائـرَاهْ
ولو أهْرقُـوا الدَّمَ مِـلءَ القَنَـالْ

* * *

فَيَا بَطَـلَ النِّيـلِ يارُوحَـه ويَافَارِسـاً يَشْتَهِيـهِ الخَيَـالْ
صَلاتُـكَ فى الجَامِـعِ الأَزْهَـرِىِّ صَـلاةُ النَّـبِىِّ لَـدَى المَعْرَكَـهْ
يُبَـايِعُـهُ الفِئَـةُ المُـؤْمِنُـو نَ عَلى قَتْلِهَـا الفِئَـةَ المُشْرِكَهْ

* * *

ونَخْـرُجُ لِلفِئَـةِ الجَـائـرَهْ وأَعْلاَمُنَـا حُـرَّةٌ ثَائـرَهْ
نُلاقـى مَنيَّتَنَـا الحَـاسِـرَهْ بأَوْجُهِنَـا الحُـرَّةِ السَّـافِـرَهْ
ونَسْـتُـرُ بالـدَّمِ أَغْـراضَنَـا لا لِىءَ فى اللُّجَـجِ الزَّاخِـرَهْ
وهَيْهَـات أَنْ تَسْـقُطَ القَـاهِـرهْ
مُحَـالٌ مُحَـالٌ مُحَـالٌ مُحَـالْ



زهــد

بورتسودان -- ٢٩ر١١ر١٩٥٢



أَغضَيْتُ طرفِيَ مِنْ خِـزْيٍ أَنُوءُ بِـه ... فَخَيَّـلَ النَّاسُ إخْبَاتِي وإقْـلاَعِـي
وليس أَعْـرِفُ من نَفْسي بخَاطِرَةٍ ... تُغْـوِي فُؤَادِيَ من خَتْلٍ وإبداعٍ..
عُرْيَانَةٌ كَمُحيَّـا النَّبْـعِ مُقْتَنِصاً ... عُـرْيَ الأَزاهِـر لَمْ تَحفَلْ بقَطَّاعِ

* * *

فَقُـلْ لخادِعِ جُهَّـالٍ بِلِـحْيَتِـهِ ... إنِّي جَهَـرْتُ بذَنْبِي .. غَيْرَ خَدَّاعِ
ذَنْبٌ هو الحبُّ - إذْ حَوَّاءُ جاهِلـةٌ ... بالذَّنْبِ فيـه - عَلَى رِيٍّ وإمْـرَاعِ
فإنْ رَأَى الناسُ بي حُزْناً أُغالبـه ... يَلْـوِي عُيُونِيَ عَنْ حُبٍّ وأَسْـمَاعِي
وَقَـدْ مررْتُ بِسربٍ في مَـرَابِعِهِ ... تَغْوِي الذِّئَابُ ويَهْدِي خَطْوَهَا الرَّاعِي
فساءَني وشَـجَانِي أننِيَ بَشـر ... أَشُـجُّ بالأَلَـم الحرَّاقِ إمْتَاعِـيِ

* * *

فازْهَدْ فُؤادِيَ في الدُّنْيا وبَهْجَتِهَـا ... وأَمِّلْ خَلاصَـكَ مِنْ شَوْقٍ وأَوْجَاعِ
وما أَلومُـكَ في خَفْـقٍ شَكَوْتَ بـه ... سِـحْرَ العُيونِ إلى حِرْصِي وأَطْمَاعِي
فإن خَفَقْتَ بِلا جَـدْوَى سَتُسْلِمُني ... إلى الأَمـانِ إلى أَنْ يَصْرُخَ النَّاعِي

إلى اطفال المساكين

حيـــاة

الخرطوم ٥ر٨ر١٩٥٩



يَـزُورُ أُسْـرَتى السَّــقَمْ
فَــأَسْــقَمُ
وأَجَـرَعُ الغُمَـومَ والهُمُـومَ والكَـدَرْ
وأَدْمِـنُ السَّــهَـرْ
ومـلءُ دارِنا الذُّبَابُ والتُّـرَابُ والقَـــذَرْ
وحَـوْلَ دَارِنَا عُـفونَـةُ الوَحَـلْ
بريحِهَـــا يَخْتَنِـقُ الأَجَـلْ

* * *

وفى المَسَـــاءِ تَسْـكُبُ (الجَـرَادلْ)
عَـلَى الطَّـريـقْ
نَمْشِـــى بِـهِ عَـلَى حَـذَرْ

مـن الوحُـــولِ والشـــقُوقْ
مَـيـعُّهُـــا الـعَطَـــرْ
وحـــولَ دَارِنَـــا جَـــدَاوِلْ
كأَنهَّـــا (جَـــرادِلْ)

* * *

وَحْـولَ دَارِنَا جَـدِاولٌ رُكُـودْ
سَـلاسِلٌ من طُحْلُبٍ يَفُـــورْ
كأَنَّـــه صَـــدِيـــدْ
تَغْشَـــى لَـــهُ النُّفُـــوسْ •
وحَيْنَـــا فى عَفَـــنٍ حَبِيـــسْ
يَلْسَـــعُـــه النَّـــامُـوسْ
لا الدُّهْـــنُ يَحْمِينَـــا ولا البَخُـــورْ
ولا تَمَـــائـــمُ الفَقِـــيرْ
ولا صِيـــاحُ النَّـــاسِ يالَـــطِيفُ ياخَبِـــيرْ
وَلَيلُـــنـــا يُصْـــغِى إلى الضـــفَـــادِعْ
ضَجِيجُهُـــا مَـــدَامِـــعْ
تَـسـيلُ فى المَـســـامِـعْ
ماذا تريدُ بالغِنَـــاء والضَّجيـــج والصَّخَبْ
والليـــلُ غَيْـــرُ سـامِـعْ

وفى نحِيبِهَـا تَـرَنَّـح التَّعبْ
وعُـزْلَـةٌ حَـائـرةٌ على الدُّجَـىَ
مُفْعَمَــــةُ الأَصــداء بالحنيــنِ والأَسَــىَ

* * *

وفى الصبَّــاح تَنْجَــــهُ المَنَــازِلْ
صفَّــارةٌ تدعــو بــرَامِيلَ القَذرْ
وَحــوْلَــنَــا الجــدَاوِلْ

* * *

وفى الضُّحَى أطْفَــالُنَــا على الطَّرِيقِ يلْـعَبُونَ يَلْعبُــون
ويَضْحَــكُــون حِــينَ يَزْلَقُــون
عَــارِينَ إلاَّ مِنْ مَفَــارِح الصِّغَــرْ
ويَهْــدِمُونَ مَايَبْنُــون مِنْ صُــوَرْ
ويــزْرعُــونْ
ويشــهدُون بالخَيَــالِ والظُّنُــونْ والعُيُــــونْ

* * *

يَاوَيْحــهُــمْ إذا أتى المسَــاءْ
مِنْ مــرَضٍ مُخاتِلٍ خئُــونْ
أسْــهَــرَهُــمْ بِــلاعَشَــاءْ
كَانُــوا إليــه يُسْــرِعُــونْ
ويَهجَعُــون حينما يُؤَذِّنُ العِشَــاءْ
ويَحْلُمُــــونْ

وطِفلَتِي محمومَةٌ فماتبِينْ
وفى مَسَامِعى صدَى أَنِينْ
وقد جلستُ دُونَ مَهْدِها الصغَيِرْ
أَنظرُ فى سُكُون
كَصُورَةٍ مِن الحَجَرْ
لكنَّ نَفسِى فى مَخالِبِ القَدَرْ
كَدَوْحةٍ فى عَاصِفٍ زَأَرْ
وكلُّ رَطْبٍ من غُصُونِهَا انكَسرْ
جُرْحٌ على أَطرافِهَا اسْتَعَرْ

* * *

وفى يدى قارورةُ الدَّواءْ
أسأَلُها عن وعْدِهَا الحَكِيم بالشِّفَاءْ
وقد أنُودُ لَحْظَةً من العَيَاءْ
كأنَّنِي الغريقُ والعُبَابُ قدْ زَخرْ
حياتُنا من العَذابِ والرَّجاء والضَّجَرْ
ويَالَهُ رَجَاء !
لَمحتُه فى الصبح عِنْدمَا سَفرْ
لكنه غيبه المَساءْ
وإنَّهُ رَجَاءْ

وفى الكــرى على مشَــارِفِ العَــدَمْ

تخْــلُــمُ المَضَــاجِــعْ

بأَدْمُــعٍ تبُــرِّدُ الفــوَاجِــعْ

وكم ســقيم فى ذُهُــولِــه ابْتَســمْ

وغالَبَ الأَلَــمْ

* * *

مادمتُ أَشْــتَهى المَنَــامَ فى السَّــهــرْ

وأَشْــتهى فى البِيــدِ رَحْمــةَ الظِّــلالِ والثَّمَــرْ

فأنــه رجَـــاءْ

أَلْهَمَــهُ العــذابُ والضَّجَــرْ

وفى الوحُــولِ العَفِنَــاتِ يَنْبُتُ الزَّهَــرْ

مُطَــهَّــراً يَغْســلُــه المَطَــرْ

ويســتريحُ فى جمــاله البَصَــرْ

وإنــهُ رَجَـــاءْ

ويالَــهُ رَجَـــاءْ

من خَــاطِــرٍ كأَنَّــه سَــمَاءْ

فــوقَ التُّــرَابِ والذُّبَابِ والقَــذَرْ

بستان وانسان

١٧ ر١١ ر١٩٤٥



مِنْ فَرْطِ خُضْرَتِهِ وجُودِيَ أَخْضَرُ ... خُلْدٌ يُجَدِّدُ حُسْنَهُ ويُغَيِّرُ

الصَّيْفُ ليس بنازع أظلالَه ... ما دام يُورق فى الخريف ويزهر

وتراه يضحكُ فى ذُبُول وروده ... فكأنّما هو فى الذبول مُخَيَّرُ

أتراه يزهدُ كي يطولَ حنينُه ... فيبيت ذاهبَ ورده يَتَذَكَّرُ

قد تَابَتِ الأثمارُ فى نُوّارها ... وتَبَرَّجَتْ لاتتقى أو تَحْذَرُ

هُنّ العذاري ما حَلُمْنَ بريبةٍ ... وسفُورهن براءةٌ وتحيُّرُ

يسَّاقط النوّار تكنِزُ حسنَه ... أرضٌ وفاء ضلوعها لايَفْتُرُ

بحثُوا عن الأكسير فى أطماعهم ... والأرضُ تعلم سرَّه وتقدِّرُ



هيهاتَ أَخلُدُ والذنوبُ عتيةٌ ... خرقاء تَبْرقُ فى حشايَ وتَزْأَرُ

وأنا المريضُ فكيفُ أَخلُص ناجيا ... والنفس فى قفصِ المَتَاب تنَمَّرُ

أذَكَرتَ أهلك ماتَزَالُ بغُربة ... فيها نسيتَ ولم تكن تَتَذَكَّرُ

أنظرْ ! فللأ غصانِ دونَك نشْوَةٌ ... فيها تَشَابَك عَاطِلٌ ومُنَوِّرُ



خلبَ الزمانُ لكل يوم خِلعَةً ... والموت خلفك من مَشُوقٍ يَسْخَرُ

إنى أُشمِّرُ للحياةِ وللمُنى ... والقَبْرُ تَلفِتُه خُطَايَ مُشَمِّرُ

قرية قــمراء

بورتسودان مساء ١٣ر١٠ر١٩٥٢



(دلُّـوكَـةٌ) فى الليل تَـرْتَعِـدُ بَكِمَتْ وأَرْسَــلَ شَجْوَهَا الكَمَـدُ
مَجْنُـونَةٌ نفضـتْ أَضـالِعَهـا وتكادُ فى أَجْــلاَدِهَا تَقِـدُ

* * *

شِـلْـوٌ يُنـازِعُ روحـهُ الآبى أَسَـدٌ عَصُوفُ الظُّفْـرِ والنَّـابِ
مـن زَأْرِهِ الأَطيـارُ واجِفَـةٌ تَبْغِـى المَطَـارَ وريشُها كَاب

* * *

ويَغَـصُّ من آهَـاتِها (الشَّـتَـمُ) شَـجِـجُ الرَّنين يكادُ يَنْقَصِـمُ
مُتَربِّصٌ بالـرَّقْـصِ يَصْرَعُـهُ ويـدقُّ فيـه كأَنَّـه قَـدَمُ

* * *

فى ليلةٍ تختالُ فى القَمَرِ وظِلالُها يَبْرُقْنَ كالحَوَرِ
تَسْرِى عذارَى الحَىِّ فى نَسَقٍ رَبِذِ الخُطَى مُتَشَوِّفِ الخَفَرِ

* * *

سَارُوا والصِّبْيَانِ تَصْفِيقُ والآنساتُ لَهُنَّ تَحْدِيقُ
نظرٌ ولا نظرٌ نلوذُ به فى كُلٍّ وَمْضٍ مِنْهُ تَشْوِيقُ

* * *

ومن البخورِ عَلَتْ حَوِيَّاتُ فى أعينى مِنْهُنَّ آهاتُ
فى دَارةٍ لا البؤُسُ يَشْغَلُها درجتْ عليه ولا المَنيَّاتُ..

* * *

رَقَصَتْ معَ الأَحلام عَذْراءُ وبرقْصِهَا للحُبِّ أَنْبَاءُ
تَكْنِى ونَعْلَمُ كلَّ خافيةٍ وقلوبُنا لَهَفٌ وإيمَاءُ

* * *

أُردافُها باللحنِ تَصْطفِقُ ونهودُها بالوجْدِ تَحْتَرِقُ
والخَصْرُ بينَهُمَا على شَفَقٍ واهِى الصُّرَاخِ يَكادَ ينْمَحِقُ

* * *

ويهيجُ بالفتيانِ (شَبَّالُ) وإلى حَنَان عبيرِهِ مَالُوا
والسَّوْطُ يأكُلُ ظَهْرَ مُبْتَدِرٍ وجِرَاحُه وَجْدٌ وتَسْآلُ

* * *

وتعَارَضُوا كلٌّ بعكَّازِ يَهْوِى به ويَطِيرُ كالبَازِى
طُمْبُورُهُمْ فى الليل ذُو رَهَجٍ كالخيلِ هَاجَ صَهِيلَها غَازِ

* * *

وسهَـا ومـالَ بأفقـه القمـرُ ... وكأنـه قـد شـفَّهُ السـهرُ
وتنـادتِ الأوطارُ فى لَـهَـفٍ ... مُتعَجِّـلٍ والحـىُّ مُنْبَهِـرُ

* * *

وتفـرقَ السُـمَّارُ آحــادَا ... كُـلٌ إلى أشْـواقِـه عَـادَا
مَـدَّ المَنَـامُ بِعـادَ هـاجِـرِه ... والشَّـوْقُ يَحْمِـلُ طَـيفَه زَادَا

* * *

والحـىُّ بيـن رِمَـالِـه رَقَـدا ... والنخـلُ أخضـرُ سَـعْفِهِ وَقَـدا
يتوسَّـدُ الأطـلال نائمـةً ... غَفْـلَى تَخَـالُ سُـكُونَها الأبَدا

* * *

صُـوَرٌ تلـوحُ كأنَّهـا ذِكَـرُ ... فى الأوْهـامِ ليس يَنَـالُها البَصَرُ
تَصْفُـو كضَـوْءِ النَّـجْمِ رَوَّقَـهُ ... بُعْـدُ المَـدَى وأرقَّـه السَحَرُ

* * *

وسـرَى النسـيمُ بها على حَـذَرِ ... وتلمَّسَ النُـوَّارَ فى خَـدَرِ
طافتْ بـه الأقـدَارُ مُوحِيَـةً ... بالصُّبْـحِ يُـوقِـظُ هَاجِـعَ الثَمَـرِ

* * *

والمـاءُ دونَ الجُـرْفِ نَعْسَـانُ ... شَـادُوفُـه المَغْـروقُ سَـهْـرَانُ
عَبْـدٌ يُـوَتِّـرُ جِسْـمَـهُ حَـذَراً ... يَحْنِيـهِ فَـوْقَ الجُـرْف إذْعَـانُ

* * *

سَـتَرَ الغُصُـونَ وباتَ عُـرْيَانَا ... مُتَهـافِتَ الأحْنَـاء ظَمْـآنَـا
حتَّى إذا طَـافَ الأذانُ بِـهِ ... حَفَـزَ الجِـرَارَ وظَـلَّ هَيْمَـانَا

* * *

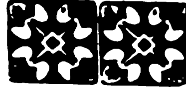
يُنْسيهِ من آلامِهِ النَّصَبُ　　كَمْ رَاحَةٍ فى أَمْنِها تَعَبُ
ومُعَذَّبٍ لو نَامَ فى دَعَةٍ　　فَمَنَامُه الأطلالُ والوصَبُ

* * *

وأهلَّ فى أطواقِه مَلِكُ　　دِيكٌ يدورُ لَصَوْتِه الفَلَكُ
والليلُ يَجْرِفُ سِتْرَه سَحَرٌ　　وعلا الصباحُ ورغْوهُ الحَلَكُ

* * *

والقريةُ القَمْرَاءُ كالخَبَرِ　　ومكانها غبراءُ فى المَدَرِ
بَدويةٌ مَسْحُورَةٌ رُقِيَتْ　　لِتُفِيقَ من أحلامِها الأُخَرِ



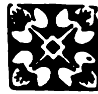
خــوف

بورتسودان – ٨ر١ر١٩٥٣



كان شغلي الجمالُ في نزقِ الصبوةِ   شَـمًّـا كما اشـتهيتُ وضَـمًّا
كنتُ أدمنتُـه فـربَّ دمـيم   نـامَ عـن حُسْـنه السجين فنَمَّـا
دودةُ القَـزِّ بيتُها صرَعت فيـه   وَسَـال الحـرير يبرُقُ جَـمَّـا
وقضاني الرجاءُ يدفعني دفعـاً   فخيَّبْتُ عـزمَـهُ حـين هَـمَّـا

ومشى الفجرُ بالعَزَاءِ فأَهْوَيْتُ … عطوفا على أساىَ المُدَمَّى
وشبابى فطمتُه وفؤادى … زَمَّهُ راهبُ الكهولةِ زَمَّا
وادَّعتنى القبورُ .. وانصرفَ الحبُّ … وقلبى السَّميعُ حال أصَمَّا
نَفَرَ العطرُ .. عنه ترشفه الأشواكُ … دمعا بلا رجاءٍ وغما
أنا راوٍ من الحياة فيا ويلاهُ … حالتْ لدى الجوانِح سُمَّا
أُترانى أُجنُّ حين سلت نفسى … هواها وحين عقلىَ تمَّا
رَوَّعَتْنِى الثِّمارُ يفضَحُها النُّضْجُ … فتهوِى وليسَ ترحم كِمَّا
حاكَ نورُ الصباح زَهْراً كما حَاكَ … بألوانه لصدرى هَمَّا
ضاحكٌ هل تُرى يقرب قربانا … لشىءٍ لدى الحياةِ مُعَمَّى
أَستجيرُ الصلاةَ وهى بَتُولٌ … غاضبتى على فسادِىَ عما
عاتبتنى فسال مَدْمَعِىَ الحيرانُ … كالطِّفْلِ حين يَفْقِدُ أُمَّا
ربِّ فارحمْ ندامتى لك تَنْساقُ … بذنب مُدَمِّرٍ لا يُسَمَّى
قد ثكلتُ الشباب فاجعلْ لى … الخلد شبابا لدى الجنان استجَمَّا



غريب

بورتسودان ١٦ر٦ر١٩٥٣



أبغضتني الحياة ما وجهيَ العا بس يُغْري ولا فؤادي الملولُ
بصري لا يرى يسيل على الآفا ق سوداً فكل أفق مسيل
وازرقاق السماء شف ولكن منه تهمي على عيوني سُدُولُ
ضل من ظن في السماء انطلاقا مستفيضا وكل ظن ضَلُولُ
ومحياي ساهم دَمَغَتْهُ الشمس بالموت واقعاً لا يَحُولُ
ينعَتْ في عرائسِ الفجر عنقو دا زَكِيًّا رعى نداهُ الأَصيلُ



وتعجلتُ ما ورائيَ إلا الدجنُ يحدو به الغروبُ العجول
عجبي كيف أمسِ أطربني السا قي أضاءت على يديه الشمول

وهـو قلبـي فكيف غيـره الدهـ ـرُ وقامت على رُؤاه الطلـــول

إنمـا العيش كالفقاقـع لا أدر ى شـروقٌ حبابهـا أم أُفـولُ

وتهبُّ الريـاحُ من جـانب الغيـ ـبِ وتجـرى على مَداهَا السُّهُولُ

وتحـوَّتْ بـكل طـود فـأرْدَا ها وغَـنَّى كما تُغَـنِّى الثَّكـولُ

جهلت سـائقـا حـداها فنـادتـ ـهُ وفى سَعْيهـا يغيبُ الدليـل

هكذا الكـونُ كلـه تـأخـذ اللهـ فـةُ منـه فكل فَجْـرٍ غَليـلُ

* * *

ومشى غيـرُنا على الأرْضِ مشتاقيـ ـن لا يعلمـون أيـن السـبيلُ

عاقَـرُوا الصبـح خادعا قَتْل الصبـ ـح الذي يستطيرُ منه الفضُـولُ

مِن رُؤَى الحالمينَ يَقْتَطِفُ الزَّهـ ـرَوَيَنْـدَى بعطـــره المُسْتَحِيـلُ

* * *

ربِّ إن كانت المنيـــة عِلْمــاً فأمتـنى فلى فـؤاد جهـول

وإذا كانت المنـايا ضَيَـاعــاً فأضـعنى فمـا بعيشى كفيـلُ

ليس فى الأرض نعمةٌ ما خلاالدمـ ـع بـه الصدقُ واحـدٌ لا يميـل

وطـنى أين ، ليس فى شاطىء النيـ ـلِ فلى غـيرُه بنفسـىَ نِيـلُ

دُونَـه صخـرةٌ من الفَقْـروالهَـ ـم وبيـدٌ مُبيـدةٌ وغَليـلُ

إن أَجُـزْها فقـد نعمتُ وهَبْهـا تَ نعيمى ولى رَجَـاءٌ عَليـل

إلى الاستاذ الكبير الدكتور عبد المجيد عابدين

من نافذةِ القطَار

يونيو ١٩٥١

«رحلة بين بورتسودان على البحر الاحمر الى أوبُو فكمسانه بين القمم»



تلك (أُوبُو) وهذه (كُمُسَانَهْ) ... ألهم اللهُ كلَّ شَيْءٍ بَيَانَهْ .

بِعُيونى ترى الحياةُ وتهوى ... ذاتَها بين حيرة وإبانَهْ

الضحى نائمُ الظلال .. وللنبع خرير .. وللحياةِ اسْتِكانَه

أَسمع الماءَ فى الغصون وقد سلسل ، ملءَ اخضرارها ، خَفَقَانَهْ

والأراكُ الغضيضُ ، يَعتنقُ الصخرَ ، وليدٌ أذاقَ شَيْخاً حَنَانَه

والحصا فى الرمال بِيضاً يُبَارى الزهرَ للفجر حَاشِداً مِهْرَجَانَهْ

رقدَ السَّهْلُ آمِنًا وتَعَالى جَبلٌ أرْضَعَ النُّجومَ قِنَانَهْ
مَنْكِبٌ يَحْمِلُ الشُّموسَ وَكَمْ وسَّدَ أُفْقاً حَنَا عَلَيْهِ رِعَانَهْ
شَامِخٌ تُنْشِدُ الرِّياحُ على جَنْبَيْهِ آياتِ مجده والرَّكَانَهْ
زَاهِدٌ ليسَ كالذى خافَ دنياهُ ولم يلقَ فى اعتزالٍ أمانَه
وصخورُ السُّفوحِ تَسْكُنُ فى الظلِّ سُكُونَ الهُنُودِ فى (النِّرْفَانَهْ)

* * *

والقطارُ المشيحُ ينفضُ جنبيهِ وَيرْقَى كهائم ذى لُبَانَه
عَبسَتْ فوقَهُ الذُّرَىٰ .. والجلاميدُ حَوَالَيْهِ حانِقَاتُ الرزَّانَه
نَظرتْ منه مارِداً زفَّه (المالِحُ) يُلْقِى بأمْنِها أُفْعُوَانَهْ
صارِخاً يأكلُ الطريقَ وينْسَاحُ مفيُضاً بكل أُفقٍ دُخَانَهْ
رَمَقَتْهُ الذُّرى كما يرْمُقُ الصَيَّادُ وحْشاً جُفُولَه واكْتِنانَهْ
رَجَّعت زَمْرَهُ كما رَجَّعَ المحزونُ قَسْراً نُواحَه واضْطِّغَانَهْ
فَأتَها رنَّ جَرْسُه مَرِحَ الذَّيْلِ إذا ما التوى الطَّرِيقُ ألآنَه
سَال فى قيْدِهِ مُعِيناً وما أعلم قَيْداً على أسيرٍ أعانَهْ
مَرُّهُ يَنْهَبُ العيون فلَمْ تَعْلَقْ بِسِدْرٍ ولا ألَمَّتْ بِبَانَهْ
أيِنَ مِنْ خَطْفِه الجِمالُ وحادٍ مَدَّ فى المجْهَلِ السحيقِ عِنانَهْ
يَرْمُقُ الثاقباتِ كالوَدعِ المُنْبِى ويَرْتَادُ غَيْبها بالكَهانَه
مَلِكٌ عرشُهُ البَعِيرُ وللزِّينَةِ أبْقَى خِلالَه ودِهَانَه
شَعْرُهُ ظُلَّةٌ مُضفَّرة الأَطْراف تحتاط عينَه كالجمانَهْ

ولدى رحله المزادُ وللقَفْرِ هُتَافٌ بمائها لو أعانَه
واحدٌ عيشه لدى المهمهِ الكزِّ رضيًّا وفى اخْضِرَارِ (البُطَانَهْ)
شاعِر يمدح الكريمَ فيمُسى الشعرُ نيرانَه العُلاَ وجِفَانَه
بالعصا يُتْبِعُ الحديثَ مُشيرا فهو كِسْرى مُحَرِّكٌ صولَجَانَهْ
وإذا عزه الجدالُ نضت يمناهُ سَيفا يُفيضُ منه لِسانه

* * *

ليت لى رجعة إلى ذَلِكَ العهد أُماشى على اختيارٍ زَمانَهْ
ريْثُه أمهل القلوبَ فللنجوى وللوُدِّ آنةٌ بعدَ آنَهْ
وفُؤادى تَشَوُّقٌ وَسِعَ الكونَ وعَيْنى تَطَلُّعٌ واستبانَه
وبظلِّ الضحى جدالٌ وفى الليل أَحَاجِيٌّ أَضْحَكَتْ زِبْرِقَانَهْ
هَتك العقْلُ حُرمةُ الجهلِ والجهلُ أمانٌ ولم نُكَرِّم أمانَه
إننى فى القطار يلْهثُ كالمطرودِ أنفاسه تؤُزُّ كيانه
لَيْس عَنْ موعدٍ ولكنَّها الساعةُ صاغتْ لعالَمى دَوَرَانَهْ
قيَّدت أعينى بعقربِها السَّارى وحثت بَمِسْمَعِى سَرَيانه
واحتوتْ مِعْصَمِى فأصبحتُ مَسْجُونا يصافى برغمه سَجَّانَهْ
حَوتِ المشرقينِ والشمسَ والبدرَ وقلبِى وسابَقَتْ خَفَقَانَهْ
كذبَ العقلُ إنَّهُ كاهنُ الشرِّ الذى دَمَّرَ الوُجُودَ وشانَه
أنفَذَ الناسَ طائرينَ من الأَرض سِهاماً تسَابَقَتْ من كِنانه
ورنَا فى ظلامِه فهو كالسارقِ زجَّى بكلِّ سِرٍّ بَنَانَهْ

* * *

وأهـــلٌ القطـارُ مـن شُـرْفَـةِ الرَّيْـدِ مُـذيلاً حجـابَها والصِّيـانَـهْ
دُونـى الغـورُ فيــه يصطخبُ المــوجُ ويُلقـى لِكُلِّ ريـحٍ عِنَـانَـهْ
وَبَــدا مـن سـواكنٍ طَيْـفهُـا الرَّثُّ وذَابَتْ كَمـا تذوبُ العنَـانَـهْ
وانطــوت مثـل دَمْعَـةٍ ردَّهَـا المحــزونُ يُغْضي عَلى الأَسى أجفَـانَهْ
وبنــارِ الغــروب يحـترقُ البحــرُ وقـد شَـمَّـر الدجـى طيلَسَـانه
ورؤوسُ القِــلال خَمْــرٌ حــسا الليـلُ سـناهُ مُسَـوِّداً أرْجُـوانَـه
فخبتْ كــلُّ قُلَّــةٍ فهْـىَ فى الأُفـقِ رَمَــادٌ غَفَـا وبـاتَ مَكَانَـهْ
وامَّحـى البحــرُ والســماءُ وضاعَ الطـرفُ مـنِّى ولمْ أُمَيِّـزْ عِيـانَـه
وبسَـمْعِي النَّسيــمُ لاعبَ فى الـوَادِى نِـدَاآتِ أهْـلِـهِ والرَّطَانَـهْ
وزهتْ (أرْكَوِيتُ) فى غبَشِ اللَّيْـلِ ورفَّتْ على الدُّجـى أقحُـوانـه
وتَنَـدَّت نواظــرى مـن سـناها بعـــد يبس على الدجى واستكانه
تَوَّجَت هــامـةَ الأَشـمِّ البُجَـاوِىِّ وخفَّت لســـامـر قَهْـرَمَـانَـه
مــن بنـات الأفـرنج سـاكنتِ الأَعــرابَ هــابوا جمـالها وازْدِيانـه
وقفــوا دونهــا تعــرت فخـافـوا الحسن منهـا وألَّـهُـوا شيطانـه
أنِسَـت بالجنيبِ تعطيــه مـا شـاء وترُضى غــرورهُ وافتتـانَـه
فاذكـرى أركويتُ قـديسَـك (المجذوبَ) روَّى بسـرِّه (عثمـانـه)
واصمــتى لحظـة فقـد تذكــر الوديان فى الصمت خيلـهُ وأذانـه
فَارسٌ يضْرِبُ العلــوجَ ويتـلــو فى شعاعاتِ سـيفه قـرآنـه
مِنـهُ نفسـى وللفِـرنجـةِ أثـوابى وماغـيرُهـا علـىَّ مهـانـه

وسواى الدّعىُّ قال له الكفار كن مارقا يخون فكانه
وغداً يدفق الأتىُّ وتلقَيْنَ بما تفعلين عقبى الخيانه
فاسمعى فى السفوح دمدمة النيل غضوباً مُثوِّرا عنفوانه
يفْرح الكافرين عنه ويسقى من سحاب مطهر شطآنه



والكرى أثمل القطار الذى وسَّد أحمال ظهره قُضبانه
هدَّ منه السرى فأَصْلَدَ مثل الزند ينسى بلبه نيرانه
ملقيا هَمَّهُ على السَّائق الساهر يسعى مشِّمرا أردانه
بات يرعى القطار مُعتملَ الكَفِّ كراعٍ مراقبٍ حِمْلانه
وغفا الناسُ كلُّ جسم هو القربان للنوم فارضا قربانه
زَمَّ أجفانَهم على الحلُم الوهابِ مثلَ الخليع زَمَّ دِنَانَه
ومحا كلَّ رِقْبَةٍ وأسالَ الحسن مِمَّنْ حمى الجمالَ وصانه
وأرى أعينى الضميرَ على الأوجه يأبى علىَّ صَحْوٌ عِيانَه
ليتَ شعرى أهذه أوجه الصحب حيالِى عرفتهم قبل آنَهْ
صُوَرٌ ما استبنْتُها كغريب فى مدى البين ذاكراً أخدانه
رتعوا فى نفوسهم حين خلىَّ النومُ فى الغيب كلَّ قلب وشانه
هم جميعٌ مُفَرَّقُونَ فياويح وحيدٍ مُساهرٍ أشجانه
لمس الليلَ صخرةً ورأى المشرق منه مُفَجِّرا بركانه



لذَّتي حُـرَّةٌ كما ارتعش النجمُ دياجيه لا تملُّ احتضانَهْ

نَسَلتْ كالعبيرِ في نسم الأصباح ينأى على ذُهولٍ جِنَانه

هي حتمٌ عليَّ قدَّرهُ الله وطبعٌ أدانَه ما أدانه

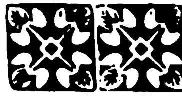
إنه الظلُّ ضاجعَ النورَ فاستولد حسنا مُجسَّما ذا إبَانهْ

فتجردْ كذلك الجبلِ السَّامي عليه أراق نجمٌ حَنَانَه

رقَّ في ضوئه وشفَّ كمارقَّ مُحَيَّا الحزينِ من بنت حَانَهْ

واصفُ مثل الندى مُشِعًّا هفا الوردُ إليه مفتحا أجفانه

نحنُ بينَ القِلال فوقَ الوشاياتِ لدى السَّفْحِ غيظُها والمهانَهْ



المَــوْلــد

الخرطوم - ١٩٥٧



صَلِّ يارَبِّ على المُدَّثِّرِ
وتجــاوَزْ عن ذُنوبي
وأعِــنِّي يا إلهــي
بمتــابٍ أَكْــبَرِ
فزمَــانِي وَلِــعٌ بالمُنْكَرِ

* * *

دَرَجَ الناسُ على غيــرِ الهُــدي
وتعــادَوْا شَــهَواتِ
وتمَــــادَوْا

لاَ يبُــــالُون وقــد عاشُــوا الرَّدَى

جَنَحُــوا للسَّلْم أَم ضاعُوا سُدَى

* * *

أَيكونُ الخَيْرُ فى الشرِّ انْطَوَى

والقــــــوَى

خَرَجَتْ من ذَرَّةٍ

هِيَ حُبْــلَى بِالعَدَمْ

أَتُراهَــا تَقتُل الحربَ وتَنْجُو بالسَّلَمْ

ويكون الضعفُ كالقُوَّةِ حَقًّا وذِمَامَا

ســوفَ تَرْعَــاه الأُمَمْ

وتعودُ الأَرضُ حُباً وابْتِسَامــا

* * *

رَبِّ سُــبحانَك مُخْتَاراً قَدِيَرا

أَنتَ هَيَّــأْتَ القَدرْ

ثُم أَرسلتَ نذيراً .. لِلْبَشَرْ

آيــةً منــكَ ونُوَرا

* * *

هَــو عَينُ اللهِ لولا ضَوؤُه

لم نَرَ البارئَ فى شَتَّى الصوَرْ ،

جَعَــلَ المــوتَ رَجاءً .. وبَقَاءً

وغِرَاساً منه لاَ يَفْنَى الثَّمَرْ

* * *

صَلِّ ياربٍّ على خيرِ البَشَرْ

الذى أسرَجَ فى لَيْلِ حِرَاءِ

قمراً أزْهَرَ من بَدْرِ السَّمَاءِ

يقرأُ الناسُ على أضْوَائِهِ

حكْمَةَ الخَلْقِ وأسْرَارَ البَقَاءِ ..

... مِنْ إله قد هَدَى بالقَلَمِ

علَّمَ الإنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمِ

* * *

صَلِّ ياربٍّ على المُدَّثِّرِ

وتجاوَزْ عن ذُنُوبى واغْفِرِ

وأعنِّى يا إلهى بمَتَابٍ أكْبَرِ

* * *

ليلةَ المولدِ ياسِرَّ اللَّيَالِى

والجمالِ

وربيعاً فَتَنَ الأَنفُسَ بالسِّحْرِ الحَلاَلِ

وطنى المسلمُ فى ظِلِّكِ مَشْبُوبُ الخَيَالِ

طافَ بالصَّارِى الذى أثْمَرَ عُنْقُودَ سَنَى

كالثُّرَيَّا

ونَضَــا عن فِتْنَةِ الحُسْنِ الحِجَابَا
ومَضَى يُخْرِجُــه زِيّــا فَزِيّــــــا

* * *

وَزَهَــا (مَيْدَانُ عَبْدِ المُنْعِــم)
ذلكَ المُحْسِنُ حَيَّــاهُ الغَمَــامْ
بِجُمُــوع تَلْتَقِى فى مَوْسِمِ
والخِيَـــــامْ
قَــدْ تَبَرَّجْنَ وأَعْلَنَّ الهُيَـــامْ

* * *

وهُنَــا حَلْقَةُ شَيْخٍ يَرْجَحِنُّ
يَضْرِبُ النُّوبَــةَ ضَرْبًا فَتِئِنُّ
وتُــرِنُّ
ثُمَّ تَرْفَضُّ هــديراً أَوْتُجَــنُّ
وحَوَالَيْها طُبولُ صَارِخَاتٌ فى الغُبَارِ
حَوْلَهَــا الحَلْقَةُ ماجَتْ فى مَدَارِ
نَقَــزتْ مِــلءَ الليَّــالِى
تَحْتَ رايــاتٍ طِــوَالِ
كَسَفِينٍ ذى سُــوَّارِ
فى عُبَـــابٍ كالْجِبَـــالِ

* * *

وتدانَتْ أنفُسُ القَوْمِ عناقاً واصْطِفَاقا

وتَسَاقوْا نَشْوَةً طابَتْ مَذَاقــا

ومــكانُ الأرْجُلِ الوَلْهَى طُيُــورُ

فى الجلابيبِ تَثُــورُ .. وتَدُورُ

تَتَهـــاوَى فى شِرَاكِ

ثم تَسْتَنْفِرُ جَــرْحَى وتَلُــوبُ

فى الشِّــبَاكِ

مِثْلَمَـــا شَبَّ لَهيبُ

* * *

وعلا فوقَ صدى الطبــلِ الكَرِيرُ

كُلُّ جسمٍ جَــدْولٌ فيــه خَرِيرُ

ومشى فى حَلْقَةِ الذِّكْرِ فُتُــورُ

لَحْظَةً يَذْهَلُ فيها الجِسْمُ والروح تُنِيرُ

وعيونُ الشَّيخ أُغْمِضْنَ عَلى كَوْنٍ به حُلْمٌ كبيــرُ

* * *

والمُقَــدَّمْ

يَتَغَــنَّى يَرْفَــعُ الصَّوْتَ عَلِيًّــا

وتَقَــــدَّمْ

يقْــرَعُ الطبــلَ الحَمِيًّــا

وَرَمَى الذِّكْرَ وَزَمْــزَمْ
وانحُنتْ حَلْقَتُــهُ حِينَ انْحنَى
واستَقَامَتْ وهَوَتْ والطبلُ نارٌ تَتَضرَّمْ
وتَصَدَّى ولَــدُ الشَّيْخ وَتَرْجَــمْ
حيثُ للقطبِ حضُــورُ
وتداعَى وتَهَــدَّمْ

* * *

وينَادي مُنْشِدٌ شيخاً هو التمساحُ
يحْمى عرشَه المَضْفُورَ مِنْ مَوْجِ الدَّمِيرهَ
نَدَبُوهُ لِلمُلِمَّاتِ الخَطِيــرَهْ
شَــاعِرٌ أَوحَى لَهُ شيخُ الطريقَهْ
زاهِــدٌ قــد جعل الزُّهْــدَ غِـنَى
فلــهُ من رُقَــعِ الجُبَّةِ أَلْواناً حَدِيقَهْ
والعَصَــا فى غُرْبَــةِ الدُّنيا رَفِيقَهْ
ولَــهُ من سُبْحَةِ اللأَّلُوبِ عقْــدُ
ومن الحيــرانِ جُنْــدُ
ولــهُ طَاقِيــةٌ ذاتُ قُرونِ
نَهَضَتْ فــوْقَ جبينِ
واسعٍ رَقَّــقَــهُ ضوءُ اليَقين

* * *

وفَتًى فِى حَلْبَةِ الطَّارِ تَثَنَّى
وتَأَنَّى
وَبِيُمْنَــاهُ عصَاهُ تَتَحنَّى
لَعِبــاً حَرَّكَهُ المَدَّاحُ غَــنَّى ...
... رَاجِــعَ الخَطْوِ بَطَــارِ
رَجَّــع الشَــوقَ وَحَنَّــا
وحَوَالَيْهِ المُحِبُّونَ يُشِيلُون صلاةً وسَلاَمَا
ويذُوبُــونَ هُيَامَــا
ويهزُّونَ العِصِيَّــا
ويَصيحُونَ به أَبْشِرْ لَقَدْ نِلْتَ المَرَامَا

* * *

صَلِّ يارِبِّ على المُدَّثِّــر
وأَعِــنِّى وانْصرِ
بشــفيع الناسِ يَوْمَ المَحْشَرِ
الذى يَسْقى صفــاء الكَوثَر

* * *

وهنا فى الجانب الآخَرِ أَضْواءٌ رِقَاقُ
نشَرَتْ قَــوْسَ قُــزَحْ
من رَجــاءٍ وفَــرَحْ

مِنْ ربيــعٍ في دُجَى اللَّيْــلِ يُرَاقُ
ونُشَـــاقُ
أنْفُسٌ شَتَّى وَبُــطءٌ واسْتِبَاقُ

* * *

وفتاةٍ لَوْنُها الأَسْمَرُ من ظِلِّ الحِجَابِ
تَتَهادَى في شَبابٍ وارْتِيَــابِ
قدتُحيِّيــكَ وتَدْعُوكَ بأَطرافِ الثِّيَابِ
وهي قَيْـدٌ وانْطِـــلاقُ
واضْطِّرَابٌ واتِّسَـــاقُ
إن نأَت عَنَّــا وأَخفَتهــا الدِّيَارُ
فعروسُ المولدِ الحلوةِ جَلاَّهاالتِّجَارُ
لَبِسَتْ أَلوانَها شَــتَّى أَميره
ما أُحَيْــلاَهَــا صَغِيرَه
وقَفَتْ في كَرْنَفَـالِ
فوقَ عَرْشٍ دُونَه الحَلْوَى كُنُوزٌ ولآلِي
من أَســاطيرِ الخيــالِ

* * *

وهْيَ إنْ تَصْمُتْ ففي أَعينُها الوَسْنَى انْتِــظَارُ
حَــوْلَهــا الأَطفالُ دَارُوا
بِعيُــونٍ تَلْمَعُ الأَلوانُ فيها وتَذِيعُ

وبِهَا مِنْ بَهْجَةٍ رَفَّتْ دُموعْ

* * *

لَهْفَتَا كَمْ عَصَفَ البُؤسُ بأطفالٍ صِغَارِ
وَردُوا المَوْلِدَ بالشَّوْقِ وعَادُوا بالْغُبَار
ويحَ أمٍّ حَسِبُوها
لو أَرَادُوا النَّجْمَ جاءتْ بالدَّرَارِى
وَيْحَهَا تَحْمِلُ سُهْدَ اللَّيلِ فى صَحْوِ النَّهارِ

* * *

رَبِّ أَرْسَلْت يتيماً
قَام بالحَقِّ رَحيماً
قَدْ ذكرناهُ فَهلْ نَذْكُرُ مَنْ أَمْسَى عَدِيمَا

* * *

وهُنَا فى الجانبِ الآخَرِ سُوقْ
هو سوقُ (الزَّلْعَةِ)
وبه طبلٌ وبوقُ
من صرُاخ الرَّغْبَةِ
حَفَلَتْ دَوْلَتُه فى (حلَّةِ)
سَلَبَتْ كُلَّ العُيُونِ
والظُّنُونِ

كيفَ لا يالَذَّةَ الليلِ ويا أُمَّ الفتُــونِ

ربُّها قَلَّبَ عَيْنَيْهِ خَطِيباً فى الجَمَاهِيرِ الغَفِــيرَهْ

مُرْسِــلاً من نَارِه رِيــحَ شِواءِ

تَتَهــادى فى الفَضَــاء

بنِــدَاءٍ لم يَجِــدْ فِينَــا عَصِيًّــا

ودَعَانَا .. ثُمَّ حَيَّــا .. وتَهَيَّــا

* * *

وحواليــهِ الكوانينُ الوَقُورَه

ولهــا من دَاخنِ الفَحْمِ ذَرِيرَهْ

وحريرَهْ ، وضَفِيرَهْ

تَرْشَقُ (الأَسياخُ) فِيهَا

نُظِمَتْ باللَّحْمِ نَظْمَــا

وارتَــوتْ دُهْنــاً وشَحْمَــا

* * *

ودَخَلْنَا مَطْبَخاً زَاطَ ولا قصرَ الامارَهْ

رَبُّــه البادِنُ عَرَّافٌ أَتَتْهُ كُلُّ حَارَهْ

دَارَةً تُعْقَدُ فى آثارِ دَارَهْ

وتَعَشَّيْنَا وأَحْسَسْنَــا أَمانَــا

وشَربنَا وارْتَوَيْنَــا

ومَشَيْنَا ، وشَعَرْنَا بِنُعَاسٍ فى خُطَانَا

وسلامٍ هُوَ لَوْ دَامَ لأَحْمَدْنَا الزَّمَانَا
ومَضَى الليلُ ونادَاني سَرِيرِى والمَنَامْ
فتركتُ المَوْلِدَ السَّاهِرَ خَلْفِى والزِّحَامْ
من نُفُوسٍ رَجَتْ الرِّىَّ ولم يَهْمِلْ غَمَـــامْ
فَهْىَ ظَمْــأَى فى القَتَــامْ

* * *

وبِسَمْعِى الطَّبْلُ دَوَّى من بَعِيــدِ
كوليــدٍ .. فى دُجى اللَّيْلِ وحَيِــدِ

* * *

وبَقَــايا مِنْ نَشِـــيدِ
عَبَرَتْ سَــمْعِىَ طَيْــراَ
فى ظَلاَمٍ بَشَّرَ الآفاقَ بالصُّبْحِ الجِـدِيدِ
والوُعُــــودِ

* * *

رَبِّ فى مَوْطنَى المُسْلِم قَدْ عُدْنَا إلَيْــكَــا
ما اعْتَمَدْنَا رَبَّنَــا إلاَّ عَلَيْكَــا
وذَكَرْنَا الهَــادِىَ المُخْتَارَ ذِكْرىَ
ملأتْ أَرْواحَنَا طُهْراً وصَبْرَا

* * *

صَلِّ يارِبِّ عليــهِ
وتجــاوَزْ عن ذُنُوبِى واغْفِــرِ
وأعِـنِّى بمَتَــابٍ أَكْبَرِ

نشَّال



يَجُوعُ فلا يُبْصِرُ
وشَهْوَتُه اختَلَجَتْ أعْيُنَنَا
وفى كُلِّ عَيْنٍ فَمٌ يَنْظُرُ

* * *

وغَيَّبَتْهُ الجُوعُ فى سَكْرَةٍ
تُصَوِّرُ لُقْمَتَه المُشْتَهَاةَ مَوَائِدَ تَضْحَكُ بالطَّيِّبَاتْ
سَنَابِلُ تُضْمِرُهَا حَبَّةٌ
ولكنَّها فى مَوَاتْ

* * *

وتلك الفلاةُ شَواها الظَّمَا
بها حبَّةٌ هَامِدَةْ

تُشَاهِدُ رَغْمَ العَمَى
يَنَابيعَ خَافِقَةً بالزُّلَالْ
عبابُ السَّرابِ عَلَيْهِ عُبَابُ الرِّمالْ
فَتُدْمِنُ هذا المحالَ عقيم الخيالِ غَصُوفَ العَذَابْ
وتصرُخُ حينَ يَمُرُّ السَّحَابْ

* * *

عذابُ القِفَارِ تَنَفَّسَ هَلْ مِنْ مَزِيدْ
عذابُ البُطُونْ
تَمُرُّ بها الكِسْرَةُ المُشْتَهَاةُ مُرُورَ السَّحَابْ
فَتَشْبَعُ مِنْ غَمَرَاتِ الجُنُونْ

* * *

ويدفَعُ أنفَاسَه الوانِيَاتِ جَرَيْنَ مَعَ الشَّهْوَةِ
إلى مَوْعِدِ
إذا جاءَهُ عاد بالحَسْرَةِ
وكَمْ مَوْلِد
نَعَاهُ وشَيَّعَهُ لِلْغَدِ

* * *

تَرَاهُ المَقَاهِي بأَبْوَابِهَا
تَصِيحُ وتَسْتَوْقِفُ العَابِرين عَلَى مَوْرِدِ
فما يستجيبُ إلى مَقْعَدِ

ولا يستجمُّ بأكوابها
بها النَّاسُ فى مَعْبَدِ
تَعَرَّى لديْهِ البُطونُ وترْنُو العيونُ إلى مَوْقِدِ
يَفُورُ به الشَّاىُ حُلْوَ العبيرِ ضَحُوك الخريرْ
وبَرَّادهُ بينَ أكْوَابِه
وليدٌ غريرْ
يُثَرثِرُ بيْنَ الدُّمَى
وَجرْسُ الملَاعِقِ ذُو لَهْفَةٍ
كَلَغْوِ الطُّيُورْ
* * *
أتَكْذِبُ فى الحىِّ عرَّافةٌ .
عجُوزٌ تَرى الحَظَّ فى الغُرْبةِ
وَكَمْ مِنْ ولىٍّ من اللاَّحِقين دَعَاهُ على الشدَّةِ
فَما خبرُ الوَدع الْمسْتشَارِ كثيرَ اليَقِينْ
ومَا خبرُ الشَّيْخِ ذِي النَّجْدَةِ
* * *
وَحنٌّ إلى الرَّجْعَةِ
ولَيْس هُنالكَ من أوْبَةِ
بِلاَ ذَهبٍ أحْمَرِ
* * *

وأُفـقٍ يَشُـدُّ العيُـونَ حـزينَ الغُـروبْ

بأظـلْاَلِه نَجْمَـةٌ صَافِيـهْ

تَمَسُّ الدَّيَـاجِى بأَهْـدَابِهَـا

تُحرك قَـافِلَـةً سَـارِيَـهْ

تذوبُ وراءَ الغُـرُوبْ

ومَـنْ فـوقهـا أَنْسُـرٌ طَافِيَـهْ

* * *

وراحَ إلى مَسْـجِـدِ

مـع اللَّيْـلِ يَبْحَـثُ عَـنْ مَـرْقَـدِ

إلى حيثُ يَغْـفُـو الأَلَـمْ

لَـدَى جَنَّـةٍ مـن وراء العَـدَمْ

* * *

ونَـامَ ونَـوَّمَ فى جِسْـمِـهِ

سُـهوبَ الأَسـى وجبـالَ التَّعَبْ

وأيقـظَ فيهـا الكَـرَى

كُنُوزاً تـأَلَّـقَ فيها الطعـامُ ورقَّ الشرابُ رفيفَ الذَّهَبْ

وأَحـلامُـه شَـبَحٌ فى شَـبَحْ

فقاقيـعُ سَـارِبَـةٌ من قَـدَحْ

تُبَلِّـلُ أَحْنـاءَهُ بالفَـرَحْ .

* * *

سَجَا اللَّيْلُ إلاَّ رفيفَ النَّسِيمِ وهَمْسَ النُّجُوم خلالَ الظُّلَمْ

لقدْ خَرجَ الثَّوْرُ من نِيرِهِ

بآخِرِ مَقْدُورِهِ

وأطْعَمَهُ الحَقْلُ مِمَّا سَقَى

ويَجْتَرُّ فى تَعَبٍ لَذَّةَ

نَدَاها بأَضْلاَعِه أوْرَقا

وذَوَّبَ من بَأْسِه

فَنَوَّمَ قَرنيهِ فى رأسِهِ

* * *

وعادَ إلى وكرِه طَائرٌ

تَنَامُ على الحُبِّ أوْكَارُه

ومِنْقَارُهُ

يُغَنِّى به جَدْوَلٌ سَلْسَلُ

وفى ريشه أفُقٌ أزْرَقُ

وفَجْرٌ بِنُوَّارِه يَعْبَقُ

* * *

وعاد الصَّبَاحُ ولا مَوْعِدُ

ولكنَّهْ مَوْلِدُ

وعادَ الشَّقِىُّ لآ رَابِهِ

يَجُرُّ سهوبَ الأَسَى

يَجُرُّ جِبَال التَّعَبْ

ويَجرَعُ خَمْرَ السَّغَبْ

وَلمَّا شَوَاهُ جَحيمُ النَّهارَ وأَشْعَلَ في قَدَمَيْهِ اللَّهَبْ

دَعاهُ المَقيلُ بِظلِّ السَّبِيلْ

تُنَامُ لَدَيْهِ بِطانُ الجِرَارِ كَسَاهَا اخْضِرَارْ

وكِيزَانُهَا حَوْلَ أَعْنَاقِها

فأَرْسَل أَدْمُعَه الذّاكِرَهْ

وحَنَّ إلى أُمه الغَابِرَهْ

وأَلفَى تمائمَها الحارِسَاتِ وقَدْ نَسِيتْ بركاتِ الفَقِيرْ

ولَيْسَ بها من رفِيقْ

مُعَلَّقَةً في سُيُورْ

أُطَيْفَالُ قَدْ جَهِلُوا ما المَصِيرْ

وفاكهةٍ يَبِسَتْ في الغُصُونِ وغَوَّرَ فيها العَبِيرْ

* * *

ونَامَ بِظِلِّ السَّبِيلْ

وفى رُوحه جَمْرَةٌ مِنْ غَلِيلْ

* * *

ومَرَّ زَمَانْ

فمالَ على قَلْبِه يَنْظُرُ

هُنَاكَ إلى صَبْرِهِ

فأُلْفَى وَلِيًّا لَدَى قَبْرِه

وزُوَّارُهُ عَلِقُوا بالضَّرِيحْ

تَرِفُّ النُّذُورُ على سِتْرِهِ

غِراساً يطولُ ولا يُثْمِرُ

سِوَى حَسَرَاتٍ على أَهْلِهِ

وجُرْحٍ يَنَامُ عليهِ الجَرِيحْ

* * *

وَيشْتَنْسِرُ

فَلُقْمَتُهُ قَارِعَةْ

تَمُورُ لدَيْهَا الجُمُوعُ خِلالَ الجُمُوعْ

تُفتش عن لقمةٍ ضائعةْ

فما يَلْقُطُونَ سِوَى فَاجِعهْ

* * *

وأدهشَه أن رأى كَفَّهُ

تَطُولُ أصابِعُهَا النَّاحِلَهْ

وفى صَدْرِه زَأَرتْ غَابَةٌ

تَفِحُّ ثعَابِينُهَا الخاتِلَهْ

* * *

ولم يَبْقَ غَيْرُ انْتِظَارْ

ولا مِنْ فِرَارْ

* * *

وفي ضَجَّةِ السُّوقِ والزَّحْمَةِ
رَمى كَفَّهُ النَّاحِلَهْ
تَحطُّ على مَوْجَةٍ جَافِلَهْ
وعادَتْ إليه على خِلْسَةٍ
بشيىءٍ ولكنه لم يَرَهْ
وأَبَصَرَهُ أَحَدُ السَّابِلَهْ

* * *

نَباتٌ علا قَفَصَ المَحْكَمَهْ
يُقَلِّبُ سِحْنَتَهُ الْمُجْرِمَه
وليسَ لَهُ مِنْ جُذُورْ
تَهافَتَ في قَفَصِ المَحْكَمَهْ
يَلُفُّ بِقُضْبَانِه سَاعِدَيْهِ ويَنْظُرُ فِي هُوَّةٍ مُبْهَمَهْ
وقد أَشْرَفَ العَدْلُ مِنْ شُرْفَةٍ
عَلَيْهِ السَّلامْ !
نَظِيفَ الثِيَابِ خَفِيضَ الكَلَامْ
بَطِيناً يُقَلِّبُ أوراقَهُ
ويَعْلِكُ أَشْدَاقَهُ
ويَصْقَلُ مِنْ كُلِّ سِطْرٍ حُسَامْ

* * *

وَكَلْبٍ تَحَرَّقَ فيهِ الجَرَبْ

وكاثَرَ مِنْهُ الشَّعَرْ

وكَشَّرَ يَنْهَشُ مِنْهُ العَصَبْ

فَعَاقَرَ خَمْرَ السَّعَرْ

فَداوَهُ سَيِّدُهُ بالحَجَرْ



الشعرُ والنّار

الخرطوم – نوفمبر ١٩٦٣



أحرقتَ شعرك قُربانا لآلهةٍ أنثى المقادير لا ترضى بقُربانِ
ما أروعَ الراهب البوذيَّ محترقا لم يلق عدلا ولم يظفر بسلوان
نارٌ تأكّلُ في نار وما ولدت إلا رمادَ حزازات وأشجان



عاقرتُ يأسيَ فالاحزانُ ضاحكةٌ ضحك التجاريب من سُخر وأضغان
حتى القصائد قد فارقت مَرْقَصَهَا لأسمعَ الهول في صمتي وأحزاني
أضعتُ عمري في السودان منتظرا حتى يئستُ وطولُ الصبر أنساني
وأثمر العمر شيبا في مشارقه ميلادُ موت كضوءِ الفجر خوّانِ

وقـد عجبت لأشياخ ذوى بصـر — كم يغفـرون بلا مَـنٍّ وإدهـان
باتـوا لـدى (دَامَرِ المَجْذُوبِ)خاشعةً — ترجـو الأُ لـه ولا تشكو لأُ نسان
(من يفعلِ الخيرَ لايَعْدَمْ جوازيَـه) — فكيف أمسـوا وقـد جوزوا بكفران
غضُّـوا العيون على طهرفأن نظـروا — تتبعـوا النـار فى ألـواح قـرآن
وأنت يَا خـدْنى الوافى أخـو ثقـة — منهـم فُطـرت على صبر وأيمان
تغـنَّ بالمِـدَحِ اللاَّئِي طرقتَ بها — بابَ الرسول فحيـاهـا برضوان
واذكـر ـفديتك ـ أوزارى نَسِيتُ بها — نُعمى الحيـاة وقـد حطمت ميزانى
أهـتز شوقا وأعمـى حين يلمسنى — ليلى الغـوىُّ بأكـواب وريحان
لاهُـمَّ صل على الهـادى وشُـدَّ به — أزرى وبارك أطيفـالى وإخـوانى
حملتُ سـري مفضوحاً أكاتمـه — جُـرحا يسيل فطهـرنى بغفـرانِ
آمنتُ بالله نفسـى لستُ أملكهـا — وما نسيتُ وقـد همت بعصيـانِ
عيشى الندامـة مشغُوفا بصحبتها — مـع الذنوب وهـذا العيش أعيانى
يارب حسبى من شجـو أنوءُ بـه — أنى غريب وما فارقت أوطانى
ما أروع الراهب البـوذي محترقا — لم يلـق عدلا ولم يظفـر بسلوان
نـارٌ تأكّـلُ فى نـار ومـا ولدت — إلا رمـاد حـزازات وأشـجان
وأيـن ريـْكَ والنيرَان قـد شربت — دمعـا ترقـرق فى حنّـات أوزان
نَسيتَ مثـلى فى النيلـين منفـردا — يبغى الحيـاة بلا نصر وأعـوان
جَـرَّبْتُ ثُـكلا وتغرِيباً وقدبليت — أيـامُ عمـرى فى أقيـاد سـجان
كَهْلٌ ينُـادِمُ أشعاراً حبـوت بها — ناراً لديك فقـد ضيعتَ نَدْمَـانى

تَغَــنٌّ بالشــافع الهادى وعــدٌ بنا ... إلى الصبــا وتوسم فيه أَخْــدَانِى

فــوق البروش جلسنا حــادبين على ... ديوان شعر مــع الأشواق سهران

يارب صــل وســلم دائما أَبــدا ... صــلاةَ حب على الهــادى وشكران

وفى البيوت غمامَاتٌ أَفَضْنَ لنــا ... مــا رقّــق العيشُ من قمــحٍ وألبان

والطَّبــل يخفق والظلســاءُ مصغيةٌ ... والثاقبــات إوزٌ بِينَ غُــدْرَان

يارب صل وسـلم دائما أَبــدا ... صــلاة حب على الهــادى وشكران

وشــيخُنا البَــرُّ يصغى لانُحسٌ به ... إلا خيــالا تَــرَاءَىَ بيــن حِيران

حُلْــوُ الشَّمائل مستور بهيبَتِــــه ... وقــد تواضــع فى إطــراق وسنان

تــدور من حوله الدنيا وأَخجلهــا ... بزهــده الحــر فى نُوارها الفَانى

يارب وارْضَ عن (المجذوب) أرقَّــه ... ما كابد الأهــلُ من تُــرْك وجيران

آوى إلى الشــافع الهادى حقيقتُــه ... ذاتُ المهيمــن من علــم وإمــكان

رفَّت على القبــة الخضراء مِدْحَتُــه ... حمامــةً بهــرت أوتارَ حســان

ذابت من الحب تَسْتَسْقِي لواعجــه ... وما زجته بأَفــراح وأَحــزان

فامدح، فديتك، واذكر ما نسيتَ، أخا ... كهــلا تهــوَّر فى بؤس وخذلان

واســأَل له الله غفــرانا ومعــذرة ... وقــد نشــأْتَ على طهــر وإيمــان

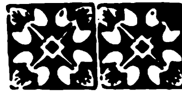
* * *

ياليــلُ قــد علمت ليلى مفارقــةً ... فكيف تخلــط ميعــادا بهجــرانِ

قــد كان حبك أمنا ما اشتهيتُ به ... إلا حديثَــك يَبْلُــونى ويرعــانى

صافيتُ حبَّــك أدهــارا حِسبْتُ بها ... أنى ســلوت وبرد الشيب أنسانى

وأن نسيتُ ففــي الأَضلاع منتظر | يصغي إلى الشــوق من وعد وكتمان
الله يعلــم ما فى الأَرض من رحــم | فيرسل الغيث من زهــر وأكنــان
وغــرَّد الكــرم فى الأكواب نَادَمها | صمتى يُحــدث عن حبى وأشجانى
وبت أدعــوكِ خلف الليــل نائيــة | وخف عطــرُك تحت الليل يلقانى
هاتوا لى الكأس لم أنقع بها ظمــأً | حتى أُعلــل عنــد اليــأس أحزانى
هــذى كؤوسى لــم تبصر واطفأَها | رمــادُ شــيبى مغبــونا وإذعــانى
وأين كأسى شاقتنى رُطانتها | لــدى منــازلِ أحبــاش ويونــان
ياويــح دنيــاى قد زافت بزخرفها | بين البراكين لم تحفــل ببركان
ماأروع الراهب البوذى محترقا | لــم يلــق عــدلا ولم يظفر بسلوان
يــا مانح النــار إحسانا وموهبــةً | صَوْنا لذاتــك من صــم وعميان
المــوتُ رِىٌّ ولا رِىٌّ وكــم قدحت | سحبُ المقــابر برقا غير هتــان
وهــاك شعرا على عِلاَّتِــه حملت | أوتادُه الكــرم يرنــو بين أفنــان
رَفعتُــه لــك عرفانا لمــا غَرسَتْ | يــداك عنــدى مــن شُكْــرٍ وعرفان



اين السـلام

١٩٣٩



هيهـات ما رقد الشجى ولا ونى   شـوق لـه بـين الضلوع ضرامُ
لم يشفنى منـك الحديث ومسمعى   قفـر تضـل بعصفه الأنغـامُ
إنى أعيذك من خواطر يائس   نـور الصبـاح على أساه ظـلام
صورت فى نفسى الحياة فلم تلـح   للعـين فهْـى من المـنى أحـلام
ياويـح قلبى كيف عـذب عيشـه   هـذا الخيـال وهـذه الأوهـام
من لى بقلب لا يجيش وعلمـه   أن الحيـاة سـكينـة وسـلام

بين المالحِ وبحرِ الغزال

واو – ينــاير – فبــراير ١٩٥٤



صبــرتُ وما هــانت عليَّ الشدائدُ   وإنَّ فُــؤادى فى الأعاليل زاهــدُ

تركتُ ورائى يَمَّ (بَرْغوثَ) فالذرى   أُصَعِّــدُ فيها وهْــيَ مثلى صَــواعِد

.. عناءٌ ولاحت خَلْفَ رَكْبِى كأنَّها   غريــقٌ تــراءى منــه وجْــهٌ وسَاعِدُ

وضاعت لدى الآفاقِ والسهلُ حولَها   كَــدَمْــعٍ تُلاشيه الجفونُ الجَوامِدُ

وفاضَت بأُجْرِينَ الرِّمالُ .. عُبابُها   يَســيل بــه أُفــقُ الفــلا وهو جامد

وطبَّــقَ عَيْنَيَّ المَلاَ وهْوَ طامِسٌ   ولا أُفْــقَ لى إلاَّ عيــونى السَّواهِدُ

وبلَّــلَ عنــد الفجــر قلبى وخاطرى   نَســيمٌ بــه دوْمُ (النُّخَيلَــةِ) وافِــدُ

يجوز إليَّ البيد بُشرى بشاطئ شبابِيَ من أحلامه والنَّشائدُ
وضَوًّا عينى بعد أيْنٍ وظُلْمَةٍ من النيل وَمْضٌ رَيِّقُ اللمح بارد
وفى جانبى حِبٌّ أرى الشوق هاجه وقد وضَحَت خَلْفَ (الكُوَيْبِ) المساجد
وشتّان شوقانا فقد حَنَّ قلبُها غريراً وشاقتنى الهمومُ المَواقِدُ
يُحدِّثنى مستضحكا وهو سافِرٌ فهل غفلت عنه العيونُ الحواسد
أناديه صبرا دونك الربعُ فاتئد كما تُحْسِنُ الكتمانَ فيه الخَرائِد
ويخفِضُ عينا ما رأت غيرَ أعينى وليس له إلاَّ بعينىَّ رائدُ
ولاَذَتْ بِثَوْبٍ مُرهَفِ النسج أبكَمٍ وإن نطقت فى ما أغَمَّ القلائدُ
وكم باتَ يشفينى من الشوق والهوى فكيف تصبَّانى سواهُ الموارد

* * *

سَلامٌ رحابَ الشيخ وافاكِ لائذٌ تخوَّنه فى الدَّهْرِ قَلْبٌ وساعِدُ
فَتىً ثائرٌ لكنه اليوم عاثرٌ شَقِىٌّ إلى آلامه الصُمِّ عائدُ
وَيَا (دَامَرَ المَجْذُوب) لو بِتُّ مُفْصِحاً لأسلمنى من بات عنى يُجالِدُ
عَبدْنَاكِ صبياناً فلما تفتَّحَتْ تَمائمُنا جارت عَلَيْنَا المَعَابِدُ
ولولا قبورٌ فىَّ تحيا وسَالِفٌ من العيش ما باتت لديك الوَسَائدُ
أغُضُّ بأجفانى حياءً وذِلّةً ولكننى فى شرع ناديك مَارِدُ
أقاربُ نهَّاضُون للشر بينهم فكيف نماهم أولَ الدهر والد

* * *

وأطلق رَكْبى مدَّه من أعنَّةٍ مُعَرْبِدَةٍ رَنَّتْ عليها الحدائد
قِطارٌ تطير الأرضُ إن دار تحته ويَلْتَقِمُ الوديانَ والسَفْرُ قاعِدُ

تَطايَرَ فى (الزَّيْدَابِ) أولُ زمـره ... وأَصْدَاؤه فى صدرِ (شَنْدِى) رَواعِـدُ
وحثٌ بنا جِسْرٌ على النيل أَخْضَرٌ ... تُضَاحِكه - مِلْءَ الرِياض - المعاهِـدُ
وأَطْلَعَتِ الخرطومُ صبحا عَرفتُـه ... وجانَبْتُـه حَسْبِى مِنَ الشَّوْقِ وَاحِـدُ
لها فِتْنَةٌ فى (المُلْتقَى) وهو سَاكِرٌ ... تَعَـاوَرَهُ وِلدْانُهَـا والولائــدُ
فمن مبلـغ عنى الفقيــهَ مُحمَّـداً ... أخى (كرَفا) أنى لذكراه حامـد
تكنَّفَ أيَّامـى خليعـاً وَوَدَّنِـى ... وَلَـمْ تُقْصِـهِ منى الطبَاعُ الأَوَابِدُ

* * *

وَمنَّيْتُ نفسى بالدُّوَيْم فَعِنْـدَهُ ... أَخٌ لِىَ حُـرٌ واضحُ الوَجْهِ مَـاجدُ
فَـتًى عَـرَبِىٌّ الوجهِ والكَفٌّ شَاعِرٌ ... صَبُورٌ على الجُلَّى عَن الحق ذائِـدُ
عفيفُ الخُطى كالسَّيْفِ رأياً ولم تَكُنْ ... لِتَشْهَرَهُ إلاَّ العُـلاَ والمحـامـدُ
بشاشة رُوحِى يقتُل الهَـمَّ ذِكْـرهُ ... وزادُ حيـاتى والوفِىُّ المُعَـاقِـدُ
وأُرسلُ عيـنى وهى عيـنٌ كليلـةٌ ... تَعـودُ وما فيها بما شئتُ وافـد
فياصاحبى إن جاز ركبى ولم يعـج ... إليـك وأنْآنِى حُـداءٌ معُـانِـدُ
أحييك فى نفسى على البعدخاطرى ... لَـدَيْكَ وأَحلامُ الصِّبَـا والقَصائِدُ
وإن رَقَّ كُـوبٌ فى لياليكَ خَافِـقٌ ... فذلـك قلـبى مـلءُ كفيَّكَ وَاقِـدُ

* * *

وجاوزتُ من عمرى ثلاثينَ حِجَّـةً ... وَخَمْسـاً ولم تُصْدِقْ هُوىً المَواعِـدُ
قواريرُ من صُنْعِى وقَـدْ حالَ خَمْرُهَا ... سِماماً ولكـنِّى ظَمِـىٌ مُعَــاوِدُ
وكم جُرْعَة من حانةِ الغيبَ لَيْلُهَـا ... صَرِيعٌ لـدى أَبـوابها السُّحْمِ هامد

وتَسْقِيــه أُخــرى فهو ينجو وَرَدَّهُ ... من الصُّبْــح جَزَّارٌ عليه المجَــاسِدُ
وتابعتْ أَيَّامِى سِــفَاراً وَغُرْبَــةً ... وصَبَّحنى بالجُــورِ دَهْــرٌ مُطَــارِدُ
وأَيْنَ من(الجُورِ) الدُّوَيْمُ وصاحبٌ ... بِحَلْفَــا على أمــنٍ رَمَتْــهُ القَواصِدُ
لــه الله لم يعرف خِلاباً وخِــدْعــةً ... تُطَــوِّقُ رجليــه القيــودُ البَوَارِدُ
أَقــولُ له صبــرا فيا ويحَ قلبِــه ... تُقَلِّبُــه أَشْــجانه والمَواجِــدُ
إذا ادَّعت الأُخــرى له الأَجرعادلاً ... على غَبْنِــه فالظلــمُ والعدلُ واحِدٌ

* * *

وبلَّــلَ سِتْــرَ الليــلِ دَمْعِى تَكُفُّــه ... قَسيمــةُ عمــرى والنجىُّ المُسَاعِــدُ
فيا عجباً منها على الصبر ! فاتها ... على يُتْمهــا رَبْــعٌ شَــطونٌ وَوَالِدُ

* * *

تركتُ بلادا فى الجلابيبُ عُــوَّماً ... إلى بلــد فيــه الثيــابُ قَلائِــدُ
ولا يعــرفون العــار ، والثوبُ خادعاً ... هــو العــار ، كم تَخْفَى لديه المكايدُ
وعندى غض العين فى العُرْىِ ما الذى ... نطالــعُ فى أَوضاحــه وهو شَاهِــدُ
وخيَّلتُ يُسرا بين قَوْم شُــغوفُهم ... رَمَــادٌ وأَغناهــم على الطين راقــد
يبيعــوننى فــأْراً تردى بَفَــرْوِهِ ... نسيــلاً كما يلتفُّ بالقُنْــع زاهــد
فلم أَلق إلا عُسْرَةَ العيشِ خلْــتُهُــا ... ورائىَ إذ ركبى لدى الغــاب شارد
فيا ويــح زوجى كل يوم تحثــنى ... وأَحْلِبُ لم تَرْحَمْ يَــدَىَّ الجلامِــدُ
وياويــح سَعْيِى من خداعى أَردُّه ... إليــه مــتى عــزت علىَّ المــوارد
جهادٌ ومــا يسلو إلى غير غايــة ... وأَســخر مــن آمــاله وهــو كاسد

* * *

وأرْعَشَنِي بَرْقٌ مُرِشٌ رمادُهُ ... بعيني وصدري منه كالسُّحْبِ رَاعِدُ
يُكَمِّشُ حِسِّي منه ومَضٌ أَشَمُّه ... وأحيا كما تحيا البذُورُ الهوامدُ
إذا ابتلعَ الحوتُ النَّبِيَّ فإنني ... تطيرُ بأعراقي البروقُ الشَّوارِدُ
ولم أسمع التسبيحَ منى كأنني ... هجَسْتُ به والصوتُ في الرَّعْدِ بائدُ
تَشَنَّجَ هذا الكونُ من أَجْلِ قطرةٍ ... كما اعتصر الأشواقَ أُمٌّ ووالدُ
وهللَّ برق في السموات مُتْرَعٌ ... تَهَشُّ له حتى الصخورُ الجلامِدُ
وأعقبَ مَخْضَ السُّحب أمنٌ وبهجةٌ ... وفي كلِّ شيء ساحرُ البَعْثِ لابِدُ
فيا لهفتَا خالفتُ قلبي فليتني ... شربت نداماىَ النجومْ العرابد
فإن كان في الأخرى جزائي فهل لها ... جزاءٌ فهذا النجم كاللصِّ هاجدُ
ولي ألفُ نفسٍ كلُّ نفس بمُنْيَة ... فيا ويحَ جسمي قسَّمتْه المقاصد
وياليتني لم أخش رَبًّا عَرَفْتُه ... وما هوربٌ مثلما قيل حَاسِدُ
وياليتني لم أوت عقلا فلم يَضِرْ ... حَياتيَ عقلٌ جَاهِل الليل وَاقِدُ
وفتَّحتُ أزهاري وأرسلتُ كرمتي ... عرائشَ فيها من هَواى العناقِدُ
أكُلُّ بلائي كان من أجل خِرْقَة ... وكسرةِ عيش خلفهَا العمرُ جاهدُ
وتابوتِ أشباخٍ بنفسي حملته ... شريعتُهم أقداسُه والعقائد
تَبَرَّأَ شرع الله من كل قِسْمَةٍ ... بها الناس أضرابٌ : شكورٌ وجاحدُ
لنا وهب الدنيا جميعها تحية ... لذاذتُها صبحٌ على الحبِّ خالدُ

* * *

لحا الله (واوا) كم أعدت لفاجر ... وأيْسَرُ ما تحبو الثُدِيُّ النواهد

فمن مبلـغٌ صحبى مع الليلِ ضمهم ... زُقاقٌ لأرباب الغِوايات راصد

يدقون بالفِضِّى باباً مُغلَّقاً ... ومن خلفه ظَبْىٌ عجوزٌ مُعاند

هُنَا كلُّ شىء واضحٌ غير أنه ... على غَفْلَةٍ أروى بها السهمَ صائد

ولكننى ، والأمرُ لله ، مؤمن ... على حذر جَمٌّ المعاذير عابد

ويارب هذا ناظرى كم رَدَدْتُه ... ولكنه كِمٌّ به الطَلُّ عَاقِدُ

وهبنىَ أعمى كم عيون بخاطرى ... لها نَدَحٌ عن خافقى وهوسَاجِدُ

وياصاحبى هل فى سراب رَمَقْتُه ... جُنَاحٌ وقلبى لَوَّحَتْهُ الفَدافِدُ

وخَوَّفْتَنِى غُرْماً ثقيلا وشُهْرةً ... فلاتَخْش طارت من يَدَىَّ المَقَالِدُ

لك الخَيرُ فاذكر من نُهاك تَقِيَّةً ... بها حُجِبَتْ عن لا تُميكَ الخرائدُ

أخذتَ بها ياصاح أخذاً موَفَّقاً ... هُو السِّحْرُ تَغْنُو فى رُقَاه الأَسَاوِدُ

كذلك أشياخى القُدامى وإنهم ... بِبُرْدَيْك ماضيهم طريفٌ وتالدُ

أُحييك عن حُبٍّ عتيق جعلتُه ... شرابىَ إذ كوبى على الصوم خامد

أَجزْنِى بأَسطار مع الريح تغتدى ... إليكَ وحسبى وُدُّكم وهو خالد

* * *

سأَسعى بلارزق وحسبى عيالمٌ ... من الشَّوق فيها (سِندبادٌ) مُجالد

بِساَّط ورخٌ لايبالى وَمَرْكِبٌ ... وكنزٌ من الاحلام فى الروح واقد

وصبرىَ خَمْرٌ تشتهى فهى مَرْقَدٌ ... ونهدٌ هو الكوب الرَّوِىٌّ المُعَاوِدُ

الهــجر

١٩٣٩



فى ثغــــرك الحلو الحبيب خواطــر	بســامــة هــى فى الضلوع حنــين
تخضل بالألحــان إلا أنهــا	لمـا نسـيتِ هــواجس وظنـــون

المصير

بورتسودان ١٥ر١٢ر١٩٥٢



ضَلَلْتُ فلم أَظفر بعينٍ ولا يدِ … إما مِي حَدُّ السيفِ.. لو كنتُ أهتدِي
تَبَلَّجَ صبُحى منه.. لاصبْحُ ليلةٍ … إذا غابَ أَلْهَتْني الليَّالى بفَرْقَدِ
وفى ومضهِ الظامى عيونٌ سواهدٌ … ولكنَّها فى رِقْبَةٍ غيرُ سُهَّد
يُعانقُ غصبا ومضُها كلَّ مهجةٍ … ويطوى لظاها كُلَّ عمرمُمَدَّدِ.



نَسيتُ شبابى غيرَ نَفْسٍ مشوقة … إلى النور تجفو غيره كلَّ مورد
رفعتُ لها قلبى سراجا فويحَه … كنجم على نَهر لعوب مُبَدَّدِ

تمــزقه الأريــاحُ فى كلِّ وِجْهَــةٍ ... وتطمســه الظلمــاءُ فى كلِّ مرقــد
أأنتظــرُ الآفــاقَ عمــرى وأنثــنى ... على أسفٍ ضــاوٍ بجَنْبَــىَّ مُقْعَــدِ
سَــعيتُ فــراراً منــه حتى أعادنى ... إليه الدجى عــودَ الرقيق المشــرَّدِ
وأمسِــكُ رأسى وهو يهفو إلى الثــرى ... تهاوُتَ أوراق الخــريف المُجَــرَّدِ
وطــنٌ بأُذنى خاطــرٌ ماعــرفتُــه ... يصيحُ كبرق فى سَــحَابٍ مُلَبَّــدِ
رعى اللهُ عينى كم ترى حين خاطرى ... يضلُّ بأُفــق فى ظنــونٍ موسَّــد
فثــارَ فُــؤادى وهــو شيخٌ موقَّــرٌ ... وزَافَ بصــدرى مثلَ دُفٍّ معربــد
لقد كان عــرَّافَ الأمانى وهــذه ... بشــائره بعــد الأســى والتلَــدُّدِ
أَلِيَسمعُ مِن شيخكان زَغْلناً تحــدَّرت ... زَمَــازِمُهُ حــول النحــاس المغُــرِّد
فهــاجَ بحلفــا قــبرَ عثمانَ لفَّــه ... كسَيف على ثَــأْرٍ ينــاجيه مُغْمَــدِ
وأسمعَ شيخى غابراً من نشــيدِهِ ... وهاجَ ابنَ مَنْصُــورٍ قتيلاً بمسجد



وأصبحتُ ما صدَّقتُ ظنىَّ وأعينى ... تَصيحُ ألاانْظُــرْ هبَّــةَ الفجر واشْهَدِ
وجمَّعتُ أشلائى وناديتُ عَــزْمَــةً ... مبــددَةً إثْــرَ الفؤادِ المُبَــدَّد
ومن عجب لم أسترحْ من هَواجِسٍ ... يَبُثُّ بها فى الضوءِ ظِلُّ التَــردُّدِ
وما ضاحكتنى فرحــةٌ قد دفنتها ... زمــان الأسى .. هيهات أُنْسِى بمُلْحَدِ
ولكننى – والأمر لله – حَــاقِــدٌ ... أسامر حِقْــدِى بالشَّمَاتِ المُــبَرَّدِ
وليس بوجهى – إنمــا بجوانحــى ... تبسُّــمُ شيخ حاقد الشيب أدْردِ
جَبِينِى صخــرٌ لايبــالى وهل شَفَى ... سُرَى المَاء يَجْرى بينَ أحناءِ جَلْمَدِ

بذلتُ جبيني للرزايا وأعيني على وطن دامي العشيّاتِ مُقْصَدِ
وياوَطني خمسونَ عاماً تصرمَّتْ حَجَلْتَ بها حَجْلَ الأسيرِ المُصَفَّدِ
رفعتَ عليها رايةَ النصرِ في يد ومزقتَ ثعبانا من القيد في يَد
فمن لِي بلُقيا من تَوَلَّوا وأزمَعُوا إلى كررى بَيْناً على غير موعد
غرستم لواءً في دماءٍ خصيبةٍ فجشْنَ بغاب من رِمَاح مُحَشَّدِ
وثُرنا فهذا النيلُ أرْسَالُ مَوْجِهِ سيوفٌ تَنَادَى فوقَ دِرْعٍ مُزَرَّدِ
تُشير إلى أعدائنا في قرارةٍ تَصيح بسيَّافٍ على كل مَرْصَدِ

* * *

بني وطني للنار في كل بقعة لسانُ دخانٍ في السموات أَسْوَدِ
يصيحُ بكم ثوروا على كل كافر بدمع الضَحَايَا والدماءِ مُعَمَّدِ
لكم جِيرةٌ في كينيا قد تَمَردُّوا وأشربهم (جومو) سُلَافَ التمرد
طوى الغَابُ مِنْ أسراره كلَّ ضيغم أبى الدم إلا مِلْءَ خَدٍّ مُوَرَّدِ
فلا تَرْحَمُوا لم تبقَ في الأرض رَحْمَةٌ وإلاَّ هلكْتُم بين عِيسى وأَحْمَدِ

الطوفان



سفينة نوح رحِمٌ عذراء

رسا على الجُوديِّ فكانت منه الحياة

* * *

وتابوت مُوسى رَحِمْ

وصليب عيسى رحم

وغار حراء رَحِمْ

* * *

وعادَ الطوفانُ ولا سفينَة

ولا تابوت ولاصليب ولاحِراء

فاين المفرْ ؟

إلى القمر !

أتهربُ الأَرضُ من نفسها

وتبحث عن جنسها !

مــن أنـــا

الخرطوم ١٩٦١



نَسيتُ حقيقةَ الأشياءِ لَمّا ... لَمَسْتُ وسادَتي تَحْتَ الظَّلامِ
تُحدِّثُني فأسمعُ من صَداهَا ... صفاءَ الرُّوح أطلقها منامى
وحين هفتْ إلىَّ عَمِيتُ عنها ... وقد عَمِيتْ ونحن على التزام
تلاقَينا لنشهد ما علمنا ... وعدتُ ولم أجد إلا حطامى
أداعيَنا إلى ألم وشوق ... دعوتَ وما بذلتَ سوى الأوَامِ



أقمْتُ لدى المساجدِ حدَّثتْنِي ... بأخبارٍ صَغَوْتُ لها جِسَامِ
وأنظرُ فى محارِبهَا وأرنو ... إلى جِسْمي يتوقُ إلى سَلام
وتسحرُنى الكنيسةُ إذْ تُغنِّى ... تَرِقُّ بها الصلاةُ مع المُدَامِ
غمَامٌ ليس يَسْقِينى ويَمْضِي ... فأهفو بعد ذاك إلى غمامِ
وكَمْ حجرٍ رأيتُ به نُقُوشاً ... وعَيْتُ كلامها ووعتْ كَلاَمِي
وأبْهَمَ حينَ لم تُسْفِر بنفسى ... معانٍ كالنُّقُوشِ على الرَّجام

أســمر

١٦ر٦ر١٩٤٤



أنْــدَسٌ في لــونه وأَضْطَّــرِبُ فَجْــرٌ بِهِــفٍّ الغَــمام يَنْتَقِبُ
يــادُرَّةً في الظلام ضَاءَ بها الظِـــلٌّ ورقَّتْ بنــورها الحُــجُبُ
لأَ نْتَ وَمْضُ العيــون روَّقــه بَــدْرُ الدجى وازْدَهى بــه العِنَبُ



ضحِكْتَ يافجــرُ للوجــودِ الذى خــفَّ بــه مِــنْ ضيائك الطَّرَبُ
تــابق الكــونُ كَــىْ يــراكَ وَقدْ جَارَأَشَـــمٌّ تَلُــومُــه الهُضُبُ
كأنها صِبْيَـــةٌ وأنْتَ حنــانُ الأمِّ في حَــيرةٍ بهــا عَجَبُ
والسَّهْلُ يــدْرِى بأَنَّ حُبَّــكَ لايَنســادُ لم تَشْــتَجِـرْ به الرُّحبُ
ومِشْــتَ في روضــةِ الحيــاةِ فَمَــا راقَكَ إلاَّ العبــيرُ ينســرِبُ
أنْبَتِــنى رَبُّهــا فكنتُ بهــا شَــوْكاً بِحُبٍّ الوُرود يَلْتَهِبُ
غَيْرَانُ هلْ يَحْرُسُ الورودَ أمِ العجْــزُ وكم يُشْبِهُ الهوى الغَضَبُ
إن ســاءَ شــكلاً فما بِحِدَّتِـــهِ شَرٌّ ولكــنْ مشاعــرٌ تَجِــبُ
ما أفــرحتــه الحيــاة قاسيةً وقــد جَفــاهُ الحنــان واللَّعِبُ
فإنْ أراد المِــراح طــاشَ بــه سُــكْــرٌ عليه الأكُف تختضِبُ
مُسَــيَّرٌ طبعُــه الخَسَــارُ إذا سَــعَى ويَأْسٌ إليــه يَنْقَلِــبُ
فَمِــلْ على حــدِّه على حــذَرٍ فإنَّــهُ في الغُصــونِ يحْتَجِبُ

الأمَلُ الخالد



أمـا الحنينُ فقلبى من مَجَامِرِه … عِطْـرٌ يتيـهُ مـع الأنسام رَقْرَاقَـا

وكم تلمَّسَ أَخْضَـانًا مُنَعمَّـةً … وضَاعَ فى الريح تَبْنِي الرَّمْلَ أَطْبَاقَـا

ولو تحققتِ الآمـالُ ما سَعِدَتْ … نفسى ولابِتُّ أَقْضِي العُمْرَ مُشْتَاقَـا

ظلامُ أَمسىَ أشـواقٌ وليلُ غـدى … واليومُ بالشوق مثلُ النجمِ خَفَّاقَـا

كُنْ ذَا أَمـانٍ ولاتحَذرْ عـواقبَـه … دَهْـراً شُكوكاً تُعانِيها وإشفَاقَـا

مرارةُ الخمـر كالأعراضِ تُدمِنُها … فتستريح وإن زَادَتْـكَ إرْهَـاقَـا

وما الأمانى سِوَى ظِلٍّ ظَفِرْتُ به … طَيفاً مـع النَّفْسِ كالأيمانِ مُنْسَاقَا

أَمـا الفنـاءُ فإنى لستُ أرهبُه … ما دَامَ صَمْتًا كما أبغى وأطْرَاقَـا

قـد كنتُ منهُ ، ومَنْ يدْرِي لَعلَّ به … مهْـداً جَديداً وأوطـاراً وأَرْفَـاقَـا

اما الحياةُ فلى عين تُحِسُّ بِهَـا … كالعينِ تَبْعَثُ أَوكَاناً وأَوْرَاقَـا

ولى فؤادٌ هُـوَ الدُّنيـا وما حَمَلتْ … مَهْـداً ولَحْـداً وإمساكاً وإطْـلاقَا

فكيفَ أُعرض عنها وهى دَانيةٌ   وأشتكى بلسانِ الغيظِ إخْفَاقَا
والكرْمُ لم تَنْسهُ الأكوابُ ضَافِرةً   من الحبابِ على ذكراه أطواقَا
وكم مرضتُ فكان السقمُ ذا سَمَرٍ   بعدَ النَّدامَى وما آلوه إنْفَاقَا
أليسَ يَهْمِسُ فى سَمْعِى بعَافِيَةٍ   قدْ زادَها البَيْنُ إحساناً وأشواقَا
ضاقَ (المعرى) فلم يأنس بوحدته   حتى جَفَتْهُ مُطارُ العقلِ خَفَّاقَا
لو خالَ ظُلْمَتَهُ ، من قبل مولده   حَشَّى تَعَهَّدَهُ ، لَم يَبْكِ إشْرَاقَا
أبو العَلاءِ بِهِ غيظٌ أيودعُه   لا تَكْتُمُ السرَّ أقْلاماً وأورَاقَا
وفيم فَكَّرَ خَلْفَ العيش متَّسَعٌ   للفكرِ لو كَانَ لِلَّذَاتِ سبَّاقَا
لو كانَ ذا أملٍ حُلْوٍ لكانَ لهُ   طِفْلاً يدومُ له فى الخُلْدِ ميثَاقَا
وا رحمتاهُ لقلبٍ فى أضالعه   أضناهُ زَجْراً وإنكاراً وإغْلاقَا
عَاشَ الليالى وما يَدْرى نِهَايَتَهَا   ولا يُبالى بها شُهْدا وغَسَّاقَا
ياويحَ ذا الشيخ فَرْداً ليس آفتُهُ   الا الحَياءُ نَفى طَبْعا وَأرْزَاقَا
يا دمعُ فاجْرِ لهذَا الشيخ ليسَ له   الا التحسر إخْمَاداً وإحْرَاقَا
عَذَّبْتَ نفسَكَ لاشَوْقاً لراحَتِها   وإنما حَذَراً منها وإشْفَاقَا

* * *

أنت الغريبُ على الدنيا بأجمعها   على فؤادك لاَ يَبْلُوكَ دَقَّاقَا
هَلاً على الارض والدُّنْيَا بما جَمَعَتْ   وهماً لِوَهْم وإنْفَاقاً وإغداقَا
بَشَّارُ ذاقَ مِنَ الدنيا حَلاوَتَها   وكان أروعَ أوْصافَا وأخْلاَقَا
كالدَّنِّ مظهَرُهُ الجافِى ومَخْبَرُه   كالخمرِ تَنْبُتُ فى الأحلامِ أعراقَا

خدورُ بغداد تمضى الليلَ مُسْهِرَةً له قُلوباً وآذانا وأحْداقَا
تَسْرِى المواكبُ منها فى مَخِيلَتِه وكَمْ بَذَلْنَ لما غَنّاهُ أعْلاقَا
عماهُ كالخدر فى أظلاله مرحت بيضُ الكواعب كم يَخْشَيْنَ إطْلاقا
البدر ألقى على الأزهارِ حُلَّتَهُ وَمَا يَرَاها فَزَادَتْ مِنْهُ إشْراقَا
ما الصَّقْرُ عادٍ ولكنَّ الحياةَ بـه شاءت على نفسها عَسْفاً وإرهَاقَا
ورُبَّ غانيةٍ مَزَّقْتَ عُذْرَتَهَا زَادَتْكَ حُبّاً وإدْلالاً وإغداقَا

* * *

سَيُغْمِضُ الموتُ أجفاني وأفتَحُهَا طِفْلاً يعودُ إلى الجنّاتِ مُشْتَاقَا
مَثْوَايَ جَنَّةُ عَدْنٍ سوف يُفْرِحُهَا عَوْدِى أُنَفِّضُ سِتْرَ البينِ أخْلاقَا
ياويح ذَا الموت لا يُفْنى مباهجَنَا وكم يعانى - على ما حَازَ - إملاقَا
وهو الوحيدُ لَهُ الدُّنْيَا بأجمعها فأيْنَ ضَيَّعَهَا بَذْلاً وإنفَاقَا
لَمْ يَقْنِ إلاَّ ترابا كَمْ تضيعه مِنْهُ المَقَابِرُ تَبْدِيداً وإزْهَاقَا
فظل فيها وحيدا طَالَما سَرَقَتْ مَنْهُ الحياةُ لِمَا تَرْجُوهُ أطْبَاقَا
كصاحِبِ الخمرطَالَ العَهْدُ فَارتَشَفَتْ دِنَانهُ من عتيقِ الخَمْرِ أرمـاقا
كَمْ أفلتته طيورٌ بَاتَ يَرْمُقُهَا وَقَدْ أعدَّ لَهَا الأَشْرَاكَ أرْمَاقَا
الرُّوحُ للهِ من أنواره يَنَعَتْ فنَّورتْ أعيُناً سُوداً وأحدَاقَا

الجريدةُ الدامية

الخرطوم ـ ٢٥ر١٠ر١٩٥٨

نشرت جريدة الامه منشورا يصيح فى المدينة : الدم الدم



جريدةُ الأُمَّةِ ما خطبها ! تستنفر الأنصارَ للفتنةِ
أَتُبغض الناس على أنهم قد رفعوا النيران فى الظلمة
أم تحسِبُ الأنصار أسيافُهم تفتك بالاخوان فى المِلَّة
وتقطع الأرحامَ فى موطن يسعى إلى التأليف لا الفُرقة
أم تُؤثِرُ الحكم على رغمه على هوى الارهابِ والسَّطْوَةِ



قد نشَّرَ المهدىُّ منشورَه وحرَّر السودان بالثَّورةِ
وحاربَ التركَ على ظُلمهم حتى هوى (غُرْدُونُ) فى الشُّرْفَةِ



يا ذاكرَ المَهْدِىِّ فى لحده أُنظر الى الداعين مِنْ بَعْدِهِ

قـد كانت التقـوى له عِصْمَةً وذمـة الإسـلام فى عهـده
لم يَخْـدع الأُمَّـةَ فى أمـره ولا طـوى الأحقـاد فى بُـرْدِهِ
أزوره فى قـبره طاهـرا أستلهم الايمـان من خُلْـدِهِ
أولـى بمـن حـرَّض أنصاره لو رَحِـمَ المهـدىَّ فى لحْـدِهِ

* * *

جـريدةُ الأمـةِ كُتَّـابُهـا ومن تـوارى خلفَـهَم و اسْـتَتَرْ
قـد فارقُـوا الحسـنى إلى غيرها وخالفـوا مهـديَّـنَـا المنتظَـرْ
وخالفُـوا الصَّادق مـن بَعْـدِه من جـازَ بالسـودانِ ليلَ الخَطَـرْ
جئنـا أبا الصديق نشـكو له من نَفَـرٍ أبعـد بهـم من نَفـرْ
من كلِّ ثرثـارٍ بلاَ غَـايَـةٍ نَعْـرِفهـا أو كاتبٍ مُـؤْتَجَـرْ
أيدَّعـى القـدرةَ بـين الـورى أم بـاتَ فـوق النَّاسِ رَبَّ القَـدَرْ
أم يفعـلُ الانصـارُ ما يشـتهى ويكـفـرون الله إمَّـا كفـرْ !
أبْعِـدْ بـه من جاهـلٍ غَـرَّه تَجَـاوزُ الأنصارِ عَمَّـنْ فَجَـرْ

* * *

فيا أبا الصديـق يا حِبَّـنَـا وصبْحَنَـا البَـسَّـامَ بَيْنَ الظُّلَـمْ
أنتَ أبـونا نهجُـك المرتضى تَرْفعـه بالسَّـلم بـن الأمَـمْ
ونحـن أنصـارُك لا كاتـبٌ ليس يخـافُ اللهُ فيما زَعَـم
يَبْـغى دمَ الأنصار يَسْـقى به جنونَـه المسعورَ لَـمَّـا حكـم
أمـا رأى الشـعب واطفـالَـه فى مِهْـرَجـانِ الشُّـكر لمَّا انْتَظَـمْ

قد نظروُا المهدىَّ فى نجله وشاهدوا أوضاحه من أَمَمْ
وجَّددُوا البيعةَ عن رغبةٍ فيها وصانوا عهدها فى حَرَمْ
فما زئيرُ الحرب من كاتب يجرِّد السيف مكان القلم

* * *

لو كانتِ (الأُمَّةُ) مقروءةً وصدَّق الأنصارُ ما تفترِى
لأصبح السودان فى صدرها مقبرةً فى شاطىءٍ مقفر
والنيل ماء الله لا عُصبةٍ تقضى لياليها مع الميسر
لاعبةٌ بالناس لم يبصروا ما فعلت من أعظم المنكر

* * *

إنَّىَ من شعب على فَقْره يجود بالروح ولا يغدرُ
وليس يأسى إن نأى حظُّه فأنه فى صبره يؤجر
يؤمن بالمعروف من دينه ولا يروع الجار أو يَخْفِرُ
عِفَّته فى قلبه جوهرٌ وليله من صفوها مقمرْ
ويَعْقمُ الشر بأخلاقه والخير فى أخلاقه يثمر
قد آثر الشورى لحكامه وهو عليهم قادراً يَأْمُرْ

* * *

أمانة الشعر على ثقلها حملتها حبا لهذا الوطن
أفقرنى المعروف لم ألقه لأقطف الخضراء بين الدِّمن

فاروقُ الخليع

بورتسودان – ٢ اغسطس ١٩٥٢



السَّيفُ قلبُك ! أيَّ ليل ترهبُ   أَشرِقْ به ولكلِّ حُرٍّ كوكبُ
هل يَشْتَفِى من ظالم وبريقُه   ظمآنُ مثلُ مدامعٍ تَتَلَهَّبُ
أَسَعى إليه الخائنون بهدنة   وطغوا عليه كأنه لايغضبُ
نظروا إليه فأَبصروا فى صَفْوِهِ   صمتَ الحُقود بأَىٍّ سم يشرب
سبعون قد عبرت عليه وحدُّه   أُفُقٌ عليه من المواقع مَغْرِب

لَمس القيود فكل قيد ريشة   في العاصفاتِ وكلُّ سِجْنٍ مَهْرَبُ

* * *

رُفِعَ الحجاب فللمشاعر أنْفُسٌ   تَسْعَى ونورٌ بصائر يَتَرقَّبُ

ماحَبَّةٌ في البيد خادعَ سِرَّها   آلٌ على أوْهامه يَتَرهَّبُ

حتى إذا وهب القدير نصيبَها   من نُوره انبعثت تنير وترقب

* * *

في الأُفق من هِفٍّ الغمامِ سُرادق   متحرك فوقَ النخيلِ مطنَّبُ

والنخل أوتارٌ تَحَرَّكَ بينها   ظِلٌّ أصابعُه تَدُقُّ وتَصْخَبُ

والغابُ حانةُ فرحة أدواحه   تَعْرى كما تَعْرى القِيانُ وتَلْعَبُ

حُرِّيَّةٌ رقصت وفي أعطافها   ثأر تنادِمه الحقودُ وتشربُ

* * *

يا مصر أي سحابة فجرتِها   فلكل سُبْرُوتٍ إليها مَوْكِبُ

فرعون شادكِ معبدا فطويتِه   حُلُما تساوره اللصوصُ وتنهب

أسَخِرْتِ منه لغايةٍ ونبذتِه   متوحداً في رمسه يتعجَّبُ

ذهب الخليعُ وآله وبرحله   ثَدْيٌ على حُرَقٍ يُنَضُّ ويسكب

ويغُرُّه ـ وهو الجهول بما أتى ـ   طفل بتاج خُرافة يتعصب

وشجيتُ لاحَزَناً عليه وإنما   أسفى الجحيمُ لطفلهِ يتغرَّبُ

لو كان يعلم ما الأُبوة صانها   شهوانُ لا أُمٌّ عنته ولا أبُ

ياشعبَ مصر وما عجبتُ لخَلَعِه   لكننَّيِ من جَهْلِه أتعجَّبُ

وعفوت عنه بقدرة في حلمها   نصرٌ تروق به الحياة وتَعْذُبُ

أعَرَفت عاقبةَ الأمورِ ضحوكةً وسواك تُخرجه الخطوب وتَكرُبُ

* * *

حُرٌّ أبى وله لديك علاقة لاتنقضى ووشائجٌ لاتُقْضَبُ

هذا لسانى من مواهب (عَطْوَةٍ) أفضى إلىَّ به البيانُ السَّكِبُ

* * *

عَرُّوا الصوارمَ كالحسان وعريُها صَوْنٌ به سحر البقاء مُحجَّبُ

السيفُ أشرفُ ما حملتَ لفكرةٍ عُلْيا وليس دماً يُراقُ ويُنْهَبُ

كم آيةٍ ما شانها متأوِّلٌ من حدِّه بين الفرائض تُكْتبُ

لاتسمعوا لمكابر متألِّهٍ بادى الخيانة بالنُّعوتِ يُهيَّب

رُدُّوا الذى غنمت يداه لأُمَّةٍ كانتْ إليه بدمعها تتقرَّبُ

عَشِقَتْ سلامتَها فأدركَ خوفَها وفسادُه بنفوسها يتلعَّبُ

رُدُّوا مصانعةَ الخَؤُون فأنما هذا الخؤونُ لِعِلَّةٍ يتقرَّبُ

كُوبٌ يوسوس بالحبَابِ عَبيرُهُ وَوَراءه شُهُب عليكِ تُصوَّب

أخْفى العُبُوسَة فى قِناع صَفائِه والخمرُ تخدعُ بالصفاء وتخلبُ

فاروق مثلُك فى بلادى آمنٌ فَخْلُ الشرورِ من الدعارةِ مُنجبُ

باطلُ الأباطيل

مَنْ دليلي فما وجدتُ دَليلاَ ... وعرفتُ الحياة عبئا ثقيلا
لستُ واللهِ من يغالط نفسا ... أو يرائي بنيله مستحيلا
أنا قيثارةٌ وقد وقَّع الدهرُ ... عليها ضَراعةً وعويلا
أثباتاً على الحياة ومادامتْ حَيَاةٌ ... نخافُ منها الأُفولا

إلى الكلب الروسي « لايكا »

الكلابُ والقمر

ام درمان ١٦ر١ر٥٨



علمتُ الآن بَعْدَ عمىً وجهلٍ ... لماذا تنبحُ القمرَ الكلابْ
له رفعت على وجل رؤوسا ... تخاطبه ، أمنه لها خطاب
تحذره ابنَ آدم وهو أعمى ... يحاول أن يكون له مَساب
فهل علمت على مر الليالى ... بأقمار يطير بها شهاب

وأن قبيلها العاوى رسولٌ ... يجوز إلى السماء له كتاب

* * *

أنتَّركُ الرُّؤى تَسعى ونصحو ... فللبصر الحقيقةُ والصوابُ

أعلمُ الغيب عن كثب نراه ... ونحسبه يستِّره حجاب

إذا جعلوا الغراب نذيرَ شؤم ... فقد يدرى مصائرنَا الغراب

وإن قالوا السراب فقل عيون ... على البيداءِ سلسلها السراب

وإن ذكروا المحال فلا مُحال ... ولكن البقاء له ثِياب

يُعتق كلَّ آونةٍ شرابا ... نُعاقره وما نَفِد الشراب

نخَال الفجرَ طار به حمامٌ ... خلافَ الليل تأكلُه الذئاب

ونفترعُ المعابد وهى شتى ... وللنفسِ العبادةُ والمتَاب

توحدتِ الجواهرُ والأمانى ... كأنفسنا يفرقها اكتساب

بساط الريح طائرةٌ رداح ... تَمَّزقَ فى قوادِمها السحاب

وأَهلُ الكهف قد رقدُوا زماناً ... وما رقد التطلُّعُ والأياب

وفرعونٌ هنالك فى الليالى ... له قمرٌ بظلمتها عُجابُ

قرونٌ لاتموتُ كأن أرضا ... يدومُ على خمائلها الربابُ

فمن ذا مبلغٌ عَنى سطيحا ... بأن رُوَاهُ ليس بها كِذاب

وزرقاءُ اليمامةِ فى زمانى ... لدى المنظار ليس به نقاب

* * *

فيا قمراً يشيبُ مع الليالى ... يدورُ حِياله قمرٌ شبابُ

يـرى سِـر الفضـاء بعينِ كلبٍ ... عليمٍ كـم يروغُ لـه حسـاب
يَحُـث الوحيُ من تابوت موسـى ... فيُـدرِكُ مايُـرادُ بـه العبـاب
تركتَ الارض والدةً وعـادت ... إليـك ولن يطـولَ بكَ اغـتراب
وتتحـد الكواكب عـن قـريب ... كمـا بـدأت وليس لهـا انشعاب
ستعلم أن فـرقتهـا ضـلالٌ ... وأن الله جـوهـرها اللُّبـاب

* * *

فـوا أسـفا على كلب وحيـد ... لدى الصـاروخ ليس له إيـاب
تَحـيَّـرَ في القيـود نوىً شَطُونا ... يُلاعبـه وليس بـه لِعـاب
تحـيطُ بـه رمـوزُ العقـل عُمْيـا ... تَسَـمَّـعُ وهْي جـامدةٌ صِـلابُ
وَيَلْهَثُ أوْ يُقَلِّـبُ ناظـريْـه ... وملؤهُمَـا التَخـُّوفُ والعِتـابُ
أيَحْسَـبُ أنَّ أعْيـنَنـا لديـه ... يلـوحُ بها الطعـامُ أو الشـراب
وهـل وجـدَ الأنامـلَ مسَّحتـهُ ... على بُعْـدِ المَـزارِ لهـا اقْتـرابُ
أحَسَّ بنـا فثـارَ بـه حنـينٌ ... ولا إلْفٌ يُعـينُ ولا صِحَـابُ
وتَصْعَقُـه الحقيقـةُ وهى أنثـى ... مُمَنَّعَـةٌ يطيبُ لهـا العـذَابُ
ضَحِيَّتُهـا بلا رَهب تُضحـى ... وقـد ذهب التخـوفُ والعِقـابُ
تَعـودُ بهـا العقـولُ إلى إلـه ... على قَـدْرِ العنـاء له ثَـوَابُ
خَـرَابُ الأرض قـامَ بـهِ عَمَـارٌ ... كما شـادَ العَمَـارَ بها خَـرَابُ
وقفنـا الآنَ فى بابٍ خَفِـىٍّ ... فهلْ من خلْفِـه بـابٌ وبَـابُ
ولو كانَتْ على قَـدْرِ الأمـانى ... مساعينَـا لدامَ لنـا الشَّبَابُ

* * *

غَـرامٌ بالفـؤادِ ولا شَـبابُ ... ولَهْـفٌ بالكؤوسِ ولا شَـرابُ
أبعْـد اليأْسِ آمـالٌ تُـرجَّـى ... وعُقْـمُ البيـد يُولِـدُهُ سَحابُ
أبَعْـدَ الأرض نوقـدُها جحيمـاً ... يكون إلى النجـوم لنـا مـآبُ
أيْسِـرى الفُلْـكُ والجـودىُّ نَجْمٌ ... خطِيئَتُنَـا تُـزَيِّـنُـه كَعَـاب
ومـا حَـوَّاءُ خَاطِئَـةٌ ولكـن ... إلى سـر الحيـاةِ لهـا انْجِـذَابُ
شَجانِي فِي الغُروبِ شجَى دَفِـينٌ ... وصَمْتٌ فى العَـوالِمِ وارْتِيَـابُ
سُـكُونٌ فى الظلامِ لـه عُيُـون ... تُسَـائلـهُ ويُعجِـزهـا الجَـوابُ
تتَـوقُ إلى البدايةِ وهْـىَ فِيها ... وتُفْـزِعُهـا النِّهـايةُ والأيَـابُ

* * *

نُحِبُّ الخُلْـدَ فىالدُّنْيَا ونَبْكِـى ... على الدُّنْيَـا إذَا صَفِـرَ الوِطَابُ
جَميـعُ الكائنـاتِ لهـا رَجَـاءٌ ... يُعَـذِّبُهـا ويُسْـعِدهَـا العَـذَابُ



الرَّاحَة

الخرطوم يناير ١٩٦١



تَزْدَحِمُ المَنَازِلْ
وتطْفَحُ الجَرادِلْ
وتَحْتها وحْولَها تَفُورُ بِرْكةُ القَذَرْ
ضاق بها الذبابْ
فطارَ وانتشرْ

ولم نَطِرْ من بركـةِ القَـذَرْ

مَـالِي جَنَـاحْ

* * *

مالى جَنَـاحٌ ينفُـضُ الوطَـنْ

وليس لِي وطَـنْ

إلاَّ المُحـال والجنُـونُ والقيُـودْ

وبركـةُ القَـذرْ

وسـكرةُ الحُـقُـودْ

وخِنْجَـرٌ فى حانِهـا اسْـتعـرْ

لمَّـا نَدْبتُـه لِنَطْعنَ القضاءَ والقَـدَرْ

نَـدَّ وفى بريقِـه انْتَحَـرْ

* * *

وأَعْـيُـن الصِّغَـارِ لا تـرىَ

وأَعيُـنُ الصِّغـارْ

وأَعيُـنُ الصِّغَـارِ فى مَـذَابِـح الرَّمَـدْ

بكيتُ فى الدُّجى من الكَمَـدْ

وفى حشَـاى أَعْـيُـنُ الصِّغـارْ

وفى الدُّجى من وُحْـدتى صـنـمْ

فى مَعْبَـدٍ مُحطَّـم العَمَـدْ

أَحـرقـنى الوجـدُ فما أَبُـوحْ

عُشٌّ بِلا حمَامَةٍ تَنُوحْ

* * *

فى حيِّنَا الفَقِيرْ

أَنْظُر إليهم فى الظَّلامِ يخملُونْ

راحة ربِّ القَصْرِ والفَقِيرْ

وبينهُمْ يُجَرْجِرُ البعِيرْ

ويُجْفلونَ مِنْ بُحَيْرَةِ الضِّيَاءْ

ويعثُرُونَ فى سَتائِرِ المَسَاءْ

يُصارِعُون عفَناً لدى بيُوتِنَا انْقَدَحْ

ويستُرونَ بَيْنَهم فَضِيحةَ الأَلَمْ

وضيعةَ الحقوقِ فى عدَالَةِ القِسَمْ

وَبَيْنَهُم يُجَرْجِرُ البعيرْ

ويَلْعنُونَ خبزَهم ويأْكلُونْ

ويسْخرونْ

مخدَّرين يدفُقُونَ فى الطريقْ

ما لَبِسُوا من أَلم صفيقْ

ويضحكونَ مثلما يَخْتَنِقُ الغريقْ

وَبَيْنَهُمْ يختلجُ البعيرْ

أعمى السُّرَى فى شارع ضَرِيرْ

قــد نَسِــىَ الحُــداءَ والبشّــامَ والغَدِيــرْ

* * *

آويتُ فى دُجاى سَاكِنــاً صدى وَتَــرْ
جنــاحَ طائرٍ يذوبُ فى الغُــرُوبْ
وشــاقَنِى حبيبْ

* * *

وموكبُ البعيــرِ فى الدُّجَى شــبَــحْ
يُجْفــلُ من بُحَــيْــرةِ الضِّيــاءْ
وفى بيــوتِنَــا تَحجَّرَ المَسَــاءْ
عليــه نقـــرعُ القَــدَحْ
منحطِمــاً عن الفَســادِ والرَّمَادِ والضَّيَــاعْ
ويأْسُــنَــا الآسِنُ لايُفِيــقْ
يسْــودُّ والصبــحُ لــهُ بــريقْ
وكَــرْمَــتِى مَحْبُــوسَــةُ الشُّــعَاعْ
وليــدةٌ لَيْسَ لَهَــا رَضَــاعْ

* * *

يلجَــارَتَــاىَ تُــؤْمِنَــانِ بالقَضَــاءْ
والخــيرِ والأَجــرِمن السَّــمَاءْ
وتَهْتِفَـــانِ بالدُّعَــاءْ

مَــالِى عَـــزَاءْ
هَــلاً وهبتما فؤادىَ العَــزَاءْ
أبصــرُ فى صَفَــائه السَّــمَاءْ

* * *

ياجارتى فى ليلهــا الطــويلْ
تــذوبُ فــوق طفلهــا العليــلْ
من حولنا يا أُمُّ بــركة القَـــذَرْ
وشــاقَنِى حبيبْ
وخلــفَ أدمعى ترقّب الفَـــرَحْ
وأنت تؤمنين بالقضاء والقَــدَرْ
وفــوقَ شــاطىء النَّهَــرْ
تعــرتِ القُصُــورُ فى مآزرِ الشَّــجَــرْ
ناعمــةَ الآصالِ والْــبكَــرْ

* * *

الليــلُ فى أســتارِها سَــرِيرْ
يُــؤَرِّجُ الشَّـــبَقْ
ويَخْلِــطُ السُّلاَفَ بالظَّــلاَمِ والعبيــرِ والعــرَقْ
جُنَيْنَـــةٌ مُتْعَبَـــةُ الوَرَقْ
مَنْثُــورةُ الثِّمــارِ والوُكُــونْ

بَعْدَ الرياح والمَطَرْ
خَدَّرَهَا السُّكُونْ

* * *

والليلُ لا يُفِيقْ
على جبينه يُرَبِّتُ الفَلَقْ
وَعَيْشُنَا فى بِرْكَةِ القَذرْ
وزحمةٌ تَحْتَكُّ فى المنَازِلْ
فَاضَتْ بِهَا الجَرَادِلْ
ومُوكِبُ البَعِيرْ
والليل

* * *

مَنْ ذَا يقولُ للفسَادِ يافَسَادْ
يا مالِكَ العِبَادِ يافَسادْ
أَلَمْ تَطفْ بقصرِك المُضَوَّءِ المُنيرْ
ذبابةٌ من موكبِ البَعيرْ
تَحْمِلُ من أَنبَائِنَا الكَثِيرْ
وجارتَاىَ تُؤْسَنَانْ

* * *

إذا الصباحُ طافَ بالقبورِ تَأْكل القُبُورْ
وضاع بوقُ البعْث فى الدُّهُورْ

ونَسِيَتْ قلوبُنا حرارة البُكاء

فعندَ ذاكَ تَعْدلُ السماء

ويُولَدُ العَزَاء

مَوْلِدَ عِيسىَ فِي يَدَىْ صلِيبْ

مُبْتَسِماً عن السَّلام والشِّفَاء والعفاء

* * *

ياجَارَتَا فى لَيْلِهَا الطَّوِيلْ

تَذُوبُ فوقَ طفلِها العَلِيلْ

قُومى إلى (البصيرْ)

إشْفَاهُ فى كَانُونه الصَّغِيرْ

يَكْوِى لِثَاتِ طِفْلِك العَلِيلْ

يا أُخْتَنَا ما أَنْبَلَ (البَصِيرْ)

شَارَكَنَا فى الجهلِ بالمَصِيرْ

يطيبُ من كَلاَمِه السَّقِيمْ :

وعندَ رَبِّنا الشفاءُ لا الحَكِيمْ

فربُّنَا الحَكِيمْ

* * *

تحتَ ظلام اليأْسِ والخَرَابْ

نحنُ حَمَلْنَا أُمَّنَا الحَيَاهْ

يَحْمِلُنَا الفُلْكُ على العُبَابْ

والريــحُ والصحــراءُ فى مَــدَاهْ
تســكُــنُ فى قُلوبِنَــا الرِّحَــابْ
شَــوَاطِئــاً مَــرْفُــوعــةَ الجِبَــاهْ
* * *
النجــمُ فى ظلامنــا أَفَــلْ
وآخــرُ الشُّــعاع فى عُيونِنَــا ارْتَحــلْ
إحْمِــلْ إلينَــا الصُّبْــحَ ياحمامُ يابَشِــيرْ
عُــدْ ياحَمَــامْ
بخُضْــرَةِ السَّــلامْ
وزادُنَــا على طريقنــا الحَــزِيــنْ
نجــمٌ من الدمــوع والحَــنِيــنْ
وحَبَّــةٌ تنتظــرُ البــروقَ والمَطَــرْ
ياويحَ حَبَّــةٍ نَحْمِلُهــا على السَّــفَــرْ
نســائلُ الفــلاةَ عنْ عَبيــرِهَا الدَّفِــينْ
* * *
جناحُ قَاقَــرِينَ جَــاوَزَ المَــدَىَ
جنــاحُ قَــاقــرِيــنْ
مُــوَصَّــلاً بخيْطِــه المَتِــينْ
بامْــرأةٍ فى كوكَبٍ سَــجِــينْ
هــل عــادَ باليقيــنْ
* * *

لقيتُ زَهْـرَةً على الطَّـرِيـقْ

بَسَّـامَـةً لهـا رَفِيـفْ

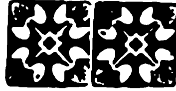
جـاءَ بهـا الخَـرِيفْ

من عالمٍ سَـحِيـقْ

يشـتاقُ أَنْ أَراهْ

من غيرِ مِيعَـادٍ يُحِبُّ أَن أَراهْ

فأُعبـدُ الجمـالَ من خُلودِهِ الحَيَـاهْ



تِيـــه

الخرطوم - آخـــر ١٩٥٩



مِـــنْ صديقٍ إلى صـــديقٍ ومن حَـــىٍّ إلى غَيْـــره ولستُ أَقِـــرُّ
مِـــنْ هُمُـــومِى أَفِـــرُّ وهْىَ بَجَنْبَىَّ وهيهاتَ مِنْ هُمومِى أَفِـــرُّ
أَسكرتنى الشجونُ تُطْلِقُ بالشَكْوَى لِسَانِى فما بِقَلْبِىَ سِـــرُّ
رُبَّ هَـــمٍّ مِـــزَاجُـــه آخِـــرَ الليـــلِ دُمُوعٌ من الزُّعاقِ أَمَـــرُّ

شمعة



تَشِفُّ الدياجرُ عن شمعتي ... كما شَفَّ نومىَ عن رؤيةِ
ومن حولها راقصاتُ الظِّلا ... لِ رُموزٌ تُشير إلى رغبة
لدى باحة الصمت ألحانها ... أراها تَشَابكُ في رقصة



فيا شمعةً رفعتْ رأسَها ... تَلَفَّتُ فى سُتُرِ الظُّلْمَةِ
أعادت عناصرك الجامدا ... تُ ظلالاً تُحدِّثُ عَن قِصَّةِ
أرى كلَّ شيء يحبُّ الحيا ... ةَ له أعيُنى ولَه مهجتى



وتُوقظ من حُجرتى جانبا ... وجنبٌ تقلَّبَ فى هَجْعَةِ
وعينىَ تعثُر دونَ الظَّلا ... م جَناحٌ تَحَطَّمَ فى صَخْرَةِ
أرى شمعتى – حولَها ظلمةٌ – ... تَقَلَّبُ حوراءَ كالمُقْلَةِ
صَحَوْنَا ونحنُ بقَاع الدُّجَى ... لَها نَظْرَةٌ هِىَ مِنْ نَظْرَتِى



وعادَ الصباحُ له رَغْوَةٌ ... تَطايَرَ من جَبَلِ الدُّجْيَةِ
وضوؤُكِ ياشَمْعَتِى باهِتاً ... كعينى شاحبةَ اليَقْظَةِ

هِيَ

ويلومُني في حبِّها رجلٌ   عَفُّ الضميرِ مُطَهَّرُ الصَّدْرِ
لو كانَ غيرُكِ لامني لمشى   من مِسْمَعَيَّ بمَسْلَكٍ وعْرِ

الخـريف



ولى وطـن تواعـدنا قـديما على اللُّقيـا فعـاد صدًى سحيقا
وعـاد فمـا وجـدت به صديقا ولا ظـلا نشـأْتُ بـه وريقـا
ولـم أُبصـر بطلعتـه سـلاما وابصـرتُ الخِيـانـه والعقـوقـا
وقـد نصبَ الرعـاعُ لنـا أُمـيرا تخـايلَ فى مبـاذلـهِ صفيقـا
يـرى حكـمَ البـلاد له تـراثا وسـكان البـلاد لـه رقيقـا

أمـا نصب الرمـاح لنـا وعيـدا وأشـعلَ فـوق أرؤُسـنا البروقـا

* * *

لقـد طـاف الخـريف على المغـاني فـروَّاهـا وغـادرني مشـوقـا
وأفصحتِ الكمـائـمُ عن شذاها جـديداً في كمـائمِـه عتيقـا
أحِسُّ ولا أُروِّح عـن فـؤادي ولـم أذقِ العـزاء ولـنْ يذُوقـا
وفي نفسي الجمـال ولا أراه بإنسـانٍ يُقاسـمني الطريقـا
فيـا رعـداً تطـايرَ في مـداه وأبعـد فاسـتحـال صدىً سحيقا
ذكـرتُ بك الجنوب وقـد حباني على خـوفي مجـاهلَـهُ رفيقـا
سَـحابٌ كـمْ روِيتُ به وغـابٌ تشـابك في غـرَائـزِه طليـقـا
وما تـدري البَيـانَ ولستُ أدري سـوى جَسَـدينِ قد لَصِقا لُصوقا
أريَـقُ بها الحشـاشةَ وهي تهفـو بِلَـوْعَتِها إلى جسـدي أريقـا
وأبـرقت العـروقُ وسـال واد شـمَمْنا في تفجُّـره البـروقـا
وما جـدوى الكـلام وقـد حصدنا وِداداً في جـوانحنـا وريقـا
وبتنـا في ضمائـرنا سـكونٌ يُخـدِّرنا فنـذهـل أن نُفيقـا

* * *

وعاصفـةٍ على آفـاق كأسي أراقبهـا واحـذر أن تُحـيقـا
وَهَبَّت في الضلـوع ولستُ أدري متى عَلِقَتْ بآمنهـا عُـلوقـا
فهـات الكاس عَـلَّ بها لِسـانا أريـقُ بـه الشَّـكاةَ فأستفيقـا

* * *

أميرَ الشعر هل لك في جزائي صديقاً كم رَفَقْتَ به صديقا
سقيتُك لو ظفرتُ بها بروقا فهاتِ الخمرَ نجرعها حريقا
وأسمِعْني الغناء فرب لحن يخامرُني وجدت به رفيقا
وغرِّدْ بالمدائح صافياتٍ من المجذوبِ واشْفِ أسى وضيقًا



عيدُ الحرِّية

ام درمان – ديسمبر ١٩٥٧



وطنى الذى أَهْوى ..لِعَيْنِيَ مُسْفِرُ — يدعو رُؤَآىَ الغَابِرَاتِ فتُبصرُ

فجرٌ تخلَّقَ من إرادة أُمَّةٍ — وأَهَلَّ تَسْمَعُ ما يقولُ فتَذْكُرُ

صافٍ توهجت المُنَى بضيائه — شَتَّى كما عكس الأَشِعَّةَ جوهرُ

* * *

والنيلُ قد لبس الضحى من خضرة — متموجٌ فيها العبابُ الأَسمر

والرمل ، من ذهب يشف ، مآزر — تحتَ النخيل حريرُها يتكسر

والزهر أنفاسٌ تطوف.. عبيرها — متوقف متلفِّتٌ متعثِّرُ

والزرعُ نوَّر وعدُه لسَواعدٍ خَشْناء تُورِقُ في الضفافِ وتُثْمِرُ
صورٌ عشقتُ لها الحياةَ مريرةً وبقيتُ بينَ خُطوبها أتَنَظرُ
أُصغِي إلى الصبر الوقور وخلفَه كَبِدٌ يذوبُ على شباب يُدْبِرُ
إني وإن فتَّ الشباب فأنَّهُ وطنٌ يدومُ به صبايَ الأخْضَرُ
مهْدٌ لأطفالي وثَدْيُ أمومة مُتَجدِّدٌ يهبُ الحنان ويؤْثِرُ

* * *

عيدٌ ولم يك قَبْلهُ من عائد يأتي إلينا باسماً ويبشِّرُ
قد كانَ رَهْنَ محاجر من ظلمةٍ الصبح فيها أعينٌ تتحجَّرُ
حتى إذا نَضِجَ الحِفاظُ أباحهُ دَنٌ ، تُكَتِّمُه النُّفوسُ ، مُعَمَّرُ
وأفاقَ يُشْعِلُ نارَه في لَيْلَةٍ تُهْدِي الكَرَى للظالِمينَ وتَسْهَرُ
وبدا الصَّباحُ مُهندا في لمعه ضَحِكُ المغيظِ بكلِّ هَوْلٍ يَسْخَرُ
ضَرَبَ القيُود فكلُّ عِيٍّ مَنْطِقٌ يُصْمِي العِدَاةَ وكُلُّ سَدٍّ مَعْبَرُ
والنيلُ مِنْبَرُ ثَوْرَةٍ ، أعْوَادُه... غَابٌ وراءَ لُيوثِه يَتَنَمَّرُ

* * *

وَطنِي الذي أهوى كتابُ ملاحِمٍ كُبْرَى تضيءُ على الزمان وتبهرُ
وعمائمٌ بيض تَهُلُّ غمائمًا في ظلها كَرَمٌ يَهشُّ مُنضَّرُ
وقُرَىً على النيلِ الوفيِّ برزقه تَرْضى وتؤْمن بالقضاءِ وتصبر
مَعْصومةٌ في خلوةٍ ميراثها لَوْحٌ وآياتٌ عليه تُسَطَّرُ...
قَعَدتْ تُرقِّصُ مِغْزَلاً مترنِّمًا وتَغُضُّ عن مكرِ اللِّئَام وتَغْفِرُ
وتَعِفُّ عن ذُلِّ السُّؤالِ مُروءَةً تَرْضَى وتؤْمِنُ بالقضاءِ وتَصْبِرُ ..

فِيها صَحِبْت من الطُّفولَةِ ناسكاً	يُصْغِي إلى طَبْلَى (دِيَاب) ويَذْكُرُ
ويزورُ أشياخاً تُراب قبورهم	زادٌ يقيمُ به الغَريبُ ومَعْشَر

* * *

وطَنِي أعودُ به كيَوْم خرُوجِهِ	فِي الخيلِ مَوْرِدُها النَّجِيع الأحْمَرُ
غَمرَ التَلالَ فكلُّ تَلٍّ مُهْجَةٌ	غنَّى بأضلعِها الرَّصَاصُ المُمْطِرُ
وأرَنَّ فِي (كَرِرى) نُحاسُ كَريهةٍ	زَجِلٌ يَكَادُ حَماسَةً يَتَفطَّرُ
أسَدٌ على قَتَبٍ يَئزُّ وثاقُهُ	وينُضُّهُ عَنْ جَانِبَيْهِ ويَزْأر
نَفَضَ الغُبَارَ عزيفُه عَنْ صَدْرِه	كسَحَابَةٍ تَنْفِي البُرُوقَ وتَهْدِرُ
ورأى البطولةَ لا يُحيط بوصفها	سَمْعٌ يصيخُ ولاعيون تَنْظُرُ
وإذا به وَلَّى رُوَاةُ نشيدِه	وتَتَبَّعُوا آجالَهم وتشَذَّرُوا
وَحِدٌ كجُمْجُمَةٍ ثَوىَ بُخُوائِها	عَدَمٌ بأعْيُنِها يُطِلُّ ويَنْظُرُ
فَأَوَى إلى بيتِ (الخَليفَةِ) سَاكِناً	فى عُزْلَةٍ صُوفِيَّةٍ يَتَذَكَّرُ
والآن فى الوادى صداهُ مُهَلِّلٌ	لم ينقطعْ، مثل الأذانِ ، مُكَبِّرُ
دَقُّوا به يتَعارَضُون وَرَجْعُه	مَوْجٌ تخوضُ به الخُيُولُ الضُمَّرُ
والحَىُّ زَغْرَدَ والحجابُ يَنُضُّه	حُلْوٌ يُثيرُ بنا الحَماسَةَ أحْوَرُ

* * *

فَخْراً بَنِي وطَنِي وأنِّيُ شَاعِرٌ	بَالخَالِدَاتِ مِنَ المآثِرِ يَفْخَرُ
مِنْ مُبْلِغٌ شهداءنا بدمائهم	بَقِيَتْ بنَا تَلْقَى العِدَاةَ وتَثْأرُ
(هِكْس) تهافتَ فى حَبائِلِ مَكْرِه	وتَلاهُ (كِتْشِنَر)الكَفُورُ الأعْورُ...
يَعْلو مناكب سَابِح مُتَمَطِّرِ	والرِّيشُ مِنْ يَافُوخِهِ يَتَحدَّرُ..

نَسْـرٌ تطلـع للفضاء ودُونَـه ... (كَرَرِى) تسَيلُ بها الحتُوفُ وتَزْخَرُ
أو مـا رأى بعـدَ الهزيمـةِ ثـوْرَةً ... لاتَنْثَـنِي وعـزيمـةً لاتُقْهَـرُ
أوْدىَ بـهِ قَـومِي وأصبَح قَصْـرُهُ ... في الشـطِّ نملكُ أمـرَه ونُدَبِّـرُ
وافـاهُ مِنَّـا آمـرٌ نَخْتَـارُهُ ... جَهْـراً يُسـاند رَأيَنَـا ويُـوَزِّرُ
قصـرٌ تتـوبُ ظِـلالُه من رِيبَـةٍ ... وبيـاضُه مـن فِتْنَـةٍ يَتَطَهـرُ
ولقـد نَـرى (غُرْدُونَ) في أبهائـه ... شِـلْـواً تُنَاوِشُه الرِّمَاحُ الشُجَّـرُ
يَمْضِى البعـيرُ بـه ويَعْلَمُ أنَّـهُ ... شَـبَحٌ جَـلاهُ على العُيُـونِ مُصَوِّرُ

* * *

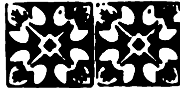
أين الأُلى بسـطوا البحارَ فمابِهَا ... من مَوجَـةٍ إلاَّ بهم تَتَحـدَّرُ
والشمسُ مصبـاحٌ لِكُلِّ سـفينـةٍ ... فِيها أبالِسَـةُ البحـار تُـزَمْجِـرُ
أين الأُلى... ذَهَبُوا وأصبحَ مُلْكُهُمْ ... شَـيْخاً على أيَّامِـهِ يَتَحسَّـرُ
أمِنُـوا وما حَسِبُوا كتابَ (مُحَمَّدٍ) ... مِنْ بينِهِـمْ في ظُلْمِهِـمْ يَتَدبَّـرُ
ورأوهُ تَخْـرجُ مِنْ غيَابـةِ وَحْيـهِ ... نـارٌ وتزحَـفُ بالجَحَـافِلِ أسْطُـرُ
فتعجَّـلُـوا كأسَ الغُـرورِ كَعَهْدِهِمْ ... تُعطى كما يُعْطِي المحالَ مُخَـدِّرُ
وتذَامَـرُوا في (بُورسَعِيدَ) وأبْلَسُـوا ... لَمَّـا رأوْهَـا لا تُنَـال وأدْبَـرُوا
عـزلاءُ تُمطـرها البوارجُ دِيمـة ... وتَـرىَ فتشـهدُ نَجْمَـةً لاتُذْعَـرُ
هَـدمَوا التـرابَ فبادَرَتْهُ بسحرِهَا ... فـأذا بـهِ روضٌ يَمِيسُ وأقْصُـر
هيهـاتَ ما خَـرَقُوا الفضاءَ ومالَهُمْ ... قَمـرٌ يـدورُ مع الكواكبِ (أحْمَرُ)
غلبَ السـلامُ على السـلاح فَحَـدُّهُ ... عَـدلٌ يُـوَزَّرُ أو حقُـوقٌ تُنْصَـرُ

* * *

نصرٌ نُساقيه (الكنانةَ) حُرَّةً ... والنيلُ ملءُ شبابِها يَتَخطَّرُ
ملكَ القناةَ فكلُّ بحرٍ ساجدٌ ... في شطِّهِ مُترقِّبٌ ما يأمُرُ
هاتوا لنا شِعْراً فتلكَ مَواسِمٌ ... أعراسُها تُصغِي إلى مَنْ يَشعُرُ
في كلِّ ناحيةٍ يُغَرِّدُ بُلْبُلٌ ... ألوانُه طَرَبٌ عليه مُنَشَّرُ
وتهزُّ قاهرةَ المعزِّ منابرٌ ... فيها لَنَا وَفْدٌ يقولُ ومِنْبَرُ

* * *

جُزْنَا الكهانَةَ في الظُّنونِ مُقيمةً ... عمياءَ يسألُها الظلامُ فتَهْذِرُ
والشعبُ أقبلَ في الجُموعِ يسُوقُها ... عَلَمٌ عليه بكُلِّ حقٍّ تَجْهَرُ
تَختَارُ نَاقِدةَ العُيونِ فَمَا بِهَا ... جَهْلٌ تزوغُ به العُيونُ مُزَوَّرُ
قد أَفْقَرَتْ صَنَماً وفارقَ دينَه ... لمَّا أتى منها البشيرُ المُنْذِرُ
ومشى إلى عُبَّادِهِ متبرِّئاً ... لَمْ يَلْقَ من يُصْغِي إليهِ ويَعْذِرُ
رُفِعَ الحجابُ ولم يَكنْ من خلفِهِ ... الاّ مَرَاوِيدٌ بلينَ ومِبْخَرُ



الجَبْر

بورتسودان ـ ٣٠ ابريل ١٩٥٠



ليسَ لى قدرة على المرح   إن لى قدرة على الترح
يَبِسْتُ كالصخر لايَبِض فما   أضحكُ للخمرِ ضَوَّأتْ قَدَحِي

* * *

وغورت ليلتى لَدَىَ موجة الفجر   خصيبُ السَّنَى لَهَا كَفَنْ
كُلُّ صباح يَدٌ تُشيرُ إلى قبرٍ   مَدَاهُ الفَضَاءُ والزَّمَنْ
والأَرضُ من حوله تَدورُ من الرُّعْب   ويطفُو السَّحَابُ والقُنَنُ
وليالىَّ كم رَكِبْتُ إلى الفجرِ   عليهنَّ للردَى سُنَنُ

* * *

كنتُ دفينَ الدجى فحرَّكنى الفجرُ فأَجْفَلْتُ منه كاللَّهَب

وَرَآءنى الصبحُ لا أخِفُّ إلى سَعْيٍ كليلَ الخُطَى من التَّعب

وصاحَ خلفى يَدُعُّنى وأنا الأعمى فما أستبينُ من سَبَبِ

والجَدْولُ النَّاشِطُ المعُرْبِدُ كالأَوْتارِ بينَ الهُدوءِ والصخَبِ

والوردُ كالمُومِساتِ هَبَّ لأغرائى بينَ العبيرِ واللَّعِبِ

ألعَنُها لم تَجد كما وجدت نفسى وما تستبِينُ من أرب

ويقظتى والمنامُ قيدٌ وما نفع الرُّؤى قُيِّدتْ لدى حُجُب

* * *

أأشْرَقَتْ قُلَّةٌ لِتَنْظُر أمر الله شَتَّى الذُّهولِ والنَّصبِ

وهالَها القاعُ فَهْىَ تُمْعِنُ فى الجَوِّ فهَلْ تَستَجيرُ بالسُّحُبِ

* * *

فَخَلِّنى ياصباحُ للتَّرح وخَلِّنى ياصباحُ للتَّرَح

فَلَيْسَ لى قدرةٌ على المَرَحِ

إن لى قُدْرة على التَّرَحِ

حب

١٩٤٣/٧/٧



أحببتُ وجهاً دميماً | له خلاقٌ جميلُ
وما الهوى غير نفسٍ | وفاؤها لا يحولُ
أحببتُ قدرَ معاشي | ولي رجاءٌ طويل
والحب عندي قنعٌ | لا رقّةٌ أو نحولُ
فليعلم العاشق الصبُّ | والمشوقُ العليلُ
أني رعاني قبيحٌ | هو الحبيبُ الوصول
فلا نصيحٌ مُريبٌ | ولا حسودٌ عذولُ

ليلةٌ ممطرة

الكراكسه - مساء ٣٠ر٥ر١٩٥٠



هـلْ تُضيىءُ البـروقُ ظُلْمةَ نَفسِى ... أم تَـدُكُّ السيولُ هَيْكَـلَ رِجْسِـى
مـن عظـامِى أَقمتُـه ، وظنونـى ... فيـه يرعـى جُنُـونُها كلَّ نَجْسِ
فى دُجونِ الضميرِ تشردُ آثامى وتَغْـ ... ـوِى لَـدى جَوانِحَ خُـرْسِ
غابةٌ عِلمها السُّـكُونُ على الهـوْ ... لِ وما تَتَّقِى. شَـراهَـةَ فَـأْسِ
سكَنَتْ مِثْـلَ صائِـدٍ وسَـقَتْها ... فَتَـكَـاتُ السِّبَاعِ أَرْوحَ كَأْسِ

وعُيُونِي سَـهمْن كالأُفْـقِ السَّجْوا ... نِ اذْ دَوَّتِ الظُّـنُـونُ بِهجْسِـي

* * *

أُنظـرِ السُّـحْبَ فوقَ تَلٍّ تبرَّجْـنَ ... وأقْبَلْـن فى مـواكبِ عُـرْسِ

من مواعيـدَ للوُعُـودِ يُطَبِّـقْـن ... رِحـاب السَّـماءِ مِنْ كلِّ جِنْـسِ

بـينَ سـودٍ زَففْـنَ بِيضاً وشُهْب ... راقصـاتٍ مَـعَ الرِّيَـاح وطُـلْسِ

يتَسَـمَّعْنَ للجَفَافِ لَـدَيْهِ الحَبُّ ... يَشْـتَاقُ فى جُمُـودٍ وحَـبْسِ

وتسابَقْنَ في انسِـكَابٍ فما غَادَرْنَ ... مِـنْ لَهْفَـةٍ تَئـزُّ ويَبْـسِ

* * *

روِيتْ هـذِه البِطاحُ فأَزْهَـرْنَ ... وقـد حَرَّقَ المَشَـاعِـرَ يأْسِـي

أنا أَرضٌ فكيـفَ تُنْبِـتُ أَرْضٌ ... ثَمَـراً والشُجُـونُ أَرْوَعُ غَرْسِـي

لا حبيبٌ ولا رجـاءُ حبيـبٌ ... وغَـدِي نُهْبَـةُ الشُّـجونِ وأَمْسِي

وجَـد البحـتريُّ سَـلْوَى وسَقَّاهُ ... أبو الغـوث مِنْ مُجَاجَةِ شَـمْسِ

يَتَسـلَّى عن الخطـوب ويأْسى ... لِمَحَـلٍّ من آلِ سَـاسانَ درْسِ

فَـرَّ عن هَمِّـه القعيـدِ وما أَلْهَتْهُ ... ما أَبيـضُ المـدائـن عَنْسِـي

تِلْـكَ أُسْطـورَةٌ كما تَخْدَعُ الخَمْرُ ... وتَشْـفِي الأَسـى بلـذَّةِ خَلْـسِ

قلبِيَ العاثِـرُ المُقَيَّدُ فى السُّـودَان ... فِي الشَّـاطِيءِ المُعَـذَّبِ يُـرْسِـي

نَظَرَ الوَرْدُ فى الصبَّـاحِ إلى الشمْس ... وعَيْـنِي إلى غَيَـابـةِ رَمْسِـي

ترْعَشُ الأَرضُ فى البوارق كالحَسْنَاءِ ... نـدَّتْ على مَفَـاتِنَ شُـمْسِ

رَبَّتَ القَطْـرُ عِطفَها فسجَتْ حينـاً ... كما تَسْـكُنُ الفَتَـاةُ لِبـوْسِ

وألانتْ وأَسـمحت فَطَـواهـا ... بَيْـنَ حُـلْـوٍ مِـنَ العِنَـاقِ وهمْسِ

وتُضِيءُ البـروقُ لِلْقطرِ كَيْ يَظْفَـرَ بالحبِّ في اشْـتِهَـاءٍ وحَـدْسِ
والرعودُ انْفجَرْنَ بالضَّحِكِ الحَانِي على الأرض كـم تتـوقُ لِعُـرْسِ
كُلُّ شَـقٍّ في الأَرْضِ فَـرْجٌ أبـاح الغيثَ أحشـاءه الظمـاءِ لِجَسٍّ
لاَ قِـفْ كُلَّ قَطْرَةٍ هاجتِ الشوْقَ إلى مـن أُحِبُّـه غَيْـر مَنْسِـى
ياحبيبى خشيتَ ! فانْظرإلى الأغصان والرِّيـح فى جِـذابٍ ونهْسِ
من عِنَـاقٍ على اتِّفَاقٍ فَإنْ تزَهـدْ أراحَتْ إلى سُـكُـونٍ وهَمْسِ
أين تلكَ الغيـوثُ تَسْتَنْبِتُ الصَّخْر أما تَهْتـدِى لِقفْـرةِ حِسِّـى
لَيْـلَتِى سِتْـرُها بَلِيـلٌ تُبيح الغيث أسـرَارهـا وتَجْهَـلُ يَبْسـى
أنكـرتْ أعيُـنِى تُذكُّرها الفجـرَ وأرْدَانُهـا تَضِـيق بِلَمْسِـى

* * *

ومحَـا الليـلُ مَرْبَعِى ومَحَا جِسْمِى وعَيْـنِى ومَـاج يقْـذِفُ رَأسِـى
فى خُدورِ الدُّجَى وفى ظُلْمَةِ الغَيْثِ خُـدُورٌ من اشْـتِهـاءٍ وفـرْسِ
وهَفَـا البرقُ لَحْظَـةً فكأنِّى المَيْتُ أصْحُـو عَلَى غضَـارَةِ أَمْسِـى
عَجِـلاً نُورُه فهَـا تِيكَ لَذَّاتٌ عَلَى أَوْجُـه الغَـدائِـر تُـرْسِـى
مِنْ غُصُونٍ يَلُذْنَ بالوَرَقِ المُخْضَـلِّ كَالغِيـدِ بـين عُـرْيٍ ولبس
ونخِيـلٍ خَطَـرْنَ بالسَّعفِ المَبْلُولِ فِى نَشْـوةٍ رَعشْـنَ وأُنْسِ
ومضى البـرقُ والجوانحُ تُبْقِيـه غـدِيـراً يَصوغُ طَاقَـةَ وَرْسِ
وطواه الظلَامُ طَيَّـا فهلْ يَخْشَى سَـناءٌ لـه يبِيتُ بِنَـفْسِـى
أمْ تُـرى الغيبُ خَـافَ كَشْـفاً لِمَـا يختـار من بَهْجةٍ أسَرَّ ونَحْس

* * *

سُحُبٌ قد شربتُ منها بِعَيْنيٍّ   وما قَطْرُها يطوفُ بِحِسِّي
حينما أقلعتْ تَنَفَّسَتِ الأرضُ   كما ارْتَاح ذو الشجا لِلتأسِّي
وبأنفاسِها ضُروبٌ من الأرواحِ   شَتَّى من ابْتِهَالٍ وَرِجْسِ
فهي عذراءُ غِبٌّ طُهْرٍ فأنْ تُنجبْ   أَهلَّت بكلِّ أَرْوَع قُدْسِي
فاعذُرِ الشوكَ إنهُ أَلَمُ الوضع   وتَعْويذَةُ الجمالِ المُؤسِّي
وسِجَارِي في الدَّجْنِ شاطَرَ عَيْنِي   سَهَراً واسْتفزَّ جَمْرَةَ كَأْسِي
وَيحهُ هامِداً كَجَفْنِيَ والنومُ   يُرَدِّيه بالظلام فيُغْسِي
فإذا ما نفضتُه نامَ واستَلقَيْت   وحدِي على مَحَاضِنِ بُؤسي



إلى روح الشيخ قمر الدين جلال الدين المجذوب

جَبلُ الخَتْميَّةْ

كسلا – الدامر – مايو ١٩٤٤



جلَّ ربى ! وجودُهُ مظهر الكون وأسرارُ غَيْبِهِ فى الكمالِ
عرْشُه الأَرض والسموات والنفسُ وما فى غُيوبها من جمالِ
راسِخٌ من عمادِه النورُ والحبُّ وأسداله نشيدُ ابتهالِ
أوثق الطَّوْد بالجمودِ لقد خفَّ حَبِىٌّ مُسَخَّرٌ كالجبالِ

لبسته الرياحُ ريشا وفرّقتْهُ نِثَاراً على العصور الخوالي
فمشى أمسِ في غَدٍ كرُواءِ الصبح ـ قد سُلَّ من شِعار الليالي
بسْمَةٌ من ينوعها الأبدُ الخالد فالموتُ طائفٌ من خَيالِ

* * *

هَيْدبٌ عاثرٌ ويئدٌ على القُلّةِ والريحُ زَجْرُها لايُبالي
أتُرى يحتمى من الريح بالصخرِ جفولَ الرؤوس والأكفالِ
إنما هذه الجبال وحوشٌ تضرب السحب بالقرون الطوالِ
(كَسَلا) كيف لم تُراعِي لَقَدْ أمسيتِ دون الجبال ذاتِ القِلالِ
سِرُّ هذا الوَلِيِّ عَلّقَ هذا الوحشَ أمسيتِ تحته في سدالِ

* * *

جبلَ المِرْغَنِيِّ جادَتك انفاسُ بحار تعانقت في الشَّمالِ
من رَبَابٍ مُجَنَّح ينفضُ القَطْرَ كنفض النَعام قَطْر الطّلالِ
أضِمَادٌ لجبهةِ الجبل المسجونِ يشفى أمْ غُصَّةٌ لانحلالِ
يَنْبُتُ الحقد في دماءِ بني الدنيا فهل يستكنُّ بين الجبالِ
حسبُكِ الصمتُ ياجبالُ فلاتشقَيْ مع الناسِ بالحقود الثقالِ

* * *

هومت في الصباح لَمَّاعةَ الأوجه والسفحُ نائمٌ في الظلالِ
وانْتَشَتْ لَحْظَةً وقد كَفكَفَ الغيمُ حميمَ النهار عندَ الزوالِ
هي ألواحُ كاهن الدّهرِ لم تَشْكُ ازْدحَامَ السطور والإمْلالِ
هي أنوالُه وكم نسج الدهرُ عليها صباحَه والليالي

وخبتْ في الغروب كالنَّظَرِ الحائرِ والدَّمعُ حوله في مجالِ
وامَّحت تنظرُ الغروبَ بطرف ذاق كأْس المنون غَيْرَ مبالِ
وجهى ياركاب جِدِّكِ شطر الـ ـسفح قد هش بالمعين الزلالِ
ما لِهذَا الأَشَمِّ ينفِرُ والسَّيْرُ مديد أقْربُه لانتقالِ
أهُو الآلُ أم يفِرُّ من الناس وقد مَلَّ من فُضُولِ الأَوالِ
قد تعبنا وأنت ترزح ياطودُ شَقِيًّا بهمةٍ في كلالِ
سوفَ نَلْقَاكَ قادرينَ وإن كنتَ كثيرَ الصُّدودِ والإجْفَالِ

* * *

جبلَ المِرْغَنِيِّ محرابُك العَاتِقُ آثارُ قدرةٍ في جَلالِ
يرمقُ الشرقَ دائماً ومدى الغرب أيخشى انقضاض أمْرٍ مُهَالِ
هلْ رأى موكنَ الشموس فأَعماهُ سنى الفجر عن طريقِ المآلِ
ضلَّ عن يومه فأبلس في الأرض وأهْوَتْ رِكابه للرِّمَالِ
سقطت عنْ جنوبه فتعرى وكسته الدهورُ ثوْبَ اعتلالِ
غَصَّ من حمله الطريقُ فشقَّتْهُ مطايا العُصورِ والأجيالِ
كلما درتَ حوله يتلقَّاك بشتَّى الوجوه والأشكالِ
كسحابٍ أطلالُه صِنْعَةُ الريح التى جعَّدت وجوهَ الرمالِ
فتلاقيه لانشِعَابٍ وجنباهُ لَصَدْعٍ وشيْده لانهلالِ
هُوَ كالشَّعر رَجَّلَتْه المَدارِى جامداً في انسيابه المُنْهَالِ
أَيُّ ضعف كضعفه يُرْهِبُ النفسَ وأيْدٍ يَسُدُّ أُفقَ الخيالِ

هيكلٌ نابت من الأرض كالغاب وشيجَ الغصون والأهوال

الذى قدَّه ومهَّدَ للصخر جنوبا أراده كالمِثال

الجَلاميدُ منه إن غوَّرَ النجمُ قبيلٌ مُعَرِّسٌ فى جِلالِ

رَاقِدٌ بعضها على البعْضِ كالأشْلَاءِ فى سَاحَةِ الوغَى والنِّضَال

عاكفاتٌ وإنْ رَقَدْن وللأطلالِ أشباحُ جِنَّةٍ وسَعالِي

رُبَّ وجه لمحتُه ثمَّ يدعونى بِلَمْح مُسْتَتِرٍ ذى اختِتالِ

أوُحوشٌ وهْمِيَّةٌ أم خُرافاتٌ شُجُونٌ تخلَّقَتْ من مُحالِ

وأحاجِىُّ غالطت كلَّ إدراك وظلّت من هولها فى سِدَالِ

وكهُوفٍ تَثَاءبَتْ فى الضُّحى الساكِنِ بَيْن الكرىوبينَ الملالِ

لَهَواتٌ تُسيغُ ما يَصْنعُ الدهرُ ويفْنى بها عِراكُ الليالِي

فى انتظارٍ على دُجَاها وكَمْ عيْنٍ لدى جُنْحِها العميقِ وبالِ

وصدوع تسمَّعتْ حذر الأيَّام وقعَ الخُطى بكلِّ مَجَال

نسِيتْ غير ما تُرجِّعُ من صوتٍ وما تَخْتَبِى به مِنْ ظِلَالِ

وتَرى جنْدلاً يُحاول نَهْضاً ، كأسيرٍ صِراعُه فى الحِبَال

شَكْهُ نابلُ القضاء فأصماهُ على وجْهِه التِماعُ النِّصَالِ

عقَدتْ وجْهَهُ شرارةُ كأْسِ الموتِ تُبْلِى فؤاده غيْرَ بَالِ

عَابِسٌ يقطُرُ المرارةَ ألوانا ويَشْكو وإن ألاَح كَسَالِ

حدَّثتنى مسامِعى ببقَايا صَرْخةٍ بينَ غَضْبَةٍ وابتِهَالِ

رَجْعُها قَرَّ فى الصميم من الصوَّان رَهْناً بوحشةٍ واعتزال

* * *

وأثَافِيٌّ كالقبورِ شَتَاتاً وانقياداً لِعَاصِفٍ ذى نكال

أتراهَا قَبيلةٌ تُزْمِعُ الفرَّ فَتُزْجِى الرِّحَالَ فوق الرِّحالِ

فأُصَيبت بصيحةٍ تمْسَخُ الهاربَ بين الوثوب والأرْقَالِ

بَردَتْ فى الدُّجى الملوَّنِ كالقَتْلىَ وللريح جَهْشَةٌ لم تبالِ

سَاخِرٌ من فرارها القدرُ الجاثِمُ بينَ الرسُّوم والأَطلالِ

جَثَمَتْ فى الطريق كالغُصَصِ الحَيْرَى وكالدَّمْع فى إباء الرجالِ

آه من حكمةِ الحياة ومسعاها وإغرابِ ركبها فى الخبالِ

غيَّر الموت وجهها فتلقَّتْهُ بسِخْرِ الرَّجَاءِ والتَّأْ مَالِ

وَيْحَ نفسى على الحيَاةِ التى تَسْعَى وقدْ غرَّها يُنُوعُ المُحَالِ

حَبَبٌ هذهِ الحياةُ وعِطْرٌ وخَيَالٌ يُريدُ وَصْلَ خَيالِ

وصَدىً للنُواح فى الأَبد الخالى ورثاه عن قلوب الأَوَالِ

غَيْرَ أَنىِّ اكتفيتُ أَحذَرُ مكر الله بالغَافِلين والأَجْهَالِ

أَنا يارِبُّ آثمٌ غير أَنى فرِحٌ بالجزاءِ غيرُ مُبَالِ

أَنا طفلُ العنايتين حنانِ الله والعيشِ فى معانِى الجمال

ربِّ ! ما أعذب النداءَ بيا ربِّ ومعناك فى الضمير حِيَالِى

نَفْحَةٌ داعَبَتْ كرَى الحماءُ المَسْنُونِ يسعى إليكَ بعد انفصال

هى جازَتْ بآدم جنَّةَ الخلد ضِراراً لِجَنَّةٍ فى زَوالِ

ضَرَّمت وردة الحياءِ بخديه وريثَ الحياءِ عند الوصال

بَدأَتْ قِصَّةَ الغرام وما تمَّتْ معانى الصدود والاُقبالِ

أنا كفّرت عن أثامى بأسقامى وبالزهد فى الرياض الحوالي
وترهبتُ فى الحياة وإنْ كنتُ قريعَ الذنوب والأهوال
سهرى والغناءُ للنجم والبدرِ وشَدّى ثيابَ غُرٍّ الليالى
وهُيامى مع العيون اللواتى سكرت من وَضَاءةٍ واكتِحَالِ
وضَياعِى مع الحضور ونهضى حين يدعُو الهوى مع الأكفالِ
واستراقى اللحاظ من سابلِ الطرف وبثى لَقَلْبِه بعضَ حالى
رنَّ لحنُ الشباب فينا فصغناهُ كؤوسا تَرقرَقَتْ كالـلآلى
إن غَصصنا به فقد يُسكر العطرُ وتذوى الغصون غِبَّ اخضلالِ
الكرى هدأةُ الحياة وللنفسِ ارتواءٌ مقدَّر لانتِهَال
كيف نروى وكلُّ يوم بكأس ونعيم وفرْحَةٍ واقتبالِ
بين نفسى وبين عقلى وقلبى واشتهائى معارك من جدالِ
ليس يُجدى علىَّ صومى ونسكى وهدوئى مُبَلْبُلاً واعتدالى
أىُّ أعمى يقودنى آبىَ الخَطْوِ كثيرا خِلاَفُه ذا مِحَال
أيها القلب لارُعينا إذا كُنَّا سِلابَ الشكوك والآمالِ
فيم تشقَى وأنت طيرٌ وهذا العيشُ روضٌ قطينُه كلُّ خالِ
عُجْ بنا للضريح آخرُ ما نبغى فما فِى الحياةِ غيرُ القتالِ
قُبَّةٌ هَمْسُنَا بها النَّفَسُ للواهنُ والدمعُ جامداً لانثيالِ
عُجْ بنا يافؤاد قد مَلَّنا الناسُ وما فى وفائنا من مَلالِ
وانشُرِى يارِكابُ لَحن قَوافيكِ التى ما رَوَيْتِها لابْتذَالِ

وارقصِي واضربي الحوافرَ بالرَّمْلِ وشُقِّي الغُبار بالأَذْيَال

أَيُّ دمع حَماكِ من نَزَقِ السَّوْطِ أَرِفقِي أَمْ أَدْمُعٌ في ابتهالِ

لوعةٌ قد شربتها ثَرَّةَ الكوب على شِرَّتي ورقَّةِ حالي

سابقتنا نُسَيْمَةٌ ورَدَتْ (تُوتيِل) أَصداءُ مَرِّهَا في القِلالِ

فجَّرَ اللهُ ماءها باسمهِ الحقِّ فرفَّتْ حَيِيَّةً في الظلالِ

هِي قَلْبُ الجمادِ يخفق مشتاقا فما شوقُ ذِلَّةٍ واحتمال

بَهْجَةٌ في الصَّفَا وعَيْنٌ هي العينُ دُعاءٌ وَرَغْبَةٌ في وِصالِ

هِيَ عَذْراءُ للمنى كلٌّ دنياها وللرَّقصِ في شُفوفِ الدلالِ

بَسَمتْ في الظِّلالِ بَسْمَةَ مُشْتَاقٍ ومالَتْ هُنَاكَ كلَّ مَمَال

تَتَلَقَّى قُلوبَنا بقلُوبٍ خَافِقَاتٍ وحَرنَا بابتلالِ

رمَقتْهَا الرِّعانُ تنظر فيها لَوْنَها من تَرَهُّبٍ واكتهالِ

خَلَعَتْ دهرَها عليها فردَّتْه كَرَدٍّ العروس ثِنْيَ الحِجالِ

وبأَطرافها سحابٌ هو الشَّعْرُ بدا البرقُ فيه مِثْلَ الخِلال

واستَفاقَتْ لها الصخورُ وأَهدتها جمالاً بِزهرها عن جمالِ

يَحْتَفِي الصخرُ بالجميلِ ولا ينسى وابناءُ آدَم في اقتتالِ

ليتَهُم طَهَّروا الدموعَ من الحِقْدِ وصانُوا الدماءَ في الأَقوالِ

شَبِعَ البعضُ منهم ثم أَغناهُ التهامُ القبورِ صَرْعَى الهُزالِ

لمَ لَمْ يسمعوا الطبيعةَ والفَنُّ بها وَحْيُ صِنْعَةٍ وارتِجَالِ

لِمَ لَمْ يُرْسِلوا المشاعرَ أنساماً تسوقُ العبيرَ غَيْر عِجَالِ

لِمَ لَمْ يعبدُوا المهيمن فى أسرابِ غَيْم من الحياةِ نِهالِ
جَلَّ ربى وما أدقَّ وجودى والسموات والظنونُ حِيالى
بَيْتُ عُبَّادِ الحياةُ وما فيها من اليأسِ والهُدى والضَّلالِ

* * *

عَجلِّى يا ركاب رفَّ لكِ الماءُ رفيف العقود والأحْجَالِ
طَرباً تَعْثُرِين فى الجَدَدِ الهادى أهذا العِثَارُ ضَرْبُ اختِيالِ
بَشِّرِينى وقد سعيت بقُربى من غِياثِ العُفاةِ والأهْمَالِ
الحليمُ الأوَّاهُ والسَّيْكَبُ الغامرُ والسمح فى اقتبال السؤالِ
شاهدِى حبُّه إذا أشغل الناسَ جزاءُ النفوس بالأعمالِ
خَشَع الناسُ حول قُبتَّه الطُّولى خشوعَ النُّجوم حَوْلَ الهِلالِ
ذُو الضريح المنير كالكوكب الدُّرِّىِّ قد شَعَّ فى جباه الليالى
يابْنَ من فى رِكابه الرُّوح جبريلُ ومن حُبُّ آله شرْعُ آلى
لَيْسَ لى غيرُ حُسْنِ ظَنِّىَ باللهِ وحُبِّى لأحْمَدٍ من فَعالِ
فارْعَ لى زوْرتِى ثَراك وبارِكْنى وطَهِّر سريرتى وخِلالِى
ود خلمْنَا عليه ما حجب الزائر عن بِرٍّ وصله والنوالِ
ومسحنا وجوهنا بضريح مَشْرِقِىٍّ العبير والأحْجال
وشكونَا له الزمانَ وأُبْنَا نُشُطاً بعد تَرْحَةٍ واعتِقال

* * *

جَبلُ المرغنى أبقى المحاريب على منكِبِيْهِ دِرْعُ صِيَالِ

ويحه كم عنا على عُبُبِ الليل وأغضى على الضُّحى وهو صالِ
مَعْبَدٌ لذَّهُ الخشوعُ وأغناه صدى الغيب عن أذين بلالِ
صِخْتُ في صدره فرجَّعَ ما قلتُ فهل صاحَ سائلاً عن سُؤالي
خدَّدتْهُ الغيوثُ فهو صديعا كجليدٍ مُهَدَّم بالشُّلالِ
عَزَّ في ذُله أميراً على الأسر طويلا على الرماح الطوالِ
أين كوني وكونُه طبق الجو وصاد الغمام مثلَ الرئالِ
زخرَ الدَّوْم تحته عيْلماً أخضر بالطير مُزبِداً والجمالِ
ثُم زايلتُه فطالَ فهل يشتاق عَوْدي لظله وانفتالي
مُشْرِفاً ينحني فهل قام يسعى خلف ركبي دعاه داعي الزيالِ
دَبَّ كالريح تُفعم الافقَ الساجي وتعلو على رؤوس التلالِ
فانفري يا ركاب أو يسقط الطود علينا سحابةً من وبالِ
كاد يحوي الثرى بمد جناحيه فَعَالَ الكبير بالأطفالِ



فانفري يا ركابُ كلٌّ بمسعاه فهل ضِقْتِ بي ومضَّكِ حالي
لاتخافي (الكَراى) ترقد في الغِيرانِ أَوْ ترهبي انقضاضَ الصِّلالِ
بانَ ظِلُّ الحِمىَ لعينِك والدارُ وماج النخيلُ فوقَ التلالِ
والسواقي دعتكِ بالغَرِدِ الباكي لروض تَربُّه لاختلالِ
كلُّ خنساءَ تُبْدِع اللحنَ والقول وإن كان من شَجاً واختِبالِ
فانشطي مَرَّةً ولَستُ بمعييكِ سوى هذه وما أنا قالِ

لو يَرى الناسُ ما أرى كنتِ في الأدغال ترضين شرعَها لا الحبالِ
حاش لله أن يكونَ على بَلْواك سَعْيي مُكَلَّفاً واتكالي
فتسلَّيْ بنا فما نحنُ بالأحرار في دهرنا ولا بالموالي
نحن صرعى الحكومتين ، دفاع الفقرِ ، والعيش في رياض المحالِ

* * *

فوداعاً وأنتَ تبقى وأمضي فتذكَّر ضراعتي وابتهالي
أنت في العين والقطارُ يواريها ويُخفي علا ذُراك العوالي
قد طوى الأرضَ مُعْجلاً ليس يعنيه اختلاف الشؤون والأحوالِ
لم يذُقْ لوعةَ الحنين ولا الثكل ولا حَنَّ في سُهاد الليالي
يلطِمُ الأرضَ جاهلاً وهْوَ كالغيبِ عليها بقوسه والنبال
آلةٌ نحن من قرابينها الكُثْرِ عبيدَ العقولِ والأوصالِ
تُلْحِمُ الصُبْحَ بالمساء وما أضيقَ فيها رحابةَ الأجيال
أعرضت في مُضيها عن أسى البين وصدت بسمعها عن سؤالِ
ولولت كالصَّريخ فزَّعُه الليل عليها الدُّخان كالأسمالِ
ركبت رأسَها ومَنْكِبُها النَّاشِطُ كالذيلِ في هُدىً وانْسِلالِ
وتلفتُّ أستعيداكَ في الآفاق لَحْناً شُجونه ملءُ بالي
خلَتِ العينُ منك ياويْحَ أيَّامي عَبَرْنَ العُيونَ جِدَّ عِجالِ

* * *

لُحْتَ لي كالشراع والقَفْرُ قد أضحى مدى حيرة وبحرَ ضَلالِ
ضَرَبَتْ حيرةٌ عليكَ إلى أن صرتَ في البعد ظلمةَ لانْحِلالِ

أَو خبـاءٌ طـواهُ طَيًّـا وولّـى عـرِبىٌ يـرى الغِـنى فى التَّرْحـالِ

ثـم أَمسـيتَ كالسـحاب الذى أَقـلعَ أَو كالحبـابِ فى الجريـالِ

ثُـم أَطْلَلْت جَـازعـاً مـن وراء الأُفـق حـتى هَـوَيْتَ فى الأطْـلالِ

* * *

وصفـا الأُفـقُ وانْجلَـى منـك ياطـودُ وإن كنت قائما فى خيـالِى

سأُلاقيـك فى صبـا الرُّوح مـا عـانى تُـراباً مُـرقَّـعَ الأَسْـمال

سـأُلاقيـكَ خَـاطِـراً من وَراء الغيبِ قـد فَكَّـنِى مـن الأَغـلالِ

وسـأَلقـاك كالصباح وأُهـديكَ خِفَيًّـا رُؤى صباكَ الغَـوالِى

* * *

كـم أَهـاجَ الغـروبُ فى القِمَـم الشُّـمِّ حِـذَارِى من الرَّدى والزَوَالِ

دَمِيَـتْ من ضَـرَاوةِ الشَّـفَقِ الدَّامِـى ومافِى ذَمَـائه مـن خَبَـالِ

فهْىَ أَفْـلَاذُ أَنفُسٍ وقُلـوبٍ دَمِيَـتْ فى ضَـراوةِ الأَغْـلَالِ

كـم شُـعاعٍ على ذُراهـا محتْـه نسـماتٌ تعثـرَت فى الظِّـلالِ

حُـلُـمٌ وافـقَ الشُّـعورَ ومـادَامَ كَطِيـبِ الصِّبَـا سَـريع الـزَّوَالِ

تجربة

امدرمان – ١٧ –٥– ١٩٤٧



جَرَّبْتُ إخواني فكانَ أعَفُّهُمْ   يغتابُني في الشامتين ويَزْعمُ
سالَمْتُهُ حينا لِيَفْضَح نَفْسَه   فيبيتَ بعْدِيَ آسفاً يَتَنَدَّمُ
حتى إذا غلبتْ عليه صِفَاتُه   وَلَّى .. وقلبيَ آمنٌ يَتَبَسَّمُ

* * *

إنِّي أُصاحبُ من لقيتُ فليتني   قد كُنْتُ أَشْهَدُ ما يُكِنُّ ويَعْلَمُ
والآن جَرَّبْتُ الصِّحَابَ وحِكْمتِي   هجْرُ الصِّحَابِ وعُزْلَتِي لِيَ أَسْلَمُ
الشرُّ أغْلَبُ والنفوسُ غَوَادِرٌ   لا تشْتَفِي أبَداً ولا هِيَ تَرْحَمُ
يا غَافِلاً عن جارِه مُتَوهِّماً   فيه العَفَافَةَ إنَّما تَتَوَهَّمُ
هَذِي الوجوهُ ستائرٌ مخضرَّةٌ   من خَلْفِهِنَّ – وماتَّقَيْتَ – جَهَنَّمُ

* * *

سأَبيتُ وحْدِيَ لِي فؤَادٌ شَاعِرٌ   أُصْغِي إليه كَطائِرٍ يَترَنَّمُ
وإذا اسْتَطَعْتُ لما خَرَجْتُ لجُمْعَةٍ   أَعلى ابن آدمَ في الصلاةِ أُسَلِّمُ
وإذا عَمِيتُ لكانَ ذَلِكَ رَحْمَةً   مِنْها ترَفُّ عَلَى دُجَايَ الأَنْجُمُ

العِنَانْ

الخرطوم ـ اول ينـــاير ١٩٦٠



فى حَيِّنــــا حِصَـــانْ
مُشْـــتعِلُ العَـــدْوِ بلا عِنـــانْ
أَخْلَى لــه الطريقَ عابرُود خائفـــينْ
وأَلصـــقوا الظُّهـــورَ بالجُدْرَانْ
وانْفَلتُـــوا إلى البيـــوتِ مُشْفِقـــينْ

* * *

وقـــال أَهْـــلُ الحـــىِّ آسِـــفـــينْ

تِلـك بلايا آخـرِ الزمـانْ
لكلِّ أمْـــر واقــعٍ أوانْ
في حَيِّنــا حصَــانْ
* * *
لكنَّهـم قـد فَـزعُـوا إلى القبـورْ
مُـؤَمِّلـينْ . . .
وانْتَخَـبُـوا الهِبَـات والنُّذُورْ
واستصرَخَتْ عجائزُ الحِمَى وليَّنـا الكَبِـيرْ
وضاعَتِ القبـورُ في الدُّهُـورْ
ورَجَعُـــوا إلى البيـوتِ مطرقينَ ذَاهِلـينْ
منتظـرين أوبـَة الخيـال والظُّنُـون
من رَهْبـــةِ المصـيرْ
* * *
وعَــرْبَــدَ الحصان
في حـانةِ القضاء والقَــدرْ
خَيَّــلَ في عُــزْلَتِه المُحَـالْ
مُتَّخِـذاً ما يشـتهى من الصُّـوَرْ
* * *
وانبعَثتْ من رأسِـه قُـرونْ
أرهفهــا مَسْــنُونَةً وصَالْ

ورانَ صمتُ يَقِظٌ مُـرِيبْ
يَخْـفَى بـه دَبِيبْ

* * *

وصاحَ زَوْلٌ فى البيـوتِ وانْـبَرى
ودقَّ صـدره علا وقَالْ :
أنـا الفـتى
وارتفـعَ الصيـاحْ
مُنْـدَفِقـاً كرشَّـةِ الجِـراحْ

* * *

والوحشُ فى الحمى يـدورْ
عاصفـةٌ مـدمِّـرَةْ
تلهثُ فيها قَفْـرَةُ الضَّيَـاعْ
وذلـك الفتى فى طيِّهـا شِـرَاعْ
تَطْحنُـه أنيـابُهـا المزَمْجِـرَةْ

* * *

فى حيِّنَـا حصـانْ
مُشْـتَعِلُ العَـدْوِ بلاعِنَـانْ
وداخلَ البيـوتِ أرْعَـش الظِّـلاَلْ
صهيلُـه من صدره السَّـحِيقْ
جَـرْجَرَ فى أعماقـه وسَـالْ

وتقذفُ الأبوابُ رجعهُ إلى الطَّريقْ
وخلفَها النِّساءُ في الحِجَالْ
يَخشَيْنَ من صهيلِه الرِّياحَ والحَرِيقْ

* * *

وتَسْكُنُ الأَثداءُ لابِدَاتُ
ويَشْرُدُ اللَّبَنْ
وتَعْلَقُ العيونُ بالظِّلاَلْ
طافَ بها من الردى خيَالْ

* * *

وطارَ عَنْ جِنَانِه الربيعْ
واحترقَ الكُرومُ في السَّمُومْ
والدَّوْحُ في رياضِه صرِيعْ
والزهرُ في غصونِه عَلِيلْ
إلى الثَرىَ يَميلْ

* * *

ومَر عامْ
أزْهَرَ فيه الخوفُ والظَّلاَمْ
شاخَتْ به أُسطورةُ الحِصانْ
في طُرُقِ الحيِّ لها ضِرَامْ
أبوابُنَا تَدْفعُه دُروعْ

وخَلْفَهـا الأَطفـالُ والنسـاءُ والدُّمُـوعْ

* * *

ومُـرَّ عـامٌ آخـرٌ طَـويلْ

وَمَّلتِ الجُـدْرَانُ من ظُهورِ قَاعِدينْ

مُـوَزَّعين بينَ لذَّةِ الحيـاةِ والأَلَـمْ

وبينَ هَبَّـةٍ قـد تهبُ الحياة آخَرِينْ

مُنْتَظِـرين فى غيابةِ العَدَمْ

* * *

ومَّـر عَـامٌ آخـرٌ طَـويلْ

وذاتَ يَـومْ غَامِضِ الصَّبَـاحْ

أَيْقَظَنَـا فى حِيِّنَـا صِيَـاحْ

وأَصْغَتِ الأَبوابُ والظِّـلاَلْ

فيها النِّسـاءُ تَمنـعُ الرِّجـالْ

ويصـرُخُ الأَطْفَـالْ

وفى صُـراخِهم مُضَيَّعـاً سُـؤَالْ

* * *

وأَفلت الدُّعـاءُ من جوانبِ البيـوتْ

إنَّ عـذَارى الحـىِّ سـاهراتْ

من شعرهن ذلـك المُنَعَّـم الطـويلْ

أَمْسَـيْنَ ناسِـجَاتْ

حبائلاً من شـبكٍ ملتمع صقيـلْ

* * *

وحيِّنـا عـاوَدهُ المَسـاءْ

يَحْمِلُ فى ثيـابهِ الخَطَـرْ

ويَحْمِل العَـزَاءْ

لَكِنَّ أعـينَ الحِمَـى

مفتوحـةٌ على حَـذَرْ

تذوبُ فى أحداقِهـا الدمـوعْ

وتـرقُصُ الشـموعْ

والشَّـعْـرُ فى أنامِلِ البنـاتِ نَاسِـجَاتْ

غَلائلاً من الحـرير سـائلاتْ

يصرخُ فِى ألفافهـا رَضِيـعْ

تَرْعَشُ فيه رغبـةُ الحَيَـاهْ

وشَـهْوَةٌ لونُهَـا ربيـــعْ

* * *

وحدَّثتْ نوافـذُ البيـوت بالسَّـهَرْ

هاتفَـةً على الطريقِ بالضيَـاءْ

وحـوْلَـهُ الخفَـاءُ فى ظَـلامِه نظَـرْ

وفى نوافـذ البيـوتِ أوْجُـهُ النِّسَـاءْ

يحار فى أَوْضَاحِها رجَاءْ

* * *

سفينةٌ في ظُلمَةِ البِحارْ
ليسَ لها رُبَّانْ
إلاّ بريقُ نجمةٍ سحيقْ
ضياؤُها الخفّاقُ في الزَّمانْ
قد تلتقي في صفوهِ العيونُ والقلوبْ
وتسكبُ الحَنانْ
وتَضْحَكُ الرُّبوعُ للغَريبْ
* * *
ومَرّ ذلك الحِصَانْ
وأبصر الضوءَ على الطَّرِيقْ
حِبَالَةً من شَعَرٍ دَفُوقْ
تَشْكُبُهُ أناملُ الحِسَانْ
* * *
وسالتِ الأبوابْ
بأرجُلٍ كأجْنُحِ الطُّيورْ
أَجِنَّةً في ظُلْمَةِ المَصِيرْ
وحَوْلَها من خَطَرٍ نِقَابْ
ولاحتِ الأَكُفُّ نَاشِرَاتْ
مشارقاً تموجُ في غدِيرْ
* * *

وجمدَ الحصانُ في إطَارْ

وما به حَرَاكْ

إلاّ الذى ماتَ على الشِّبَاكْ

إلاّ الذى يُعيدُه الخَيَالْ

حكايةٌ تُقَالْ

* * *

وعندَ كَهْفٍ سَاكِنٍ بعيدْ

ذبابَةٌ طَنَّ بها الغُرُورْ

والعنكبوتُ حَوْلَها يَدُورْ

بَنَفَسٍ من لينهِ قُيُودْ

بُحَيْرَةٌ ليس لها عُبُورْ

خَفِيَّةٌ يُخْطئها البَصِيرْ

* * *

وأقبَلَ النَّهَارْ

وخرجَ النساءُ للحقولِ والصِّغَارْ

وارْتَعشَ الطريقُ بالضِّياء والفَرَحْ

وكلُّ ربع فى ظِلالِه صَدَحْ

وضوَّأ القَدَحْ

وصاحتِ الكَرْمَةُ والدِّنَانْ

لِيَسْعَدِ الانسانُ بالنِّسيانِ والأَمَانْ

* * *

ومَرّ شَاعِرٌ مُغَرِّدٌ حكيمْ

يطُوفُ بالفريقْ

يَخْتَزِنُ العِبْرَةَ فى رَبابهِ العَتِيقْ

كَنْحلَةٍ يشوقُها الرحيقْ

مختلفَ الألوان والعبيرْ

هامسةً كأعيُنِ النِّسَاءِ فى حدائق الحَرِيرْ

* * *

غَنَّى على مسامعِ الزَّمانْ

حكايةَ الحصانِ والبناتِ والضِّيَاءْ

وقال يازَمانْ

خُذْ حُكْمى المسطورَ فى السَّماءْ

ليسَ الضعيفُ بالضعيف يازَمانْ

وكل طُغْيَان لهُ عِنَانْ

* * *

وغَرَّدَ الشَّاعِرُ بالرَّبَابْ

وجاءَ بالعُجَابْ

* * *

لقد وعيتَ قصةَ المسيحْ

أنفاسُه على صليبه الثَّقِيلْ

نُبُوَّةٌ شيَّدَها الانْجيلْ

كَنـائساً بوجـدهِ تَبُـوحْ

* * *

ياصاحبى يا أَيها الغـريبْ

حَيثُ تكـونْ

إنى غـريبْ

ليس لنـا ياصاحبى وَطَـنْ

إلا الرجاءُ مُـورقاً على المِحَنْ

حلاوةٌ نسـيغُهـا على الشَّـجَنْ

* * *

أَما ذكرتَ قصـةَ النبىِّ فى حِـرَاءْ

فى صدْرِهِ السَّـماءْ

وقـد تَولَّى أمر مَكَّـة هُبَـلْ

هاجـر فى جُنـح الظلامِ وارْتَحَـلْ

آواهُ غـارٌ فى مَحَاضِنِ الجَبَـلْ

ورأسُـه المُتْعَبُ فى يَـدَىْ صَدِيقْ

ويَشْـرِبٌ طـرِيـقْ

فى ظُـلْمـةِ الغَـارِ لَهَـا بَـرِيـقْ

والعنكبوتُ خَلْفَـه سَـمَاءْ

حَـدَّقَ فى آفاقِهـا الحَنِـينْ

وصدَحْت ورْقَـاءْ

جَنَـاحُها غمـامـةُ الرَّجَـاءْ

* * *

يا أُيها الصغـارُ في المُهودِ نَاعِمينْ

مُبـرَّئين حالمـينَ بالوُعُـودْ

في كلِّ مهـدٍ عالمٌ جـدِيدْ

ليسَ بـه حِصَـانْ

يَجْـرِي بـلا عِنَـانْ

وأنمـا أمـانْ

أَشرقَ فيـه الحُبُّ والحَنَـانْ

العامُ الجَديد

اول عام ١٩٤٧



الأُلى يُدفنون ينتظرونَ البعث كم ذا توقعته اللحودُ
وأنا الحى لست أحيا ولا أرْقُب شَيْئاً ولاصِباً أَستعيدُ
أعينى ترأَم الورود ولكنَّ فؤادى تموت فيه الورود
أعرضت عنىَ النجوم لها شغل بما يصنعُ القضَاءُ المريدُ
لست حرا ولست عبدا وقد ينعم بالقيد والهوان العبيد
ويحهم لاقلوبهم رجت الشوق ولا دمعهم رجته الخدود

المُصَلِّيَة

بورتسودان ١٩٥٣



حَبَشِيَّةٌ تغْشَى الكَنِيسَةَ فى الصَبَاح على حَيَاء
وبِصَدْرِهَا لَمَعَ الصَّليبُ كَدَمْعةٍ خَلْفَ الرجَاء
غَضَّتْ بناظِرِهَا يُنَازِعُها الرُنُوَّ إلى المَرَائِى



يَا أُختُ مانَفَعَتْ صلاتِيَ فِى المَسَاجِدِ أو بُكَائى
فَتَركْتُ قَلْبِى مِثلَما تَبْغِى المَشَاعِرُ مِنْ بَقَائِى

الألمُ المحبوب

امدرمان ٦-١-١٩٤٤



تَمَرَّسْتُ بالآلام حتَّى أَلِفْتَنِي ... ومَالِيَ عن إِلْفِ الحَياةِ بِعَادْ
أُحِبُّ شجونى ما تَنَاستْ مَودَّتى ... وكَمْ ضَاعَ بين الأَصفياءِ وِدَادُ
بهـا أَتسلَّى عن غَرامِي . وَشَمْلُها ... جَمِيعٌ ، وأَطيافُ الحنينِ بَدَادُ

* * *

تُجاذِبُنِي والليلُ ساجٍ كأنَّني ... مَدامِعُ تَعْصِي مَرَّةً وتُقادُ
عَوانِسُ عِنْدِي لَمْ تُفارِقْ حِجابَها ... ولَيْسَ لها إلاَّ وَفائِيَ زادُ
رَضِيتُ بها كالأُمِ تَرْضَى بواحِدٍ ... هُوَ العَيْشُ يُخْدَى والشَّبابُ يُعادُ
وكم شَقِيتُ أمٌ بنجْلٍ وماشَفَى ... وأَخْلَفَ ظَنَّ الآملِينَ جَوادُ
وَرُبَّتَ كأْسٍ ما اسْتَفَزَّتْ مشيبَها ... فطابَ له بين الظلالِ رُقادُ
وما تبتغي كأْسٍ كعينٍ كحيلةٍ ... ينامُ بها بين القلوب سُهادُ
وهل أنا إلا الغيبُ في طيِّ ليلِه ... ضِيَاءٌ ولكنَّ الغُيوبَ سَوَادُ

* * *

ووَاسَيْتُ نفسي بَعْدَ ماجُنَّ ليلُها ... ولاَمَ جُنوبي – لاتَقِرُّ – مِهَادُ
أَلَح عليَّ الهمُّ حتى عَشِقْتُه ... وعُرْسِيَ تَيَّاهَ العَبيرِ حِدَادُ
غريقٌ كأنَّ الموجَ وهمٌ سَيَنْجَلِي ... وماهُوَ إلاَّ ضَيْعَةٌ ونَفَادُ
وهيهاتَ ما يُغْنِي رجاءٌ إذا سَجَا ... فَنَاءٌ .. ولكنَّ الرَّجاءَ وِسَادُ

ليلــةٌ شــاتيَــة

امدرمــان ٢٥-١-١٩٤٣



يلــذع البــردُ خارجين على الريــ ـــق فما يتقون بالأثـــواب
يتخطى نوافذى ودجى الليـــــ ـــل طليــحٌ وراءَ بــابىَ كــابِ
دفّــع القــُرُّ منه شيخا فهل يطـــ ـــلب مأوى يثيــرُ نــار الشَّبَــابِ
منه فى مِشْــمَعَىَّ رجــعُ عــواء بــين جــوع محــرق وانتحــاب
نتقى بالتــرام كالطلــل البــا لى عَثُــور الخُطى رقيــقَ الاُهــاب

فكأنا من الترام سَرِيْنَا في دُخان مضيع في يَبَاب
سكن الجو كالزجاج فما تفصح عيني تحيرت في حجاب
لا ترى فيه مسلكا واندفاع البرد مثل السهام في الأبواب
ترجفُ النار فيه خائفةً ترنو بطرف مُرنَّح مُسْتَرَابِ
تعبت من صراعه فانثنت عنه لأمرين لَفْتَةٍ واضطراب
أعراها برد الشتاء فأمست مثل شيخ مهلهل الأثواب
تنطوى في الوقود ثم ترائيني بلمح على المواقد خاب
في ظلالٍ سكرى تلوذ باستار رقاق تلوذ بالأبواب

* * *

رب خفف على المساكين لايمسون بين الكواعب الأتراب
لانُسيغُ النميرحين .أساغَ الربُّ دِفءَ الرحيق في الأكواب
رَبِّ جاءوا فما الكرى برحيم لاولا الليل ساتر الجلباب
حرة لا ألومها تحطم الباب وتَهدى رحيقها للذباب
لست أدرى أمن ثيابىَ يغشى بَردُ هذا المساءِ أم أعصابى
ودَمِى مالَه تريَّثَ في قلبى وجِسْمِي أم حِفْنَةٌ من تُرابِ

فُلان

١٩٤٣

ومن كفلان يقطع الليل ساكرا ويلقى ضياءَ الصبح غير كريمِ
ويسعى وما يدرى إلى أي غاية سعى بين إطراقٍ وطول وجومِ
ولو كان يشرى الخمر مِنْ حُرِّ كَسْبه لكان على الأسراف غير ملومِ
ولكنه يسرى بأثقال نفسه إلى كل متلاف اليدين كريم
يتيمٌ ذليل النفس والعقلِ جامعٌ حقارةَ عبدٍ وانكسارَ يتيمِ

بَيْنَ بَيْن

امدرمـــان – ٢١ر٥ر١٩٤٧



أتـــوبُ فـآن ثَـــاب الهوى بعد غفلة ... رجعتُ إلى الآثام غـيرَ مبـــالِ
وللأرض بعـد المحل رِىٌ ونشـوةٌ ... تثـيرُ جمـــالاً هائمــاً بجمَــالِ
وإمّا تَقَضتْ لَـذَّةٌ ران بعـــدهـا ... سُجوٌ فتـورٍ لاسُجُـوٌ مَـــلالِ
كذا الروضُ قبل الريح تسجو غُصونُه ... وتنظـرُ للآفـاقِ وهْىَ خَـوالِ
وللرِىِّ نَوْمـاتٌ هى اللهـفُ ساكنا ... تَـرقّبُ فى أوجارها كصِـــلالِ

* * *

وأفـزعُ من نفسى إلى النوم فاسـقا ... يحقّـقُ للأوهـام كُلَّ مُحَـالِ

أباح الكرى سِرِّى قديماً نسيتُه ... وبصَّرنى مَشْعَاهُ قُبْح خِلالِى
ويا نَوْمُ كَم قَبْرٍ بنفسى نبَشْتَه ... وجاوزتَ بى للأمس كلَّ زوال
هو النومُ مدَّ الليلَ ظلا مُوَرَّداً ... تعَرَّتْ به مكنونَةٌ بحِجَالِ
غضضتُ لها طرفى وضَنَّتْ بحسنها ... فكيفَ تَعَرَّتْ فى غَيَابةِ بالِى
وربُتَ نهرٍ عاكسٍ وجهَ روضةٍ ... وما حولَه من خُضْرَةٍ وظِلَالِ
أباطيلُ عندى وهْى حق شهِدْتُه ... فمن لى بها أرضى بها وأُغالى
وكم زَوَّرَ الحرمانُ للقلب ما اشتهى ... وللبيدِ تَرْجُو الرِيَّ لَمْعَةُ آلِ
ظنَنتُ الليالى كاتِمَاتٍ مآثمى ... ولكنَّها قد أصبحت برحالى
فهل عجَبٌ أن أقبل الصبحُ خَاضِباً ... حياءً وآثامُ الظَّلامِ حِيالِى
بكفىَّ كوبٌ هَامِدُ الخمرِ شَاحِبٌ ... بَدَا لِىَ دُونَ الفَجْرِ طيفَ خَيَالِ
وعَيْنِى بَيْنَ السُّهْدِ والنَّوْم لاتَرَى ... وإن نَظَرَتْ فى ثِقْلَةٍ وكَلَالِ
ولم تَصْحُ من أحلامها السودمُومِسٌ ... لدى نومها ليستْ خليةَ بَالِ
أتخشى إذا نامت وباتت بغفلة ... تَعَرُّضَ جسم فى المحَاسِرِ بَال
سَرَى النومُ عنها حُسْنَها فهوقِشْرَةٌ ... نَفَتْ صِبْغَها من فِتْنَةٍ ودَلَالِ
لقد بهرتنى أول الليل زَهْرة ... فياقُبْحَ ما زورتُه بخَيَالِى
جلا الصبحُ ما أخفاه ليلى وسَكْرتى ... وما سَتَرَتْ من قِلَّةٍ وهُزَال
فياصبحُ ما أقساكَ تُفْشِى ولاتَرَى ... فِرِفْقاً بحال المُومِسَاتِ وحَالِى
خَبَا الذهبُ الوضَّاحُ هل كان رَاجِعاً ... صِباها وخَوَّتْ كالنُجوم لآلى
وكُفْكِفَ موجُ العطر فالعطرُ رَاكِدٌ ... بصدرٍ يبيس لم يُفِقْ لبلال

وايقظتها فاستَنْفَرتْ وهيَ تتقي عيونِيَ وأغضي كاتما لملالي

* * *

تَقَلَّبْتِ ثَوْباً في أكف جَواذبٍ حِرَاصٍ لدى ستر الظلام عِجَالِ

خَصِرْنَ فهل يبغينَ دِفْئاً وأمْنَةً بثوبٍ كثيرِ الأدعياء نُسَّال

ويارَبٍّ ! قلبي جائعٌ ليس يكتفي وما هو عن رعي الخَبائثِ سَالِ

هو القيدُ معقوداً على الصدرِ لاهثاً فحتَّامَ أسعى رَازِحاً بِعِقَالِ

يَرِنُّ فأكبُو دُونَه وهو رَاجِعي لأنهضَ كالعاني صريعَ حبال

جعلتُ على عينيَّ سترا فرَدَّهُ وأرسلها كمْ أولعت بِضلالِ

تُراودُ نجمَ الليلِ عُرْيَان غَافِلا فيرعشُ من طَرْفِي هَفَا لمُحَال

* * *

ويارَبٍّ هذا الوحلُ في النفس فائحٌ تنفستُه في جنَّةٍ وخَبَالِ

وكيفَ نَجاني مِنْهُ والرُّوحُ قَطْرَةٌ عَلَيْهَا جِبَالٌ أوقرتْ بِجِبَالِ

وأني كأهل النار عَضُّوا لهيبَهَا ومن فَوْقهم رَوْضُ الفَرادِسِ حَال

إنتحـــار

بورتسـودان اوائل سـبتمبر ١٩٥١



ذُنُـوبُ طُغَـاةٌ لَيْسَ من هَمِّهاَ العَدْلُ　　تَعلَّمْتُ منها كَيْفَ يُنْتَظَرُ القَتْلُ
وكمْ عَقَدَتْ كَفَّاىَ حبْلاً وجَرَّعَتْ　　سِمَاماً ولَمْ يَفْتِكْ بىَ السَّمُّ والحبْلُ
أَبيتُ إذا ما جنَّنِى الليْلُ مُوصِيـاً　　كمَا تَشْتَهى الأَوْهامُ والجُبْنُ والخَبْلُ
إذا لم أَكُنْ ثَبْتاً جريئاً فما الـذى　　. يُدَفِّعُنِى حَتى يُجانِبَنِى العَقْـلُ
جُنُـونٌ وما عدلٌ ملاهـى نَوازِعـى　　وَلَمْ ينتصـرْ للمؤمنينَ بهِ العَدْلُ

ليــلة

أم درمـــان : ١٦ر٢ر١٩٤٦



أتَسْـتَلفِتُ الليــلَ ياســاهرُ   لقــد رده نجمُـــه العــاثرُ
رَعَيتُـه شـردتْ .. والصباحُ كمــا وثـبَ الأَســدُ الكاسـرْ
فـوالهفتـاه عـلى ليـــلــة   ثـكـولٍ وليس لهــا نَاصِـرُ
هَجَــرْنَا ســتائرَهــا الحــانِيَــاتِ وأَعجـلَنَــا صبْحُها الظّـافِـرُ
أمــا ولــدته كثـيرَ العقـُـوق يصــارعـه دهــرُهــا الداهـــرُ

يكشّف ما سترته الدُّجونُ وضن به ليلُنا الساهرُ
وأوجُهنا الشُّحَّبُ الذاهلاتُ محيًّا الصباح لها قاهرُ
وأزهارُنا الذبَّل الناسياتُ جفا طِيبَها رُوحُه العَاطِر
نَغُضٌ بأبصارنا عَنْ سناهُ ويحسرُها ضوؤُه الباهر

* * *

فيا ليلةً بقيتْ صورة تَمَلّى بأوضاحها الذاكر
ذهبتِ وأصبحتِ خلف الدهور ودَارَ بِيَ الزمَنُ الدائر
وبي حرقة من هوى غادةٍ لَدَيْكِ بها احْتَفَل السَّامِرُ
تُغَنيً وفي نَبْرها عُجْمَةٌ يَلَذُّ بها فمُها العَاثِرُ

* * *

وتحضن قيْثارها المُسْتنيم كما حضنَ المُومِسَ الفَاجِرُ
تُكِبُّ فتغْنج أوتارُه يَلِجُّ بها الوَلَهُ الشَّاجِرُ
تَغَنّي وآهاتُها كالجراح يَضيعُ بها صوتُها الفَاتِرُ
صَدَى طائرٍ في شِغَافِ القِلالِ يَتِيهُ به النَّسمُ العَابِرُ
وتغمرُهُ بشجون الغَرَام فيصدحُ هَيْكَلُه الضامِرُ
تَفَجَّرَ تحتَ ظِلالِ النُّهودِ وأزهَرَ يابِسُه الغابر
ويَعْرَى إذا ألبسته الحياءَ ويَفْضَحُه نَهْدُها السافِرُ
وربَّت لحن غريبِ المطاف يَعِنُّ فيعرِفُه الخَاطِرُ
وربُتَ لحنٍ على حَيْرةٍ كما لَمَعَ المَدْمعُ الحائِرُ
وآخر ثَوَّرَ بالساكرين تَعَثَّر داعِرُهُ السَّاكِرُ

ذكرتِ صِباكِ فغنَّيْتِه وهيهاتَ رَيِّقُه العَاطِرُ
وعينُك ترمُقُ أُفقَ اللحون فهل خلفه أملٌ زَاهِرُ
وأغمضْتِ عينيكِ هل تَنْعَمَانِ بما صاغَه لحنُك الشَّاعِرُ
كأنَّكِ ساجية تذكرينَ .. يَضمُّكِ موطِنُك العَاهِرُ
ولُحْتِ كأنَّكِ لمحُ الشِّرَاعِ يَضِلُّ به العَيْلَمُ الزاخِرُ
وأيْنَ من النيل ماتَذْكِرينَ بغُنْدَار ما طَيْفُها سَافِرُ
وأيقظك الشَّرْبُ هل تعرفين وجوهاً بها شَبَقٌ هَادِرُ
أتوْك عليهم صفاءُ النفوس فكدَّره العَسَلُ السَّاعِرُ
وقُمْتِ وقَدْ فَتحُوا أعينا يجاذِبُها السكَرُ العَاهِرُ
يميلُونَ نَحْوَكِ مَيْلَ الغُصُونِ يُدافِعُها ظفْرُكِ الباتِرُ

* * *

تُذَكِّرنى الخمرُ عهدى القديمَ وقد أنكرت عهدى الدَّامَرُ
ولِلْكَرْمِ طَيْفٌ حَكَاهُ الحبَابُ وصَفَّرَهُ رغْوُه الفَائِرُ

بغـــداد

١٤ر٧ر١٩٥٨



رَأيتُـكِ بالأمس لاتنطقـينَ فـأين البيـانُ وأيــنَ القَصِيــدْ
فهـل تذكـرينَ زمـانَ الرَّشـيدْ
وقلتُ لقـد ذهبَ الثـائـرونَ ولـم يَبْـقَ إلاَّ الخَنَـا والعبيـدْ
ونُـوري السـعِيـدْ
وجـاءك من (بَكَّـةٍ) كَـاذِب لَـهُ لِحْيَـةٌ فى بَيَـاضِ الجَلِيدْ
وَيحْـدُو الجـواسيسَ فـوقَ الجِمَـالِ تَعَجَّـبُ كَيْفَ رَقَـاهَا العَجَـمْ
وأَوطَأَهُـمْ ربـواتِ الحجـازِ أُنوفـاً تَطـامَـنَ مِنْهَـا الشَّـدَمْ
و(لُورَنْس) يَخْـِل فى خُـرْجِـهِ عُـروشاً تَخَيَّـلهـا وابْتَسَـمْ
فعـرشٌ تبلَّـجَ فـوقَ الحجـازِ وآخـرُ فـوق الشـآم ادَّعَـمْ
فقـاقيـعُ يَحْسِبُهـا الخَائنـون دَرَارِيَّ تَسْـطَـعُ مِـلْءَ الظُّـلَـمْ
وضـاعَ الشــآمُ وضـاعَ العــراقُ وناحت فِلَسْطِينُ بين الرِّمَـمْ

الهـــرب

بورتســودان – ٢٠ر٤ر١٩٥٣



نخشى المنايا وتخشى الناسَ أوجهُهُمْ ... تُخْفِي لـك الغـدرَ لاتَخْشَاه مُبْتَسِمَا

فاعقـلْ خُطاكَ ولاتَنْفِرْ إلى أمـلٍ ... خلفَ الدياجر تَشْكُو العِيَّ والبكَمَـا

الكَتائب

١ر١٢ر١٩٥١



هَلْ مِنْ رجالكَ هذا البُؤسُ والعَدَمُ — نصيبُكَ السيفُ ما في شَرْعِهِ القِسمُ
عَدْلٌ فَما هُو حَابَى نفسَ حَامِله — إنْ عاشَ عاشَ وإلا عَاشَتِ الرَّخَمُ



إني اتقيتُ وجوهَ السَّعي خَافِيةً — وخلتُ أني من عقباه أعتَصِمُ
وبتُّ أُرقدُ أحلامي وتُسهرني — وباتَ يَسْخَرُ من آماليَ النَّدَمُ

فى ظُلمة الليـــلِ رَعّـاشاً بـأنجمه ... مِثْـلِي تَمَثّــلَ فى نسيانه الصَّنَمُ
ما الخَوفُ ! أجهَلُ من أدمنتُه محبته ... لَــوْنٌ من الحُبِّ إلا أنه سـقَمُ
مِلءُ الجوانح مِنْ وسَوَاسِهِ خَـدَرٌ ... ومـا تَبيَّنَ فى آلامِـه الأَلَـمُ
ياويحَ بَسْمةِ إيمانى عَبَسْتُ لهـا ... لمـا دَعتْنى وشَـاهَتْ دُونَها القِممُ
فَــرْرتُ منها وهل أنجو إلى حَـذر ... فيه المــواجسُ والأشـباحُ والتُّهَمُ
أبقيتُ نفسىَ حينــاً هلْ ظفرتُ بها ... وقــد تَقطّــعَ فيما بَيْنَنَـا رَحِـمُ
شاءت على النَّارِ مَسْرَاهَا وأخـَّرَها ... قَلْبى لكاذبةِ الأحــلام يبتَسِـمُ
ياقلبِ مالك عنـدِى اليوم جَانِحةٌ ... فأَنت أفسـدَكَ التدليـلُ والسَّـأَمُ
أَحــنى ضُلوعى أقــواساً موترة ... عليك وهــى من الشَّـحْنَاءِ تَحتَدِمُ
فانفِــرْ عَدِمْتُك من قلب يُقَلِّبنى ... كما بشــاءُ وجِسْـمِى حَـوْلَه خَدَمُ
أَتَسْتَمِيلُ رِيَــاضَ النيــل آبيــةً ... ورودُهــا كعــذارى الدَّيْرِ تَحْتَشِـمُ
والنَّخْــلُ مثل صبايا البِشْرِ مَنَعُهـا ... طُهـر ودلّ عليها الـدَّلُّ والرَّسَـمُ
حتى السواقى يكف النوحَ ثَاكِلها ... وبالجِــرَارِ - على أمراسِها - بَكَـمُ
حتى الشواديفُ كالأشباح رَازِحــةً ... أبت سُـجُــوداً وفى أحنائها شَـمَمُ
حتى النســيمُ فما أنفــاسه طُلُــقٌ ... ولا الجــداول فى أوتــارها نغـمُ
والظِّلُّ يَــرْعشُ من رُوحٍ به ابتدَرتْ ... إلى الضيــاء ومن أثــوابها العَـدَمُ
تَلَفتّ الكــونُ من أمرٍ به عَجَبٍ ... وخلفــه الغيبُ مَسْعَى خطوه أَمَـمُ
لقــد تقلقــل فى أعطــافِه أحُــدٌ ... وهَبَّ يذكرُ فى نسيَانه الهَرم
صَحَـا فأطلـقَ أسْــراراً مُقَدَّسَــةً ... فَكُلُّ صَخْـرٍ لِسَـانٌ بَائـحٌ وفمُ

أسمعتِ يامصرُ أسْماعا مُصَفَّحةً هيهاتَ يخدع فيها رُغْبها الصمم

ألبسْتِ نيلَكِ دِرْعَ الشَّمْسِ طَالِعةً يَغْشى به الكفرُ والأمواجُ تَحْتَدِم

عَلى قَنَاتِك بَوَّابٌ وهلْ قَبَضَتْ كَفَّاهُ ماءٌ به الأرياحُ تَخْتَصِمُ

كتائبَ المجدِ هل شارفتِ مُدْلِجَة والفجرُ فَوْقك من ألوانه عَلَمُ

إنا سكتنا على ضيمٍ ومسكنة كما تُساق إلى جزَّارِها البَهَمُ

كُنَّا الحمائمَ في غارٍ وقد نَسَجَتْ به العَنَاكِبُ ما لايَنْسِجُ القَلَمُ

غَيْبٌ يسطِّرُ آياتٍ لقد هتفتْ وشَعٌ يَبْرُقُ في أَضْوائهَا الحَرَمُ

بَني الحنيفةِ ذي الأُخرى التي وُعِدَتْ كما نُحِبُّ وما يعتادُهَا سَأَمْ

خُوضوا المنايا إلى الأرواح باقيةً فما القبورُ لأهلِ الخُلْدِ مُلْتَزَمُ

الله اكبر ! لا نَعْيَا بذى لَدَدٍ وإنْ تداعتْ له من حولِنَا الأُمَمُ

إن الخصومةَ نَرضَاها إذا التَحَمَتْ فيها الحلاقِمُ والهندِيَّةُ الخُذُمُ

خَلُّوا المَجامعَ لم تعدِلْ حكومتها إنَّا إلى السيفِ مَهْمَا قَالَ نَحْتَكِمُ

* * *

مساجدَ الشرقِ ليسَ الدين همهمةً فوقَ المباخرِ والقرآنُ يُهْتَضَمُ

فيمَ الخطابةُ لا الحجَّاج أرَّثهَا ولا عَلِيٌّ تُبَارى سيفَهُ الكَلِمُ

مَا الْمَتْمُ الكفرَ أجيالاً فأطَمعهم صمتُ البراكين تَسْلُو طيَّة الحُمَمُ

قالوا ، وليتي لم أُنكر مَقالتهم دين الحنيفةِ سيفٌ ظامئٌ وَدَمُ

أخادعونا فصادونا على مَهَلٍ فَنَحْنُ لحمٌ ومن دينِ الهُدَى وضَمُ

هل أَغضبَ النصرُ آياتٍ مُبَادِرَةً إلى القِتَالِ وفيها العَدْلُ والقِيَمُ

إنى لأسأل ما (حِطِّينُ) هل سَكِرتْ … فيهَا الليالِى وَزاطَتْ حَوْلَها العجَمُ
الله أكبر ! إنَّ الدِّينَ ما ارتدَعَتْ … به المظالمُ وانجابَتْ به الظُّلَمُ
الدينُ بالسَّيْفِ قَولٌ ما نُدَافِعُه … والآن صَحَّ لَعَمْرُ اللهِ ما زَعَمُوا
خُذُوا القناةَ لقد عادتْ بكارَتُها … لكِنَّها اليومَ بالأسلامِ تَعْتَصِمُ
نَحْمِى الحقوقَ ولا نبغى الذى كتمت … به الضلوعُ فأنَّ اللهَ مُنْتَقِمُ
أقسمتُ بالحق يَحْمى السيفُ حوزَتَه … ولى به قَسَمٌ ما بَعْدَهُ قَسَمُ
لتركَبُنَّ رُؤوسَ الكُفْرِ نَافِرَةً … إذَا تسابَقَتِ الأَسيافُ والهِمَمْ
أتخنعونَ وبدرٌ فى دِمَائكمُ … وفيكُم الآن مأمونٌ ومُعْتَصِمُ
صاحُوا : السلاحَ وأمضى منه ماشَهَرتْ … به الحفائظُ واسْتَشْرَتْ به العِصَمْ
هل تذكرونَ عصا مُوسَى ! لقدبدَرت … بالحق ما أفِكَ الباغُون تَلْتَقِمُ
أمامَكُم حُشُد الأعداءِ نَافِشَةً … مثل القنافذ ضاقت حولها الحزَمُ
مَخَضتُموهُمْ فناحُوا مثلَ ماخِضَةٍ … لَمْ تُلْقِ شيئاً ومنْ أنسَالِهَا النَّدَمُ

* * *

(عزيزُ) أثمرتِ البيداءُ فالتبَسَتْ … على السَّرَابِ فما بَيْدَاؤهُ عَدَمُ
أرهقتَ نفسك تَفْكِيراً وتجربةً … فالآن دُونك ماتَبْغِى وتَعْتَزِمُ
سَلُّوكَ خِنْجَرَ ثَاراتٍ مُفَجَّرَةٍ … مِنْ كُلِّ قَبْرٍ بوادى النِّيل تَضْطَرِمُ
قد أجفلَ العُجْمُ إجفَالاً تُسابقهم … أظلالُهم وتُفَدِّى أُخْتَهَا القَدَمُ
فَقُلْ لِكُلِّ سئولٍ عن شجاعتهم … لا بأسَ بالقوم إلاَّ أنهم وهِمُوا
مَا خَيَّلُوا مِصْرَ تَأْتِيهم مُوَشَّبَةً … مِثْلَ اللَّبَاةِ وفى أظفَارِهَا قَرَمُ

بنـارِهم قتلتْ منهم وأعينُهـم فيها صُرَاخٌ ولم يَلْحَقْ صَدَاهُ فَـمُ
أخلـوُا الطريقَ لتيـَّارٍ سـواعِـدُه تَطْوى الحصونَ وتُخلِى دَرْبَهُ الأكَمُ
كانُوا على الأرضِ من جَمْرٍ لقدخَمَدُوا مِثْلَ الجَليـدِ ومـا فى لَمْعِه ضَرَمُ
مَنْ فَـرَّ فـر إلى خوفٍ تـأكُلـهُ فمـا ينـامُ ونامتْ حوله الرِّمَمُ
فى رقْصَةِ النَّـارِ أعيتها مُخاصَرَةً أهـوتْ ومـرَّ عَلَيْهَا رَاقِصٌ حُطَمُ
موتى وتلمـحُ فى سيمائهم خَبـَراً مَـا خَبـَّروهُ وعندَ المَوْتِ مَاكَتَمُوا
أكفُّـهم وجَنَـاحُ النـار طيـَّرها مُصافِحَاتٍ سِـوَاهَا وَهْىَ تَـرْتَطِمُ
فاعجبْ لحربٍ بها الموتى يُرَقِّعُهـم موتٌ تَمـزَّقُ فى أنـوالِه الأُمَـمُ
والأَرضُ تُفْسِحُ أحضاناً لترأمَهُـمْ ومـا تَمَلُّ تَسَـاوى عِنْدَها النَّسَـمُ
أمٌّ تحنُّ إلى الأبناءِ كم نَفـرُوا على العقوقِ وهـاهم تَحْتَها ازْدَحَمُوا
لـونٌ من الحُبِّ من دَمْعِى أنضره ولى معـادٌ إليها حثَّـهُ رَحِـمُ

* * *

يامن حُملتم على التيار فالْتفتُـوا إلى (التَّحَالُفِ) حَالَتْ دونه القِمَـمُ
إذا حَنَنْتُمْ لِبَـارِيسٍ ولُنْـدُرَةٍ إنَّ الكرِمْلينَ جَارٌ لَيْسَ يُهْتَضَـمُ
مُـدُّوا ليُوسُفَ كَفًّا وهْوَ ذُوثِقَـةٍ بالسَّـلْم والسَّيْفُ مِن شُورَاهُ والقَلَمُ
إذا أردتم لـهُ وَصْـلاً فدونَكُمُ والسَّلْمُ حَرْبٌ عَلى الطُّغْيانِ تَحْتَدِمُ
أينَ الغنائمُ لا يُحْصَى لَهَا عَـدَدٌ أفى السَّلام يُضيعونَ الذى غَنِمُـوا
يُسْتَدْرَجُونَ فما يَدْرُونَ ما فَعَلـوا والوحشُ فِى الغَابِ يَخْشَاهُم فمارَحِمُوا
المِدْفَعُ الوَغْدُ عبدٌ سـوف يَلعنُهم ويستديرُ إليهم حشـوُه نِقَـمُ

* * *

تَبلَّــجَ الحقُّ بعد الريبِ وابتدَرَت إلى السَّلامَةِ من أهوائها الأُمَــــمُ
والأرضُ جنَّــةُ أطْهَــارٍ ســواسيةٍ فِيهَا تضَاحَكَتِ الأَخْصَامُ والحَكَمُ

* * *

فى شاطىءِ البحــر أمــواجٌ مُقَيَّدَةٌ تَسْتَرْحِمُ الشطَّ يَبْكِيهَــا ويَنْهــدِمُ
كالأنجليز تَهَــاوى مُلْكُهُــمْ بَــدَداً وبَادَرُوهُ لكى يَبْنُــوا الذى هَــدَمُوا
على العُبَــابِ رفعْتُم صَرْحَ مملكةٍ لن يَسْتَقِيمَ وصدرُ الموج يَلْتَطِمُ
دِمَــاؤُكُمْ سَرَقٌ عــاتٍ فَهَلْ رَجَعَتْ كما تعــودُ إلى أَوْطانِهَا الدِّيَــمُ
إمــا متابٌ على صدقٍ وتجــربةٍ أو خبَّــرونا بمــا فَــازَتْ به إرَمُ

المتعاونون



إنهم جلّةُ الشُيوخ أقامَ   الخيرُ والمكرماتُ حيثُ أقامُوا
ظنَّنَا الخيرُ غيرُ أنا لنا اليوم   عِتَابٌ مشهَّر واختِصَامُ
كلُّ أمرٍ له انتظار فإن طالَ   فَشَكٌّ وحَيْرَةٌ واتِّهَامُ
أترجيكم البِلادُ وللقانونِ   بطْشٌ مُبَيَّتٌ وانتِقَامُ
وأمنتم وفى السجون برىءٌ   وسكنتم وللبلاد اضطرامُ
والذى يقتُلُ الجنوبَ حَلالٌ   والذى يبعثُ الشمالَ حرام
يغضَبُ اللهُ أن تضيعَ حقوقُ الناس   جَهْراً وأن يضيعَ الذِّمَامُ
أين ! لا الرأىُ مفصح عنه فى   المجلس شيخٌ من الشيوخِ هُمَامُ
رَدَّهُ المُستشير عن قولةِ الحقِّ   ذَلِيلاً كما يُرَدُّ الغُلاَمُ
أَيُّها القاعدون فى مجلس الشورى   أترضَوْنَ أن يقالَ نِيَامُ
فيم تُدْعَوْنَ لَبْسَ منكم لدى   المَجْلِس رَأْىٌ وليس مِنْكُمْ كَلاَمُ
أتُرى تُجْلَبُون كَىْ يسمعَ الحكا   مُ ما يشتهونَهُ والسَّلاَمُ

المُجاهد

امدرمان – اوائل مارس ١٩٤٧



« قيلت هذه القصيده بعد ايام من الزياره الرسمية لسجن (كُوبَرْ) وقد منعت سلطات السجن يومذاك أعضاء الحزب الجمهورى من زيارة رئيسهم المجاهد محمود محمد طه »

أضمرتُ بعدكَ لوعةً وغليلا ‏ ‏ ‏ ‏ وحملتُ قلبى بالشجونِ ثَقِيلا
يرمى بأَعينه الفضاء فلا يرى ‏ ‏ ‏ ‏ ويغضُّ بأَرق ناظريه كليلا
ضحكتْ لعينَّى الرياض خلية ‏ ‏ ‏ ‏ وهَفَتْ إلىَّ جداولا ونخيلا

عنهن أعرض ماشعرن بلوعتي ... كالمومسات خلاعة وفضولا
صوَرٌ عرين بشاطئ متبرج ... وخطرن فيه وما اتقين دخيلا

* * *

وطني ! وما نَفَع المتاف بجلمد ... في البيد تلفحه الرياح ذليلا
أشعلتَ قلبي حسرة وقذفته ... مثل الشهاب تلهفا وأفولا
زعَم الدخيل فملتَ عنيَّ ناسياً ... أرأيتَ مجلسَهُ الحقيرَ جَليلاَ
وارحمتاه لمن تخيل رحمةً ... وسَرَى يُضاحك في سُراه الغُولا
النيلُ خاب وكم تحير ماؤه ... يسقي العبيد بشاطئيه حلولا
نيل وماهو بالرويِّ ! وأهله ... في الذل قد وردوا المدامع نيلا
مسخوا طبيعته فليس بمنبت ... إلا ليحصد لوعة وذبولا
وطني أحبك ! ما وهبتَ أضالعي ... الا الرجاء مخيلا تخييلا
أغفرت ذنب المارقين وما انتهوا ... وأملت سترك فوقهم مسدولا !
أأرى الخيانة في رحابك نعمة ... وأرى المروءة قلة وخمولا
هذا شبابي ، والشباب طلاقة ... كالشيب فيك برودة وذبولا

* * *

ياصاحبي والسجنُ فرق بيننا ... زمناً على قلبي الوحيد طويلا
أنا في الحياة ، وإن سعيتُ ، مقيد ... وبقيتَ أنتَ بكوبر مغلولا
دافعتَ عن حسب الكرام ونجرهم ... لما رأيتَ حياءَ هم مبذولا
ما السجن هل مسخ الرجال أعزة ... والغمدُ هل أكل الحسام صقيلا؟
الليثُ في حَلَق الحديد قرينُه ... أَسَدٌ أحاط عرينةً وشبولا

إن لم تكن إلا القيود فإنها ... أفق وتكبر أن تعيش ذليلا
أسمعت أبطال (الأشقّةِ) كذبوا ... معنى الجهاد وآثروا التأويلا

* * *

وطني بُليت على الخطوب ولم تجد ... أسَفاً يهز لك القلوب دخيلا
قد خاب ظنك في بنيك أذلة ... أتُراكَ تَدمن وعدهم ممطولا
أرأيتَ واهبك النضار لحاجة ... فعرفت أكرمهم عليك بخيلا
جادوا – وقد بشموا – عليك بدرهم ... وقح يطيلُ ثناءهم مملولا
كم عاجز يفدى بفضلةِ ماله ... نَهَماً يخورُ ومَلْبساً مصقولا
جودُ الرجال من الدماء ولا أرى ... بذل الدماء على هواك دليلا
إن المصيبةَ والفجيعةَ كلُّها ... حزبان ما جلبا إليك فتيلا
نشآ على حبٍّ العدو ورأيه ... وتنازعاك متربا مشلولا
حزبانِ بل علمانِ بينهما الردى ... خمسين قد ملأ الشطوط مُحُولاَ
وطني أتذكر أم نسيت مواقعا ... غادرن كل مهند مفلولا
خمسونَ قد مسخت بَنيكَ فأنكروا ... عُرْفَ الكِرام وبدّلوا تبديلا
حُرِموا الحياةَ فكان بالغ أمْرهم ... مايطعمون بقاءهم مهزُولا
أوَيَفْخَرُونَ ! إذا فأين فخارهم ... مُسْتَعْبَدِينِ سواعداً وعقولا
درج الشبابُ على النفاق وقد رأوا ... شيخَ الشيوخ بجُبَّةٍ متبولا

* * *

محمودُ يابن محمَّدٍ لك أُسوة ... أوعيت محنةَ يوسف تأويلا؟

وطنٌ وهبت لــه الشبـاب منضرا ورأيتَ أجمل ماوَهَبْتَ قليــلا

باتَ الرجالُ على الخيانةِ والخَنَى وجعلت قيْـدَكَ للوفـــاء مقيـلَا

الفجـرُ منتظرٌ حـداءك صافيـا بِهُـدى السـماء ونورِها مَشْمُولا

تُلقى البـلادُ إلى يديـك زمـامها بطـلا يعـود بفخـرها موصولا

فَـرْداً على آى النـبى وشـرعـه عدلاً يُقـيم على البـلاد عُـدُولا

وهو الأمين وسوفَ يسألُ مُعْجَبٌ: أتُـراهُ يبعثُـه الرسولُ رسُـولَا

أمـا الذين يعـاونون عـدونّـا ويطَوَّفُـون بسـمِّه معســولا

رَجعـــوا إليــه بسـمّه ماذاقـه إلا هـم فيـزيدهـم تضليـــلا

أبْـدَى (يَسَارٌ) للكواعب همّـــه فغَنِمْـن منـه بحيلـةٍ إحليـــلا

* * *

قَلبتَّ ياوطـنى السيوفَ كثيرةً حتى وجـدتَ حسـامـك المأمُولا

أنظـرْ حسـامُك ذو المضاء مُحَجَّبٌ فى السـجن يـبرُقُ حده مصقولا

محمودُ يلمـعُ فى عَمَايَةِ كُوبَـرٍ مثـلَ الهـلال وضاءَةً ونحُـولا

اللهُ طَهَّـرَ أصغـريه ومـدَّهُ ظِـلاً على أهـل الحقوقِ ظَلِيلاَ

الصَّائـمُ القوَّامُ بـين قيـودِه يَتْلـو الكتـابَ مُنَزَّلاً تنزيـلا

خشعت له من كُـوبَرٍ أحنـاؤُها وتسمَّعَتْ فى ليلهـا تـرتيـلا

مَسَـحتْ تلاوتُـه على آثامهـا فبكتْ هنـاك متـابَها مجهـولا

* * *

محمودُ بَـرأَكَ العليمُ من الهـوى وأحـقَّ فيـك على الحياةِ دليـلا

الفجـرُ أنت على النفوس ولم يكن بسـواك نـورُ هِـدَايةٍ مكفُـولا

أَنْت الغِيــاثُ لموْطِنٍ أَبْنَــاؤُه   تَــركــوهُ بَيْــنَ عُيــونِهم مخذُولا
أَنْبَتَّ فى النَّهْــرِ البطولة إنَّــه   كالنهــر فى خلَدِ القــرون الأُولَى
وجمعتَ من شـعب الأَنامِ مُحَمَّدً   وعقــدتَ نافِــرَ أمــرِه مَجْدُولا
وحَمَيتَ عِــرْضَ كريمةٍ مَغْبُـونَــة   وأَبَنْــتَ قولَــك صادقا مَفْعُــولا
والنيــلُ حَمَّلَــكَ الرجاءَ ولم يَجِدْ   إلاَّ كَ يابْن مُحَمَّــدٍ مَسْــؤولا
(كَرَرِى) إليكَ تَلَفَّتَــتْ بعدَ الكرى   تختــارُ عَــزْمَــكَ رَايَــةً ورعِيلا

* * *

أَحكومــةَ الخُرْطُوم بَيْــنَ قُصُورها   أَذَكَــرْتِ مثْلِىَ فى الدُّيُومِ نَزِيلاَ
هــذا غنائىَ لايُرَجِّعُــه الصَّــدَى   جَــزَعــاً ويكتُــمُه اللِّسَانُ قؤُولَا
فَــجَرَّتُــه فجــرَىَ ودارَ كأَنَّــه   صِلٌ تحُــولُ بــه البَصَائِرُ حُــولاَ
السَّــيْفُ عنــدَكِ مايَــزَالُ وربَّمَــا   رجَــعَ الزَّمَــانُ بِــهِ إلىَّ مُــديلاَ



بعد إتفاقية تقرير المصير

فجرٌ كذوب

بورتسودان ٣١ مارس ١٩٥٣



صَاحُوا : نجاةٌ ! وهذى صيحةٌ عَجَبُ فاحذر فؤادىَ لا يذهبْ بك الطربُ
ألستَ ذاكر نُوَّارِى يحرقُه برقٌ تسيل على نيرانه السُّحُبُ
هوِّن عليك فإن الصدق آنِسةٌ مَغْشيَّةٌ الحى من طُرَّاقِها الكَذِبُ
وَرَوٍّ خفقَك فى ليل دفنتَ به حُباً عميقا ودمعاً ليس ينسكِبُ
عرفتَ منه خشوعَ الشيب منتظرا يوماً تضيعُ به الأيام والحقب
يمشى إليك وتمشى غيرَ ملتفت وخلفك الشَّوْقُ والأَخْدَان والرُّغَبُ

* * *

تَذَامَرَ الناس أرسالا يموج بهم طبلٌ صدوحٌ به (الخرطومُ) تصطخِبُ

وأزبد الحيُّ بالأعـلام يانعـــةً ... كما تَشَاحَنَ في أكوابه الحَبَبُ
فمن عذيـري من قومي إذا قَصَرَتْ ... خطوى القيودُ وأعيا جسميَ التعبُ
فإن جرعتم مـن الآمـالِ مُنسـيةً ... إني جرعتُ وما أنسـاني العنب
يا مطلـق الناس ! إني ليس يُمهلني ... قَيْـدٌ بنفسي كالثُعْبَانِ يَنْتَشِـبُ
أنا البقيةُ في الأحيـاء من وطـن ... خمسين عاما على الأغلال ينسحب
أين الجـلاءُ لقـد ضاعت قيامته ... والنيلُ مازال في الأرماس ينسكب
أين الصباح ! لقد جئنا إلى شَفَـقٍ ... كحمـرة الخمر لاتبقـى وتختَلِبُ
سقى المطـامع ألوانـاً فأنبتَهــا ... شوكا تألَّـقَ فيـه الدمـع والذهب
والناسُ كالناس عهد الغاب أطلقهم ... مخـربين فمنهـوب ومُنْتَهَبُ
في كل ناحيـةٍ رأيٌ يخـالفـه ... رأي ورأيٌ بـه الأوطان تنشعب
طوَائفٌ وخـرافات يديـن بهـا ... من دينه العجز والأشباح والنُّصُبُ
وفي العمـائم أسـرارٌ محنطـةٌ ... كالمُومِيَـاتِ بِدين الله تنتقـبُ

* * *

إن كنتَ باكي قـوْم في مصيبتهم ... فَبَـكِّ صحبـك لم ينفعهم الأَدَبُ
الغـارسـون ومايجنـون من ثمـر ... تعهـدوه فمـا يـدرون ما كسبوا
صاغُـوا الضيـاءَ فلمـا حان موعده ... على الدياجر حادوا عنـه وانقلبـوا
كلٌ بِـدُفّ على ظَلْمَـاَءَ يمدحُها ... صُبْحاً فيضَحَكُ من أمداحه الكذب
أما ترى صحفا خرقاءَ ماعرفت ... رَعْيَ الحقـوق ولم يُفْصِحْ لها أَرَبُ
على السـبيل تراهـا وهي قانصةٌ ... نارَ الخصام ومن أقلامها الحطَبُ

أصابها جـرب تعـوى أظافـره وتنهشُ الحُـرَّ لم يعلق به جَـرَبُ
وَلِى خَدِينٌ رقيـقُ اللـون يُسـعده نجمٌ هو الآلُ فى الديجور ينسكب
هـو الغديرُ على صفـو بصفحته زَهْـرٌ تقاصر عن إدراكه الأَرَبُ
يقـول : قـد ترك السودان عزلته فليس يرْكبـه العـوراء مُغتصب
أما ترى الشعب فى ناديه مجتمعـا يزجى الرجال إلى الشورى وينتخب
فقلت ، وهو يداريـنى ويدفعـنى وقـد أَرَنَّ على أوضاحـه الغضبُ
لاتخدعنك أحـزَابٌ سياسَـتُها جَـوْفٌ سحيقٌ وحِرْصٌ دارَ يَحْتَلِبُ
فآس شعبَك إن الشعب فى دَرَكٍ دامى العشيَّاتِ من سُمَّاره العَطَبُ
وليس تنفعُـه الأَنسابُ رازقـةً وليس تنفعه الأَلقـابُ والرُّتَبُ
وليس تسـعده الأَفـواهُ راغِيَـةً علن المنابر زَافَتْ حَوْلَها العُصَبُ
شـعبى هو الدمع فى الظلماء حائرةً وهو الجهالةُ والاءمـلاقُ والرَّهَبُ
أُحب شـعبى للأَقـدار مبتسـما وليس يـدرك إلا أنها سـبب
طفلٌ تهـال فى بأْسـاء مرضعـةٍ وفى أناملـه الأَشـواقُ واللعِبُ
لـم يُلْهَم الشـرَّ فى أظـلال مولده وقـد تسـاوى لديه المـاءُ واللهبُ
يبيتُ يخْـدَعُه الدَجال سُبْحَتَـهُ غَـزْلٌ تمـزَّقَ فى أنواله السَّـلبُ

* * *

ويح الجنوب يـؤُزُّ الشـكُّ عزلتَـه بعيدةَ الليلِ .. عن داعيه يحتجبُ
وإن عجبتُ فمن قَسٍّ أخى وَرَع لـدَى الكنيسةِ .. لم تعلقْ بها الرِّيَبُ
إن كان يدعو إلى عيسى.. فشرعتُه قدْسُ الأَناجيل فيها الحُبُّ والقُرَبُ

إني لأعرض وجهي ثمَّ أسأله عن لون وجهي بالآلام ينتقبُ
عندي من الزنج أعراقٌ معاندةٌ وإن تشدق في إنشاديَ العربُ
فكيفَ يَمْنَعُ قلبي عن مواطنه وكيفَ مثليَ في السُّودان يَغْتَرِبُ

* * *

بكيَ نديميَ من ياسي وعذَّبني سُلُوُّه .. وكلانا خمرُهُ الغَضَبُ
يُريد مني صبرا سوف يعرِفهُ قبري تضيعُ به البأْسَاءُ والحرَبُ

* * *

وبتُّ أعصمُ قَلْبِي في لفائفه طِفْلاً على اليأْسِ يدعوني ويَنْتَحِبُ
وقادني الليل والذكرى إلى جدَثٍ دُون(الجديد) وراء البيدِ يَرْتَقِبُ
فيه البقيةُ من دِينٍ ومن وَطَنٍ وما بغيرِهِمَا العلْياءُ والحَسَبُ
قبرٌ يضمُّ حياةً ليس يدركها حيٌّ بتاج من الجوزاء يعتصبُ
هناك يرقد أحبابي وقدذهبوا وللمهيمن والأوطان ما وهبوا
جازوا الرصاص إلى الأُخرى وماعرفوا وجهَ المنيةِ إلا أنهم غضبوا
من مَجْهَلِ البحرِ وَسْواسٌ يُخامرني كأَنَّمَا بضلوعي شَطُّهُ الخَرِبُ
وصَيَّحَ الفجرُ إني لَيْسَ يَحْفزُني فجرٌ بغير دم الأَحرار يختضبُ
وسوف أنتظرُ الأَغماد نائمةً حتى يفيقَ لديها السَّيْفُ والغَلَبُ

المـوتُ والحيـاة

١١ ر ١٠ ر ٤٣



أَشــباحُ أَيــامى مــن العـــدم
يَنَعَــتْ هنــالــك فى دجــى حَــرم
وتوضَّحت كالنــار فى العَلَــم
تــرعى المدَى .. وتجــوسُ فى الظُّلَم

* * *

مَجْنُــونَــةٌ عَــرِيَــتْ على جَبَــلِ

وتلفتتْ للقَاع مِنْ خبَل

أمستْ منَ الظلمَاء فِى حُلَلِ

سُودٍ .. تَـئِنُّ بكلِّ مُكتتِمِ

* * *

الليلُ يطويها وتَطْوِيهِ

تَمْضِى على وَلَه تُناجِيهِ

يَلوى ذوائبها وتَلْويه

فيهزُّها فى سيله الحُطَمِ

* * *

سمعت نداءَ رَاعَ ظُلْمَتهَا

فَمضتْ له تُلْقِى أعنتها

وتُطيرُ من شَرَر أَجِنَّتها

لكنَّهُ مالاح مِنْ أَمَمِ

* * *

أُعيا سُرَاهَا مَوْرِدُ الأَجَلِ

فترنَّحت كالشاربِ الثمِلِ

قنِعَتْ من الأحلامِ بالوَشَلِ

وبكتْ على أيامها القُدُمِ

* * *

ثم انطوت واليأسُ يَطوِيهَا

والليــلُ يُمعــنُ فى حواشِيهَا

والريــحُ تَــرْقُــصُ فى مَغَانِيهــا

وتكفُّ غَــرْبَ لِهَــابِهَــا الضَّرِمِ

❋ ❋ ❋

كــم أرقصتْ شَــبَحاً وأرقصها

متربِّصاً يَخشَــى تَربُّصَــهَــا

زاد تــه إقــدامــاً وقلَّصَهَــا

حَــتى هوتْ فى لَيْــلَــةِ العــدَمِ

❋ ❋ ❋

شــبحٌ تعثَّــرَ والدُّجَــى حَجَرُ

يكبــو ويَخْسِــرُ دونَــه البَصــرُ

والنَّجْمُ فى صفحاته شرَرُ

ينميه خطــوُ الغيب عن سَــأَمِ

❋ ❋ ❋

ما جَمْــــرُها إلاخفــوقُ دَمِ

يخبُــو كلفــظ حائــرٍ بفــم

ماذا أصاب الجمــرَ بالبكــم

فَنَسِــى .. وفوَّزَ غــيرَ مُنْتقِمِ

❋ ❋ ❋

وهــمٌ وعيشــىَ كلــه وَهَــمُ

وتعلــةٌ ، لكنهــا حُلُــمُ
كم طُــلَّ فيها – لا تُنَــال – دَمُ
وهــوىً تفتَّــح فى ثــرى إرم

* * *

الحــىُّ للأحــداث مَلْهَــاةُ
أتُــرى يَسُــرُّ المــوتَ أمْــوَاتُ
أم زادَ فى الأيــام مــن فــاتوا
بَــلِ نَحْــنُ رَغْــوٌ أتِيُّــهَا العَــرِم

* * *

هُــبِّى ريــاحَ المــوت فى الوَادِى
قــد مــاتَ رجــعُ الشَّدْوِ والشَّادِي
لم يبــقَ إلا صــوتُك الحَــادِى
كالليــلِ مــن بَــادٍ ومنْكَــتِــم

* * *

صــوتٌ له فى النفسِ أصْــدَاءُ
ولــهُ بوجــهِ الغيبِ لَأْلَاءُ
تسـعَى إلى واديــه أنْبَــاءُ
هِــىَ رَجْــعُ هــذا العَــالَــم الهَــرِم

* * *

أنفــرٌ منــه ونَحْــنُ طَــوْعُ يَــدِهْ

والروحُ منه بأَمسه وغَدِهْ
كم زوَّدَ الأحياءَ من عُدده
حتى يريهم صولةَ العَدَم



إشرَبْ بكأسِكَ إنَّها قَدَرُ
لم يُغْضَ فى أَوهامها وطر
والحبُّ فى أَرواحنا ذِكَرُ
قرَّتْ لادمَ أَعْيُنَ النَّدَم

مَلاَمَتِيٌّ

امدرمان – ١٩ر٦ر ١٩٥٧



أَنَا شَيْخٌ مَلاَمَتِيٌّ وَمَهْمَا قَالَ فِيَّ العِبَادُ فَهْيَ أُجُورُ

وَتَزَنْدَقْتُ كَيْ يُقَالَ كَفُورٌ وَتَوَاضَعْتُ كَيْ يُقَالَ حَقِيرُ

والاٰلهُ الخبيرُ قَدْ خَلَقَ الذَّنْبَ ولكنَّهُ إلٰهٌ غَفُورُ

الذَّي صاحَ بالمَلاَمَةِ ذُوجَهْلٍ كبيرٍ لَهُ ادِّعَاءٌ كَبيرُ

غَمائمُ الطّلح

١ر٩ر١٩٤٤



يادِفءَ (شَيء) إذا ما الليلُ أَرعشَهُ ... بَرْدُ الشتاءِ كَمانى السُّهْدَ مَقرُورَا

كالطِّفْلِ أَفْلَتَ ثَدْياً ثُمَّ رَنَّحَهُ ... أَمنْ الطفولة تَنْويمًا وتَخْدِيرَا

وقفتُ أَحنِزُهُ حينًا وأُوقظِه ... حتى تَنَبَّه ظَامِى النُّمُوِّ مَغْرُورَا

أَمسيتُ أُرضعها المحضَ الصَنِيَّ دَمى ... حتى انثنيتُ رضيضَ الجِسْمِ مبهورَا

منحتُها زَهرَ الأحلامِ يانعةً حتى تدومَ وكنزَ الرُّوحِ مَذْخُورَا

* * *

وحُفْرةٍ بدُخانِ الطَّلْحِ فاغِمةٍ تُندى الروادفَ تلْويناً وتَعْطِيرَا
لَمَحْتُ فيه - وما أمعنْتُ - عارِيَةً تَخْفَى وتَظْهرُ مثلَ النجمِ مَذْعُورَا
مَدَّتْ بناناً به الحِنَّاءُ يانعةٌ تَرُدُّ ثوبا إلى النَّهْدَيْنِ مَحْسُورَا
قد لفَّها العطرُ لفَّ الغيمِ منتشرا بَدْرَ الدجى. وروى عن نُورِهَا نُورَا
يزيدُ صُفْرَتَهَا لَمْعاً وجِدَّتَهَا صقْلاً وناهِدَهَا المشدودَ تَدْوِيرَا
أرخى الدخانُ لها سِترا فبعَّدها كدُرَّةٍ في ضميرِ البحرِ مَسْجُورَا
حتى إذا ضاقَ كِنٌّ عنهُ أنفذَهُ هَيْنَ الصعودِ خَصَاصُ البابِ مَكْسُورَا

* * *

وَشَمْلَةٍ غَمَرتْ سَاقَيْنِ وابتدَرَت كالموجِ تَلْمَسُ جِيداً رَفَّ مَشْهُورَا
يَرِقُّ تحتَ دُخانِ الطَّلْحِ سَاوَرَهُ كالدَّمْعِ في الخدِ تَلْمَاحاً وتَغْوِيرَا
ما شَمْلَةٌ لسِوَادِ الليلِ حُلْكَتُهَا وللهواجِسِ تَغْشَى الفِكْرَ مَخْمُورَا
كالوحْشِ جاثِمةً ثِقْلاً فَهَلْ حَضَنَتْ إلا الجمالَ رقيقَ العِطْفِ مَنْضُورَا
تُكتِّم العطرَ حَتَّى يرتَوِى عَرَقاً منها الجمالُ كروضٍ بَاتَ مَمْطُورَا
تَرى الدُّخانَ على أثنائها زبَداً كالرِّيشِ في نسماتِ الصُّبْحِ مَبْهُورَا

* * *

حتى إذا ما اكتفتْ قامت وزَايَلها نَجْدٌ تسَاقَطَ مِثْلَ الدرِّ مَنْثُورَا
تخيَّلتْ، وأمانيها منضَّرَةٌ، خلفَ الدُّخَانِ حبيباً باتَ مَهْجُورَا
ونَفَّضَتْ حُلُماً غَنَّى بوحدتها لحْنَ الصبابة غَضَّ الصوتِ مَسْحُورا

وخفقَّضَتْ ناظرا هُدْبَاهُ قـد لَمسَـا خَداً كنبع رَنَا فى الظلِّ مَخْبُـورا

أضحى لها الأمرلَمْ تُخْوِجْ هواى إلى جَهْد وألههها الأحسانُ تَدْبِيرَا

ألمت إلىَّ بأشواق أجاذبهـا عنها وأوسعها مَرْقـاً وتَنْقِـيرا

فى لُجَّةٍ بَكَرتْ مَـدًّا وأذهَلَهـا عَرْضُ المحيط فذابت فيه مَشْرُورَا

مثلُ الشهاب لـه عزم لقدذهبت به الجواءُ بديـدَ النُّور مَنْشُـورا

وما ارتويتُ ولاكفت.. أخَالُ بها مَسًّـا يُعذبُ منها الروح مأسُـورا

لقد ذهلتُ فما أبصرت من وطر قـد بات خلفَ ظلامِ النفسِ مَسْعُورَا

عينٌ محجبةٌ فى النفس زاخـرةٌ تسمِى وتُظمِئُ إرغاما وتَخْيِيرَا

تُزَيِّنُ الكونَ شَهْوَانـاً وتُوسِعُهُ فى الروْضِ والغيمِ إغراءً وتغْرِيـرَا

يهتز والأرضُ فى أشجانِ دوْرتها لذائذٌ خَلَدتْ فى الكـون مَقْـدُورا

وربُ ذَرةٍ رَمْـلٍ حـين جَمَّشَهَـا ريح أهاجَ لَدَيْها الشوقَ مَذْرُورَا

وقد ذهلتْ ذهولَ الشَّرْبِ ترمُقهُم فى الكأسِ جَمْرَةُ كرمٍ بَاتَ مسْجُورا

وبثُّ أجمعها جمْعـاً وألزمُهـا فما تَجَمَّعُ مِثْلَ المـاءِ مَفْجُـورَا

رِفْقَة

الخرطوم بحري - اخر ١٩٥٠



عَطفَتْ (رِفْقَةٌ) عَلَيَّ فأنستني همومى وكنتُ طِفلَ الهُمومِ
مَلَكٌ أسمرٌ تبسَّم فاستَنقَذَ رُوحى من الأسى والغُمومِ
رُبَّ عِطرٍ من شَعْرِها النائم اليقْظَانِ وافَى بِمَوْعِدٍ من كَتُوم
غَيْمَةٌ من طَهارة وحياءٍ في رِداءٍ من الصَّبَاح الوسيمِ
وحنانٌ كأنه بَسْمَةُ الامِّ لِطِفلٍ عَنِ الرَّضَاع فطِيم
وربيعٌ من الهدوءِ فما فيه فَراشٌ لزهرهِ كالغَريم
ياندِيمى وما أُوَشِّجُ كَفَيَّ بَكفَّيْه خَشْيَةً ، يانَدِيمى
قد ترحلتُ عنك في رَحْلِيَ الشَّوْقُ وزادى من الرِّضَا والنَّعِيم
وسأَلْقاك - إن لقيتُكَ - مُشْتَاقاً إلى ظِلِّكَ الحَفِيِّ الكَرِيم

المِخَاضُ

واو – ١٤ر١٢ر١٩٥٤



لاتخـافوا مـن الـدمِ إنهـا حُمْـرَةَ الشـفَـقْ
مهـدُ فجـرٍ منعَّـم فى ظـلال مِـن الغَسَـقْ

* * *

تلـك أمٌ بخـدرهـا جـرعت لـذَّة الأَلـمْ
وأبـاحـت بسـترها عـن حيـاة مـن العـدم

* * *

زادُهـا في دجـى الخطـر   ثـديُهـا وهــو مفعــم
كِـمٌ ورد قـد انْحسـر   ناطقـاً فيـه أَعجـم

* * *

بـينْ جـرحٍ وصرخـةِ   إن وهـى رُكْنُها ادَّعَـمْ
مهجـةٌ بنتُ مهجـةِ   ريشـة حركت نَغَـمْ

* * *

إنهـا نجمـةُ الحيـاهْ   جـحـدت ظلمـة الأَبَـدْ
همسِـت فهـى كالشفاهْ   كـلُّ وعـد بهـا اتقـد

* * *

وانجَلـتْ حمـرةُ الـدمِ   وظـلالٌ مـن السـأَمْ
وسـجا الشـدىُ فى فـمِ   زال مِـن عَضِّـه السقَـمْ

* * *

هتف الصبـحُ معلنـاَ   شـاعـراً باقىَ الصَـدَى
يمنَـحُ الكـونَ أَعينـاَ   ملـؤهـا الحبُّ غَـرَّدَا

* * *

ما نحـاً كـلَّ زهـرةِ   لـونَهـا شَـعَّ فى النَّـدَى
ومشـيـراً لقـلَّـةِ   نهضت تبلـغُ المَـدى

* * *

فانظـروا كلَّ كافـرِ   جاحـداً يلْعـنُ الفَلَـقْ
وهـو فى طَـىِّ داجـرِ   مَسَّـه الضـوءُ فاحـترقْ

* * *

ذلكم قبُحه بدَا هائلاً عاثر القَدَمْ
ومحياه أسْوَدَا من جنونٍ قد ابْتَسمْ

* * *

إنه النور كم بَنَى مُعجِزا كلَّ هادم
من نُبوءاته المُنى باهراتِ المعَالِم

* * *

يسند الضعفَ بالقوى لا يبالى ءنْ هدَمْ
ونَضاَ عزمه استَوى ليس من جنسه النَّدَمْ

* * *

كلُّ أُفق إذا انْطوى جمحتْ خلفَه سمَاءْ
لاتُبالى من القُوى مَا لآفاقِها انتِهَاءْ

* * *

ربى اللهُ واحدُ وبقائى مُعَدَّدُ
لونته المشاهِدُ وصباحٌ مُجَدَّدُ

* * *

عَدْلُه الشمسُ لم تَمِلْ حَولَها دورةُ الفَلَكْ
كِفَّةْ الضوء تَعْتدلْ جَنْبهَا كِفَّةُ الحَلَكْ

عذابُ الليل

ام درمان الهاشماب - ٢٧ر١٠ر١٩٤٣



أطلقَ الليلُ من سكينتِه الرَّوْعَ فدوَّى بكلِّ قلبٍ شَجِيِّ
وفؤادى يَئِنُّ كالطبل يَسْتَنْفِرُ من جَوْفِه جَنَاحَ الدَّوِىِّ
سَبَقَتْ رَوْعَةَ الدُّجى بِدُجَى نفسِى أَوَاذِىٌّ من حَنِينٍ خَفِىِّ
نَسَلَتْ كالدُّموع من صَخْرَةِ الهَمِّ فشاقَتْ بَلَحنِهَا الأَعْجَمِىِّ
هى طيرٌ يَنُوحُ فى حَيْرة الليل وقد حُدَّ عن أَليفٍ قصىِّ

شدَّ ما أشتهي وهيهاتَ فالليلُ تَغشَّت ظِلالُه كلَّ شيٍّ
مُجْدِبٌ كالفلا وأنجمُه العُصْلُ كأشواكِ زَهْرِهَا الوحْشِيِّ
رَجَفَتْ فيه مُهْجتي رَجْفَةَ الطير دَوَتْ بالسِّهَام بَعْدَ رُقِيِّ
ريشُها خَفَّ بالنِّبَالِ وَغَنَّاهَا فحنَّتْ كصيْحَةٍ في نَعِيِّ
وكذا هِمَّةُ الحياةِ فأينَ الموتُ هل شطُّه بِدَايَةُ حَيِّ

* * *

إن ريحَ الدُّجى تَهُبُّ على سِرْب شَتيتٍ من النُّجُوم عَيِيِّ
هربتْ في مَدَاهُ منه فأعياها فآبتْ لصدره السَّرْمَدِيِّ
كم طَرْقن السماءَ لا تَسمعُ الطرق فبكَّيْنَ في الفَضَاءِ الخَلِيِّ
ونسينَ الرجاءَ منه فأمسينَ صَدَىً رنَّ في الفضاءِ الصَدِيِّ
راجفاتُ الثُّغُورِ يُطْرِقَن أحيانا ويَفْزَعْنَ في الظَّلاَم الغَوِيِّ

* * *

نشرتنا يدُ الشتاءِ فراخا في فِرَاشٍ إذا استُجِيرَ شَجِيِّ
جالَ كفِّي به وسافَرَتِ العينانِ من حالهِ بوجهِ شقي
رقدتْ فيه قِطْعَةٌ من دُجَى الليلِ رُقَاد الغُثَاءِ غِبَّ أَتِيِّ
رمقتْ شمعتي ، وكأسيَ ترميها بلحظٍ من وَمْضِها البَابِلِيِّ
قطعةٌ من دجى أضلت وسادي فهو في قُرْبهِ نَأَى كالقَصِيِّ
جمدتْ بين أعيني ومَراهَا النُّورُ فاستنفرت بفزْعَةِ حَيِّ
أوْشَكت أن تغُوله ورآها فمضَى ناجياً نَجَاءَ سَبِيِّ
أضمرتْ نَابَها كما أضمَرَ الموتُ وكمْ ذَا بِغيْبِهَا من خَبِيِّ

رَتَـــع الجِـنُّ في مـداها شبَاباً حـينَ أَشباحُهم بِهَا في نَـدِيِّ

ثـم قلبَّتهـا بطـرْفِيَ غَمَّـاءِ كَـرَسْـم مـن ادِّكَـــارٍ غَـبِـيِّ

تَلْفُــظُ الصحْوَ كالسُّلافَةِ جَادَتْ عَنْ ذُهــولٍ بِنَوْرِها الحبَبِـيِّ

ورقٌ جـفَّ بلْ تهافت في كَـفٍّ كدمــع يفــوتُ صبْــرَ وفِـيِّ

زَغَبٌ راجـفٌ يُقَلِّبُــه الرَّوْحُ فيحيـا ... كهُـدْبِ طَـرْفٍ غَــوِيِّ

واسبَكَــرَّتْ بجَـانِبَـيَّ إلى نحــرى فَـرَفَّتْ نَواظِـرى كَـرِئِـيِّ

رُدَّتَـا كالفَــراشِ فَـادَ على النِّــيرانِ بــل ما تَتَـا بِلَيْلٍ دَجِـيِّ

كـم دعـاءٍ يضيـعُ فيـه كما قَـد ضاعتا في صموتـه الأَعجمـيِّ

* * *

فيـم استلفتُ النجـومَ لقـد طافتْ بمِحْــرَاب رَبِّهـا الوَثَـنِيِّ

حَسْـرَتَا للظــلام في رَكْبِ حــاديه لقــد مَلَّ مـن دَوَامِ الرَوِيِّ

يســـأَلُ الغيبَ أَين يطلبُ هــذا الركبُ أَوْ تــرتجى طِلاحُ المَطِـيِّ

عَـرْبَدَتْ حولَــه المقادرُ سـكرى وتنــادتْ بكل لَفْظٍ بَــذِيِّ

وهــو في قيـدها يُراقبُ مَبْـعَا هــا بِوَجْــهٍ من الذُهولِ عَيِـيِّ

جـاهـدٌ صـابرٌ على ثوْبِه الخَانِـقِ لـم يَرْثِـه حَنَــانُ وَلِــيِّ

أَلْحَمَــتْ نسجَـهُ وسدَّتْـهُ أَقــدارٌ ووشَّتْــهُ بالسُـنَـى اللُّـؤْلُئِيِّ

كـادَ لــولا اصطبـــارهُ يَنْثُــرُ النجـمَ فيهـوِي عَنِ الدُّجى كالنَّفِيِّ

* * *

وطـــوانى العنـاءُ في لُجَّــةِ النــوْم شِـراعاً طــواهُ عَبٌّ أَتِـيِّ

صُـرِعت في عــراصِـه الريــحُ والأَمـواجُ من خاضِع الذُّرى وَعَصِـيِّ

أرسلَتْ زأرةً لهـا أمسك الليـل بأنفاسه حِذارَ هُوِيٍّ
يَتَلَوَّى وللنجوم سِهَامٌ من مُرِنٍّ وقَاتِلٍ وخَفِيٍّ

* * *

وترسَّلتُ في يَدَيْ رحمةِ النوم رَضِيعاً بَدَرِّ ثَدْيٍ غَنِيٍّ
خَفَّ جسمي به وجَنَّحه الشوْقُ فجاز الغَمَامَ رَجْعَ حُدِيٍّ
وتطلعْتُ في رُؤَاي كَشَدْوِ الطيْرِ في عِطْفِ رَوْضَةٍ أَرْيَحِيٍّ
طَيْرَ أُنشودَةٍ يُعانِقُ ريشَ الصبح من سِقْطِ فَجْرِهِ العَسْجَدِي
هو عُشٌّ الصباح والنجمُ أفراخٌ أنابتْ لصوته السرْمَدِيِّ
ودعانِي الصباحُ يَهْمِسُ في سَمْعِي كطِفْلٍ مُدَلَّلٍ عَبْقَرِيٍّ
لفَّ رأسي بمِعْصَمَيْه وناغانى بِعَيْنَيْنِ من غرام نَدِي
وتشرَّبْتُ حسنهُ فأجد الشوقَ للرِيِّ من جَمَالٍ رَوِي
ورضيتُ الحياةَ تملأُ سَمْعَيَّ باصداءِ حانها الصُّبْحِي
كلُّنا مُمْسِكٌ بكأسٍ وقد جَدَّ خُمَارُ الحياة في كلِّ حَي
أَثَرٌ واحدٌ من السكر لكنا كَسَوْنَا خِلافَنَا كُلَّ شَيٍّ
لاتزالُ الدماءُ تنضحُ وجهَ الأرضِ والوردُ يانعاً كالخَلِي
إنْضَحِي يانسائمَ الفجرِ أضْلَاعِي كالبيدِ بالغَمام السَخِيٍّ
أنتِ من فرحةِ الطفولة في العمر تَهَادَتْ بكل حُلْوٍ جَنِيٍّ
صِدْقُها كالدُّموع تَعْكِسُ من جُرحي فَتَشْدُو بِلَوْنِه الدَّمَوِيٍّ
كم تَلاقَى الشُّجونُ والمَرَحُ المِعْطَارُ في نَفْسِ راشِد أو غَوِيٍّ

وتــراءى الرجــاءُ والخــوفُ كالعَــارضِ والرعدِ فى جُنُــوبِ الوَلِــى

الغضــونُ التى تُكَبِّــلُ أنفــاسى وتوهــى الشــبابَ جِــدٌّ قَــوِى

خَنَقَــتْ بســمَــةَ الشــبابِ وقــد تَدفــعُ أظفــارَهُنَّ دَفْــعَ أَبِــىِّ

أَســطُــرٌ خطها الزمــانُ فَــرنَّتْ فى جَبِيــنى رَنِينَ رَعْــدٍ خَفِــىِّ

وهــىْ برُكانُ كُلِّ عُمْــرٍ وتابوتُ رُفَــاتِ الشــبابِ غَيْــرَ وَفِــىِّ

شــدَّمــا أحــذَرُ الدُّجــى يَسْــرِقُ الخَطْــوَ إلى مَشْــرَع النهَــارِ البَهِــىِّ

جَــرَّفى ذَيْلِــهِ الكَــرَى ليــذيقَ النفْسَ أضــرابَ فِعْلِــه السِّحْرِىِّ

كــلُّ ليـــل مَضَــى قــديمٌ فــلا تأْسَ على ذَاهبٍ يفوتُ قَصِــىِّ



عَفَاف

١٠ر١ر١٩٤٣



حُسْنٌ ترقرقَ في عَيْنَيَّ منبسجا ... في عُمْقِه السرُّ من عَطْفٍ ومن صَيَدِ
أو هي قُواي وألقى في بوادِرِها ... سكينةَ النوْم بعدَ الأَيْن والسُّهُد
فرُحتُ أظمأُ من جرْداءَ قاحلةٍ ... تَسْجُو فتحلُم بالقُطّانِ والرغَدِ



يا نُغْبَةَ العُمر في الأيام مقفرة ... ومتعةَ الروح في بَالٍ من الجَسَدِ
رُدِّي عليكِ ثياباً ما همَمْتُ بها ... ولا ابتعثتُ إلى أثنائهنَّ يَدِي
أخشى الندامةَ أمسي كم تُعذِّبهُ ... فويحَ أمسيَ مِنْ نيرانها وغَدِي
وهبكِ يانفسُ قد سابَقْتِ بارِقَةً ... ونِلْتِ غَيْثَكِ قبلَ البرق والرَّعْد
فهل يُقِرُّك سكبُ الغَيْثِ نِيَّتُه ... لم تكتمل فَرَمَى الأغْصان بالبَرَدِ

الناصرُ قريبُ الله

بورتسودان يونيو ١٩٥٣



حَياتىَ ضائعةٌ فى الظُّلَمْ   كقبرِك بين ظلالِ العدَمْ
وَنِمْتَ وخلَّفتنى ساهراً   أُقاسى المنى وأُعانى السأَم
ومنعاك ساورنى غافلا   وحجَّر دمعى لمَّا هجمْ
أُنازعُه سهمَه ناشبا   تغلغل فى أَضلعى واحتدمْ

* * *

أَأَشكو وما أَنت لى سامع   وشكواى مفصحة كالبكمْ

تَخلَّفتُ بعـــدك فى موطـن يعيش ويسـعد فيه الصنَّمْ
وما زال باطلـــه قائمــــــا يصدقُّــه النـاس فى مازعـمْ
ويُحْرَمُ فيه الأَديبُ الحياةَ حياةَ الكفافِ وتَغْـــنَى الرِّمَـــمْ
فــواحســرتاه على صــاحب كتــوم طـوى جــرحــه وابتسمْ
لدى قلبـــه وتـــرٌ صادح تضيع أناشـيده فى الصـمـمْ
وقـد شـاب قبل أوان المشيب وحَثَّ بـه السـعىُ حـتى انهدمْ
وعيناهُ تشرب نور الصباح ودُ نيـاهُ غـارقــةٌ فى الظُّلـمْ
عُقَـابٌ قــوادمه فى الثـرى وأيامـه فى الـذرا والقـممْ
تكفكفه الريحُ دون السفوح مثــلَ الهزيمةِ تطـوى العـلمْ
* * *
ومـــا هــو عـاش معــــاش الخؤون تربص بالعَارضِ المُغْتنمْ
أيجزيه فى الناس جُهُــالهُـم فَيَحْبُــونَــهُ بنصيب الخـدمْ
وما قيمــةُ العقــل فى أمـــة يسـود بها الجـاهل المتَّـهـمْ
ويهتف كافــــرها بالهـــدى ويُمْــدَح باخلهـا بالكـرمْ
فياصاحبى إن جفتــك الحيـــاه فقــد كنت أولى بها فى القِسـمْ
لمثلــك تصرُخ نــىَّ الحقـــود وتلفـــحُ قلـــبىَ لفــحَ الضَّـرَمْ
وأنت القتيـــل قتيـــل العقـــوق لا المــوت زارك قبـل الهـرمْ
ومـا كـان والله حكـمَ القضــاء ولكنــــه شـاءه مــن ظلـمْ
لـدى وطــن حقُّــه ضـائع تقســم قـادته فانقسـمْ
وأعجب كيـف تَـرامـى الرعـــاةُ والذئب يمـــرح بـين الغنـمْ

تذكرته في رحاب الندى على الجبين طروبَ النغمْ
يصرّحُ ليس يبالي القيود تجرح معصمه والقدمْ
ويعلو المنابر مثل الصقور تنتظر الصبحَ فوق القممْ
ويهتف بالناس مستعبدين لينطلقوا ويثير الهممْ
يشير بكفيه في لهفة إلى السلم بين رؤاهُ ابتسمْ
إلى عالم عادل آمن به الناسُ أمن حمام الحرمْ

* * *

وما كان منظره باهرا ولكنه بالجلال اتّسَمْ
وليس يعيب شَبَاةَ الحسام إذا غمده نال منه القِدمْ

* * *

فإن كنتَ لم تلق فجر الخلاص فشعرُك منه حفيف النّسَمْ
يرددُ أنفاسَك الخالدات والشعرُ باقيه أوفى الذممْ
وإن خرج الشعر من محنة فإن الولاده بنت الألمْ

* * *

أتذكر إذ نحن في ليلة جناح الصباح لديها انحطمْ
ونرسلُ أعيننا المتْعَبات نخوض عليها ستار الغَسمْ
وقد سهر الموجُ في شطّه تَشَاحنَ في حيرةٍ والتطمْ
وسال بآفاقه المبْهمَاتِ كأشواقنا مبْهَمَاتِ النّغمْ
وننظرُ للسُّفن العابراتِ عذارى على مَوْعدٍ مُلْتَزَمْ
فأدعوكَ ياصاح مثل البعيد فنصحو وأعيُنُنا لم تنم

ونقْتَسِمُ العطرَ من نجمة   لدى الكُوبِ ترمُقُنا من أَمَمْ
نحرِّكُها ومَضَتْ جمرة   تَبِصُّ وتَنْفُضُ عنها القَتَمْ
خيالٌ أويتُ له مفردا   يناغيك فيه نجيُّ الألم
خَزَنْتُ به الود فى جوهر   يضيىء فيؤنِسنى فى الظُّلَمْ
لقد عشت بعدك لا للحياة   ولكن لطول الأسى والندم



خَواطر عربيَّــة

ألقيت فى مِهرجان شوقى وحافظ عام ١٩٥٨



لَــوْلَا أَســاى بَــدأتُ بالغزَلِ ... كالعهــد مــن شــعرائنا الأُولِ
سَــقْياً لهــم زالــوا وما برحت ... أَصــداؤُهــم تنــداحُ فى الأَزلِ
وربوعُهـــم فى البيــد طامِسَــةً ... غُــدرانها بمَحَــاجِــرِ الأبــل
حَمَلَــتْ على الأَقتَــابِ طَاوِيَــةً ... فجْــرَ الهُــدىَ ومنــارةَ السُّبُــل
لــولا الأَســى لفعلتُ مــا فعــلوا ... وأَذبتُ آمــاقى على طَلَــلِ
ورفعتُ نيــرانى وقــدْ وثَبَتْ ... بالسَّــهْلِ فــوقَ مناكِبِ الجَبَــلِ

وأرنَّ شيطاني بقافية		عربيةِ الأوضاحِ والحُلَلِ
هيهات فالأعجامُ قد عَذَلُوا		فيها وملتُ لذلك العَذَلِ
قالوا ، وصدَّقْنا مقالَتهم ،		ما كحلُ عينيها من الكَحَلِ
بَدويَّةٌ لم تغْشَ حَاضِرةً		وتُدل بالأسمال والعَطَلِ
وبقيتُ في السودان مُنْتَشِياً		من حانَةِ الأوهام والخبَلِ
أرنو فأُنكرُ أعيُني حَلَمَتْ		في يقظتي بالحادث الجلل:
العاطلُ الخوَّانُ ذو عمل		يَتَملَّكُ الدنيا بلا عَمَلِ
وحقائقُ الأشياء كاذبةٌ		لا تَسْتَحِي والسُّمُّ كالعَسَلِ
إني رأيت الادعياءَ هم		بوقٌ يطيلُ مدائحَ السِّفَلِ
قد زَوَّرُوا التاريخَ وابتدرُوا		يرمون عينَ الشمسِ بالحَوَلِ
فكأنَّهم قد أطلعوا قمرا		وكأنهم باتوا لدى زحل
وَوَهِمْتُ حتى كدتُ من وَهَمٍ		أهدى نُفاح الورد للجُعَلِ
ضقنا بهم وسألت مبتهلا		أو ليس للباغينَ من أجَلِ

* * *

أشكو ولا أشكو من الزمنِ		أشكو عذابَ الروح فيَبَدَني
لولا الأسى يقضى على الفطن		لو قفتُ كالأعراب في الدِّمَنِ
فيها عُلالَةُ أنفس وجدتْ		سَلْوى على الأرزاءِ والمِحَنِ
ياويحَ قلبى ماله أثَرٌ		يعتاده فيقرٌّ في وطن

* * *

ولعنت بين أناملي قَلَما		أيْبَسْتُه بجديبةٍ فَنَما

أعمَيْتَهُ فـرأى وأخـرجنى نَسْعَى ونوقـظُ حَوْلَنَـا ظُلَمَـا
أيصيـح «يُوحَنَّـا» بمَوْعِظَـةٍ بـين الذئاب لترحـم البهمـا ؟ !
يا ويحـهَ بـدم تُعَـمِّـدهُ «سَالُـوم» تَقْطـرُ فتنـةً وَدَمـا
يا ليتَـه قـد آثـر البَكَمَـا ونجَـا مـع البيـداءِ مُعْتصمـا
والحـقُّ مسـحـورٌ وصـاحبُـه يلقـى شـعاعَ السَّـيْفِ مبتسـما
فكأنَّـه يُلقِـى بمهجتـه من سِـجْنِه قـد ثـارَ مُنْتَقِمَـا

* * *

أأقـولُ أشـعـاراً ليـأكلَهَا ذو بِطْنـةٍ يتخَيـرُ الخَـدَما
وأعيشُ لا مَسْـعاىَ مُجتهـدا أغْـنى ولا من سـامنى رَحِمَـا
هـاتُـوا لنـا عيسى بشـارته لا تحملُ الصُّلْبَـانَ والألَمَـا
أَسـتغفـرُ البـارى فقـد عبـدوا سـبحانه من دُونـه صَـنَمـا
ألقـى على النيـلين مَعْبَـدُه ظِـلاً يُحَجِّبُ فتنـةً عَمَـمـا

* * *

لـولا الأسـى .. دَعْ ذَا وهاتِ لَنَا شِـعْراً يُنَسِّـى اللهـف والحَزَنَا
أوقـد لنـا الأكوابَ هـامـدةً وسـنًى وعَـرٌ بضـوئها حَسَـنَا :
فى مَحْـفِلِ الشُّـعراء نَادمَهُـمْ شـوقى وأصغى حـافـظٌ وَدَنَـا
نيـلانِ فى النيلـين قـد لَقِيَـا عَـربَـاً تَلَـوْا أشعَارهُمْ لُسُـنَا
والشـعرُ أقْـدَارٌ نَـدُقُّ بهـا صَدْرَ العِـدَا ونُمَنِّـعُ الوَطَنَـا
وهـو الغبـينُ على زَهَـادَتِـه ملـكَ الحيَـاةَ ولـوَّن الزمنـا
طـافَ الغمـامُ بحـافِـظٍ وسقى أخْـزَانَـه لم تَبْـلَ فى العَـدَمِ

جَلَــدٌ بكــى عطفــا وأدْمُعُــه رَحِــمٌ لكل مضيَّع الرَّحِــم
وحَنَا على الفُصحى وقــد ثَكِلَتْ أبنــاءهــا فى دَوْلَــةِ العجَــم
ولَــدَتْهُ مصــرُ على سَليقَتِهــا حُلْــوَ الطِّبَــاع مُرَوَّقَ الكَلِــم
وأتــى إلى السُّودانِ مُنْتَعِــلا دَمَــهُ وعــادَ بِحَسْـرَةِ النَّـدَم
حاشــاهُ لم يطمــعْ وما جَنَحتْ أحــلامُــه إلا إلى كَــــــرم
وَرَأوْهُ جُنــديا فهــل شَهِدُوا نَصْــراً يُتَــوِّجُ شــاعرَ الألــم
شَــيخٌ نُحيــطُ بــه ونَنْعَتُــه شَــغَفَــاً بــرِّب السيفِ والقَلَــم

* * *

يا راكبَ العَتَمْــور فى ضَجــر مــن أفقهــا يَطْفُــو على البَصَرِ
حــتى عــدا (أُسْــوانَ) ضاحكةً بدويــةً فى زينــةِ الحَضَــرِ
إن جئتَ للفســطاط فى السَّحَرِ وحبــاكَ مــا خيَّــلْتَ من وَطَــرِ
قِــفْ بى على شَــوقى وكرمَتِــه بسَّــامَــةً فى ظِلِّهــا العَطِــرِ
أوحــى لهــا فَــزَهَتْ عرائشُــها من جَــدْوَل فى الرُّوح مُنْهَمِــرِ
شــيخٌ ضئيــلُ الجِــرْم جبهتُــه عُلْيَــا وفى إطْــراقِــه أُفُــق
لم يــرقَ صَهْــوَةَ مِنْبَــرٍ ولَــهُ وتــرٌ بصــدرِ النِّيــلِ يَصْطَفِــقُ
سَــهْــوَانُ كالعــرَّافِ مُحْتَجِبٌ مِــنْ سِــتْــرِهِ الأســرارُ تَنْبَثِــقُ
يَبْــدُو وراءَ مشــيبِــه طَــرِبٌ مُتَصَــوِّفٌ أوْ عَــاشِقٌ لَبِــقُ

* * *

جــاءَتْــهُ مــن بيــدائِها لُــغَــةٌ شَــعْثَــاءُ فى ثَــوْبٍ من الشَّعَــر
تَشْــكو المــوالىَ يــدَّعُــون لَهَــا قُــرْبَىَ مــعَ الآيــاتِ والسُّــوَرِ

فَصغَا لَها أُنساً وطهَّرَها ... بلسانه من ذَلِكَ الوَضَرِ
تُصْبِى الملوكَ بها لهم سِيَرٌ ... كودائع الأَهرام والسِّير
وترى الخلائف يَخْشَعُونَ لها ... بالبِرِّ والتعظِيم كالأَثَرِ
ولقد تراها وهى رَاقِصَةٌ ... ملء النَّشِيدِ عفيفةَ الأُزُرِ
ولها غرامٌ هاتفٌ بأَخى ... بوصير يمْدَحُ سَيِّدَ البَشَرِ
ولقد تَراها وهْى راوية ... تُصغى إلى التاريخ والعِبَرِ
ولقد تَراها وهى مُؤْمِنَةٌ ... بالله فى الآثارِ والصُّوَرِ
تَبْكى على الأسلام ثاكِلةً ... وتنوحُ من أَثَرٍ إلى أَثَرِ
وتُنَاغِمُ الأَطفالَ تَرْأَمُهُمْ ... بالحبِّ والأَخلاقِ والبُشَرِ

* * *

هذا بشيرُ البعثِ لِلْعُرَبِ ... من بعدِ أَنْ تاهوا مع الحُقُبِ
يَتَسَمَّعُون إلى الحُدَاءِ سرى ... من شاعرٍ متفائلٍ طَرِبِ
يحدُو الغمامَ إلى مرابعهم ... ويحثُّ بالرَّاعِى إلى الوَطَبِ
يَشْدُو وراءَ الليلِ مُنْطَلِقاً ... يتأَملُ البيداءَ عن كَثَبِ
من جانبِ الفسطاط أَلمحُه ... يهوِى إلى الداعين فى حَلَبِ
أَومَازَهَا الأَعرابَ ما وجَدوا ... فى سُمْرَةِ السُّودانِ من نَسَب
آوتْ لنا الفُصْحَى مُغَرَّبَةً ... عَنْ دَارِهَا مَهْتُوكَةَ الحُجُبِ
تَنْجُو بقرآنٍ وتحجُبُه ... فى صَدْرِها عن كُلِّ مُنْتَهِبِ
وهَبَتْهُ «لِلْخَلَوَاتِ» مُوقِدَةً ... نِيرانَها يَقْرأْنَ فى الكُتُبِ
أَو تَسْمَعُونَ لها وقَدْ مَلأَتْ ... شُطآنَنَا ببيانِهَا العَجَبِ

لـوْ راءنى الأَعْشـىَ لنَـادَمَنى هَزِجـاً يـدُقُّ بِصَنْجِـه الصَّخِبِ
وعُـدِدْتُ فى الغربانِ أفحصهم وإلى البيـانِ الحُـرِّ مُنْتَسَـبِى

* * *

مِصـرُ التى أَحيتْ أفيـضُ لهـا شـكرى وأخْبُـوها بما تَهَـبُ
النيـلُ منهـا لايـدومُ بـه كالزرعِ إلاَّ الفَـنُّ والأَدَبُ ..
مصـرٌ وأفـديهـا بِمَـنْ كفـروا نَعْمَـاءها بَقِيَـتْ وقـد ذَهبُـوا
خَـرَجَـتْ إلى الأَعـداءِ مُصْحَفُها بيمينهـا والحَــقُّ والغَضَـبُ
صَـبَـرتْ وما صَبُـروا وأعجزَهم أن يغلبــوا فـلأَهلهـا الغَلَبُ
أَقسـمتُ ليسَ بِغْـيرِهَـا ظَفَـرٌ أبـداً وليس بغـيرِهَـا عَـربُ .

مَسْحُور

بورتسودان : سبتمبر ١٩٥٣



أَرَحْتُ أَيامى على مقعدِ ... فى شاطئ البحر بلاموعدِ
تقسمت قلبىَ أمواجُه ... تضيع فى آفاقها الشرَّدِ
والماءُ خفاق وآهاته ... كأَضلعى مجهولة المرقدِ
لقيتُ عمرى فى الغُثاءِ الذى ... رف بجيد الموجة الأَغيدِ
تنفضه عنها وتُلقى به ... تعلَّة للشاطئ الأَجردِ

تحسبه الأَريـــاح ريَّــاهـــا   وهــو بهــا ظمــآنُ لــم يخمــدِ

* * *

يم على أمــواجــه راســـفٌ   يصارع الأَقــدار كالمُقْعَــدِ

تضفــره الاريـــاح فى لحظــة   ضفــائـراً للأُفــق الأَصيـــدِ

مــاءٌ ومــا فى غمــره قطـــرة   يمـــوج مــوج الرمــل بالفدفــدِ

يلهث مــن وجــد إلى رشـــفة   تشفيه مــن علقمــه المزبــدِ

فــربَّب اللــؤلؤ فى قـــاعـــه   ندى زهــا فى الصدف المــؤصدِ

كم تخلق الشــهوة مــن علـــة   تسعد قلب المــرءِ لـــم يسـعدِ

* * *

ما بال نفسى ليلهــا جــامــد   أَســأَل عنها وهى لاتهتــدىِ

ومدمعــى أَشــكو به أَعــجـــمٌ   كالمـــاءِ مســجونا لدى جلمــدِ

* * *

وأَشرف البــدر حيى الســـنا   مــورد الاوضـــاح كالأَمــردِ

يــدرج فى أَســتاره وانِيـــاً   يخشى الدجــى فى عريه الأَســودِ

يدفعـــه الشــوق إلى مـــورد   وصخـــرة الليـــل على المــــوردِ

وأَشرقت عيــنى بأضوائــــه   تنمــو بهــا الأَكــوان فى مولــدِ

وافتضح المــــوج وكم موجــة   تخجل مــن أَترابهــا الخُــرَّدِ

تُجمِّــلُ من عــرى ومن شهــوة   أَرَّثهــا الدجــنُ على مشــهــد

فراجعت أَهــواءَهــا وانطــوت   تخشــع كالرهبــان فى معبـــد

ســاكنة فى صدرهــا لوعـــة   تحت ضيــاءِ البــدرِ لــم تبــرد

كم في هدوء البحر من رجفة   وفي ضياء البدر من موقد

* * *

نورٌ به الظلماءُ شفافةٌ   تُريكَ وخزَ الشوق في الأَكبُدِ

وفي مدى الآفاق ظل الدجى   يكنف ضوء العين بالأثمد

تلك على الأُفق تلوح الذرى   لها ابتسامُ الطفلِ في المرقد

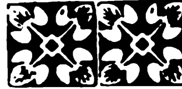
تلوح غيماً شفَّ عن زرقةٍ   هائمةٍ كالأعين السُّهَّدِ

* * *

شفانيَ البدرُ بأسراره   وبَرَّدَ الأحشاء في مورد

أَضواؤُه في القلب خفَّاقَةٌ   مُرسَلَةٌ في جوهر أَوحد

وأَطلقَ الروح بآفاقه   ناعمةً في جسمها المُجْهَد



يأيها الظبى

١٩٣٤

يأَيها الظبى الذى نظراته ... ما صوَّبت للقلب إلا أُثخِنَا
أيصح أَن تجفو الذى يهواك يا ... حسن الجمال وكنههُ والموطنا
ملكتَ قلبى للحسان صبابة ... وشربت من خمر المحبة مدمنا
نسى المحبون الصبابة والهوى ... وقلوْا نِداءَ قلوبهم إلا أَنا

السيد عبدالرحمن

١٩٣٨



بَهَـرَتْ من جلالك الأَضْـوَاءُ ‏ ‏ ‏ ‏ وتجلَّتْ بحسنك الآنـــاءُ
أنتَ سِرُّ الإمام أَشْرقَ في السو ‏ ‏ ‏ ‏ دان منه الصِّفَـاتُ والأَسماءُ
عَلَوِيٌّ في ضوئه يعرجُ الفكـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـرُ قويًّا وليس فيه انتهَـاءُ
ما ثنتـه عن المُرَادِ الليـالي ‏ ‏ ‏ ‏ والليـالي لطامـح أعـداءُ

* * *

ذكـرَ الناسُ عهد والدِكَ الهـا ‏ ‏ ‏ ‏ دى وللحـقِّ في البلاد اسْتِـوَاءُ
والعوالي والبيضُ والخيلُ كالسيـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـل بأعرافهـا يسيلُ اللِّـواءُ
والنجـوميُّ والخليلُ وحمـدا ‏ ‏ ‏ ‏ نُ وعثمانُ جُنْدُه الأَتقيـاءُ

والنُّحَاسُ المَرِنُّ يهتزُّ للحـــرْ بِ فتجــرى على الطنينِ الدِّماءُ
وأبا ، يرسل المناشـيرَ فى إثْـ ـــرِ المنَاشِيرِ صبْحُهَــا والمَسَــاءُ
والثيـــابُ المرقَّعَــاتُ سَحَــابٌ من عذاب يَخْـزَى به الأشقيــاءُ
هَتَكَتْ سِتْرَ ظالم مُسْـتَبِـــدٍّ لَيْس تُجــدى فى رَتْقِـه كِبْرِيَــاءُ
يُرْفَع الملكُ بالضعافِ فأن طــا ئِش تَوَلَّتْ خــرابـه الضعفــاءُ
وقَدِيرٌ كالقــدرِ جاشَ وللغــر بِ على الشرقِ وثْبَــةٌ وارتمَــاءُ
والحَكِمْدَارُ فى السراى لدى النخر طوم يَهْـذى حِيــالَه العُلَمَــاءُ
كذَّبوا داعىَ الهُـدَى فقتلنــا هُــمْ وطبٌّ المنافقيــن الدِّمَــاءُ
لاَ تَقَــرُّ الحياة إلا على الحر ب وفى الحربِ للســلام بقــاءُ

* * *

أين شِيـكَانُ والفوارسُ والنــا رُ وأينَ الخيــولُ والخُيَــلاءُ
أين أيَــامنا الكِــرام وماضيــ ـــنا وأسيافنا وأين المضــاءُ
كَرَرِيٰ والسيوف عندك أُغمــد ن فهل للسيوف منك انتضـــاءُ
لستُ أَسقيكِ بالدموع فما لليــ ـــث دمــع وما به استِخْـذَاءُ
لستُ اسقيكِ بالدموعِ فمن فيــ ـــك لهــم فى الخلود غَيْــمٌ رَوَاءُ

* * *

ياعَزاءَ النفوس إن لفها اليــأ سُ دُنُــوًّا فمـــا سـواك عــزَاءُ
أنت بعثٌ للمكرُمــاتِ وللديــ ـــن وفوزٌ لشــأنها واعتِــلاءُ
المروءآتُ فى جبينــكَ تاجٌ عبقــري والصالحــات رِدَاءُ

* * *

أنا في روعة من الفنِّ والشِّعْـ ـــرِ وفي الفَنِّ روضةٌ غَنَّـاءُ
شُرُفَـاتٌ أَزْهَيْنَ روحىَ بالإِبـ ـــدَاعِ حتى كأَنَّهنُ السَّمَـاءُ
وأَساطِينُ قـد أثرنَ بى الشو قَ فهـل فى عِنَـاقِهِنَّ شِفـاءُ
ونقوشٍ كأَنَّـهن وقـد أَفْصَحـ ــخنَ فى رِقـةِ النسـيم غِنَـاءُ
كلُّ هـذا الجمـالِ لَحْنٌ ولكنْ يَسَـمعُ اللحـن من له إصْغَـاءُ

* * *

يامَليـكاً تضيءُ منه الليـالى فالليـالى بوجهـه قَمْـــرَاءُ
لا أُبالى جعلتَنِي آخرَ النَّـا س أَمَ استضحكتْ بىَ الأَثرِيَاءُ
إنَّ شِعْري البرىء مثلُ شبابى ما به شَـهْوَةٌ ولا أَهْـــوَاءُ
مُعْجَبٌ بالذى بنيتَ ومـا تبـ ـــنى كمالٌ وعِصْمَـــةٌ ورخَـاءُ
لا أغنِّيـه طامعـاً وهو حَسْبِي من جزاءٍ إذا أُريـــد الجـزاءُ
قـد ينال الفقيـرُ بالحب والإخلا صِ مالا تنـالُه الأَغْنِيَـــاءُ
لا أُبالى بأَىِّ واد تـرجلـ ــتُ ولفَّتْ كِيَـانِى الظَّلْمَـاءُ
قد تَرَفَّعتُ والخطـوبُ قيـودٌ وغنائى تـرقُّـبٌ وَرَجَـــاءُ
أنتَ ربُّ المـدى وأنت هيـولا ه وأنت السنى وأنت السناءُ
رَوِّ هـذى القلوبَ بالنور تسعد ويرى وَمْضَ نورك السُّعَـدَاءُ
أَمـديحٌ وأنت فـوق المعـانى إن مَـدْحِي مَحَبَّـةٌ لا ثَنَـاءُ

أحزابٌ ومبشِّرونَ

١٩٣٦

نشر التحزُّبُ في البلاد سمومه … فالناس رهنُ تخاصم وشِجارِ
كلٌ يُزعِّمُ من يُحبُّ وغيره … ممن يُزَعِّمُ عنده لخسارِ
وإذا تخالفت العقول بأُمة … فالعاقلون بها من الأغمار
أملى اتحاد في البلاد وعصمة … بالحق لا بتخالف وتمار

* * *

قل للمبشر ، وهْو ينفث سمه … في الناس ، أنت مخلد في النار
قوموا نُغيِّرْ ما نراه مخالفا … للدين دين الواحد القهار
ننفي الطغاة بصارم نفْني به … ونفوز فوز أخي الجهاد الشاري

الطليعة

١٢ر١٢ر١٩٤٥

وطني استفق حان الوثابُ وصيحة ... في الحق تبرقُ بالدماء وتقطرُ
نفضَ الحسامُ لها القرابَ وهزه ... غضبٌ على إفرنده يتنمّرُ
وطني وقاك من الدخيل وظفره ... ليلُ الشبيبة والمشيبُ المقمِرُ
خمسون من عمر الزمان تصرمت ... سوداً وأنت بها ترُد وتقهرُ
حتى إذا برح الخفاء تفجرت ... دُفَعُ الصباح وللظلام تكسرُ
خمسون قد طُويت وعدت محاربًا ... مازال في كررى لواؤك يَخْطُرُ
وبمسمعيَّ وما وهِنتْ قصيدة ... (شيكانُ) تُنشد رجْعها وتكررُ
وبأعيني (كررى) تعودُ كأنما ... لم يُطْوَ فيها للبطولةِ منظرُ
وطني هو الدم فائرا عتقته ... كررى تضج به الغداة وتزأرُ
إن الأُلى خذلوكَ حين دعوتَهم ... طاشوا وأسكرهم عقوقٌ مسكرُ

في رثاء الامام عبد الرحمن المهدى

نُحاس الهَوْل

فِى لَيْلَةٍ هبَّتْ على فَجْعَةِ ... دُقَّ نُحاسُ الهوْلِ فى البُقْعَةِ
أَيْقَظَها الحَنَّانُ من رجْعِهِ ... ونَوْحُهُ المكتوم فى الظُّلْمَةِ
أَنينُه الأَبكَمُ لا يَشْتَفِى ... أَجَّ بصدر الليل كالغُصَّةِ
وفى مَدىَ الليل صَدى مأْتَمٍ ... يهيمُ بينَ الوَجْدِ والحَيْرَةِ
أَسألُ عينى لا تَرَىَ مَهْرَباً ... أَين ؟ وسَهْمُ الرَّوْع فى مُهْجَتِى

* * *

قد مات مَهْدىٌّ الورى مِيتَةً ... ثانيةً فى وقدةِ الثَّوْرةِ

والعَلَمُ الخفاقُ ملءَ الوَغَى نكّسَهُ المِقْدَار فى الحَوْمَةِ
وأَذّنَ الفجرُ ولكنَّهُ لَمْ يُبْصِرِ السيِّدَ فى المَسْجِدِ
أفردَ فى المحرابِ قرآنَه وأخلفَ الرَّاتِبَ عَنْ مَوْعِدِ
وسَلْسَلُ الآياتِ فى صَدْرِهِ جَفَّ جفافَ الماءِ فى المَوْرِدِ
وردَّتِ البُقْعَةُ أستارها حَاسِرة عن أَوْجُهِ الخُرَّدِ
الغافلُ المكنونُ فى خِدْرِهِ دُمُوعُه يَلْمَعْنَ فى الأَثْمِدِ
فَقَدْنَ - لايأْمنَّ من نازلٍ - تميمةَ الأَطفالِ فى المَوْلِدِ
الأَبلجُ البَسَّامُ عَنْ رَحْمة والبَاهِرُ المرموقُ فى المَشْهَدِ

* * *

يا بقعةَ المَهْدِيِّ أُمَّ الوَطَنْ دُقَّ نُحاسُ الهول ملءَ الزَّمَنْ
فقيدِّى الأَفْراسَ مَجنُوبَةً وهَيِئى القَبْرَ وهاتى الكَفَنْ
غابَ أبوُ الصديقِ فى رَمْسِهِ فغاب فيه الصَّادِقُ المُؤْتَمَنْ
مَن راقب الله فما سِرُّه مختلف عما أَبَاحَ العَلَنْ
من غالب الدنيا بأَخلاقِه ومن سَمَا بالصبر فوقِ المِحَنْ
ومن سقى بالعفو أعداءَه ولم يُجَرِّعْهُمْ سمومَ الأَحَنْ
كان لديه السيفُ لم يعطه شُورَى ولم يُطْعِمْ شَبَاهُ الفِتَنْ

* * *

وتسهرُ القبَّةُ فى ليلةٍ دَاجِيَةٍ إلا بقايا قَمَرْ
رَقَّ عليها الليل حتى بدا كأَنَّه فى أُوليَاتِ السَّحَرْ
تُفْسِحُ من أَحضانها مَرْقَداً مهيئاً للعائدِ المُنْتَظَرْ

كان لـه فى ظِلِّهـا رَوْضَـةٌ وخَلْـوَةٌ مَعْـمُـورة بالذِّكَــرْ
يـزورُها حـنَّ إلى أمْسِــهـا عَـلَّ بهـا يَلقَى زمـانَ الصِّغَرْ
ووالـداً قـد فَـاتـهُ حُبُّـــه رآهُ فى السُّودان حين انتَصَرْ
يَتِيمُهَـا قَـدْ عَـادَ من سَـفْرَةٍ طَـويلةٍ خَـاضَ عَلَيْـهَا الغُمَـرْ
عـاد إليهـا بَـرَّةً عنـدهـا تَسْتَروحُ الأيَّـامُ بعد الكِبَـرْ
عـادَ نضـيرَ الشـيبِ وضَّـاءَهُ وفى مُحَيَّـاهُ الـوَنَـى والظَّفَـرْ

* * *

وفى أصيـل حـائـرٍ شـاحب أضْـفَى على البُقْعَـةِ لونَ الكَمَـدْ
ذاهلـةً عن نفسـها لا تـرى مُفْحَمَـةً فى الجَمْع لَمَّـا احتَشَـدْ
يلـوحُ طيـفُ النعشِ فى صَدْرِهَا كزَوْرَقٍ فـوق عُبَـابٍ جَمَـدْ
واختلَـجَ النعشُ عـلى لُجَّـةٍ فيهاَ الثيـابُ البِيضُ مثلُ الزَّبَد
سـاجٍ على بُـرْشٍ نِسَـاءُ الحِمَى نَسَـجْنَهُ للراحـلِ المُفْتَقَـدْ
نَـرْفـعُ أيدِينَـا لتَـوْدِيعِـهِ لمـا بـدا فى الأُفـقِ ثُمَّ ابْتَعَـدْ
ونُثْبِتُ الأعـينَ فى نَعْشِـه خَامِـدَةً فيها بُكاءٌ خَـمَـدْ
وَذابَ فى أحنـائنـا طَيْـفُـه كَدَمْعَـةِ المحـروبِ مِمَّـا وجَـدْ
وكبَّــر الأنصـارُ تكبـيرةً جَازَتْ مـع النعشِ سِتَارَ الأبَـدْ

* * *

يا عـلَـم السـودان ياحُلْمَـهُ أنجبَـهُ بالحبِّ فِيمَـنْ وَلَـدْ
شددْتَ فى (شُكَّابَةٍ) جُـرْحَـه حـين مَضَى إخـوانُـه وانْفَـرَدْ

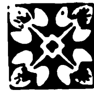
وأنتَ قد شاهدتَ (مَقْبُولَةً) تَدْفعُه للسَّيفِ حينَ انْجَردْ
وكنتَ من قرآنِه آيةً جَوَّدَها مَهْدِيَّةَ المُعْتَقَدْ
وروحُه أنتَ لدى مَوْطِنٍ يُبْصِرُه إنْ غابَ مِنْه الجَسَدْ

* * *

الشعرُ كالخمرِ لهُ خِدْعَةٌ وما شَفَيْتُ الحُزْنَ بالخَمْرة
ماذا يَبُلُّ الشعرُ من لَوْعَةٍ أو يُبْرِدُ التَّعليلُ مِنْ غُلَّةِ

* * *

زهَّدَنِي في العَيْشِ تَكْلِيفُه وأنَّهُ ضَرْبٌ من السُّخْرَةِ
لم تُلهني في الروض أَزهارُه واقدةَ الأَلْوانِ بالشَّهْوَةِ
أَعجبُ للأنسانِ في سَعْيِهِ يَضِيع بينَ العَجْزِ والرَّغْبَةِ
يصرخُ في الميلاد من فَزْعةٍ كأَنَّهُ يخشى من الرَّجْعَة



مُقاومة

بورتسودان ١٩ر٧ر١٩٥٢



جُمودُكَ هذا آخرُ اليأسِ فارتَحِلْ إلى رَاحَةٍ أُخرى من النفسِ وانْظُرِ
ووجهك يلقى الدهرَ والناسَ عابسا يُقَنِّع روحا كالصباح المُنَوَّرِ
فعاتبْ لُبَابَ الصخرِ بالماءِ ساحرا تنلْ سِرَّه مستحجرا بين أَدْهُرِ
أَرى العجز في الإنسان خوفا وربما تخوفتُ أمسا لم يُصبني بمنكر

ففيم حِذارى من غد ماعرفته يُخَيله وهمُ الخَيَالِ المُصَوِّرِ

* * *

وذى حَلك تندىَ نجومٌ بصدره منامىَ فيه ساهرٌ غيرُ مُقْفِرِ
أراجع أيامى فتأبَى وهذه طلائعُ من صبح جديدٍ مُنَشَّرِ
فلاتبقَ فى الذكرى بوادٍ مُغَلَّقٍ عليك وأزْهِرْ كُلَّ يوم وأثْمِرِ
أنا الآن أستدعى الليالى بعيدةً تقيِّدُها أقدارُها خَلْفَ أعْصُرِ
وما الليلُ عندى ظُلْمةٌ فهوَ مَغْرِسٌ لكلٍّ صباح ضاحك الوجه أزْهَرِ
وما النجمُ إلا حبةٌ من ضِيائه ستغمرُ نفسى بالضِّيَاءِ المُعَطَّرِ
عجبتُ لنفسى كل يوم بحِجْرِها وليدٌ متى يشرفْ على النهضِ يَعْثُرِ
أأطْلُب عَوْناً غيرَ نفسى وأرتجى نشورَ حُظوظى من قبُور التذكرِ
جهلتُ بأخذى العلمَ عن كلِّ جاهل يَرَى دَرْبَه لكنه غيرُ مُبْصِرِ
يدبِّرُ جمعَ الخبزِ فالخبزُ عُمْرُه وقد بات فى أحضانِ قيد مؤزَّرِ
حوالىَّ للدنيا جمالٌ ومنطقٌ هو العلمُ لاعلمُ الدَّعِيِّ المُثرثِرِ
وطرفى وثَّابا إلى كل قُلَّةٍ جَناحٌ ولم يَظْفَرْ بهِ شَيْخُ أنْسُرِ

* * *

أسِفتُ على الأيام مرَّت حثيثةً علىَّ كصخرٍ ضَيِّقِ الذَّرْعِ أغْبَرِ
فما انطلقَتْ رُوحى لفجرٍ ولم أعد لنارٍ بقلبى ضَوَّأَتْ ليلَ عَبْقَرِ
سأجعلُ أنفاسى عِناقاً يُذيقنى هوى الأرضِ ذابتْ فى السحاب المُفَجَّرِ
وأمضى مع الظلماء والفجرُ موعد يُحَشِّدُ أحلامى لصبح مُنَوِّرِ

النصر

امدرمان ديسمبر ١٩٥٦



قد انحسر البحرُ عن دُرَّةٍ ... مُخَضَّبَةِ اللَّمح في بُوزْسعيد
وتَصْحُو بضوءٍ كضوء العيو ... ن يصوغُ الحياةَ بِعَيْنَيْ وَلِيدْ
وحالَ السكونُ بِأفقَيْهِمَا ... براعمَ خَفَّاقَةً بالوُعُودْ

* * *

لقد وُلِدتْ أمس بين الدماء ... وبينَ الدُّموعِ وبينَ اللُّحُودْ
وآفاقُها دَفَقَتْ باللَّهيب ... وشُطآنها دَفَقَتْ بالحَدِيدْ

* * *

ولم يبق إلاَّ دَوِيُّ اللَّظَى ... ولم يبقَ إلا أزيزُ القِتَالْ

وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاسُ أَيْنَ القَنَا   لُ فقد سالَ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ قَنَالْ
ولَمْ يَذْكُرِ النَّاسُ معنى الحَيَا   ةِ وعاشُوا حَيَاةَ الرَّدَى والوَبَالْ
رأَوْهُ عِيَاناً وأعمارُهم   تَرَاءى لَهُمْ كَطُيُوفِ الخَيَالْ

ولم يبق فى النيل غيرُ الأَلَمْ
تَمَخَّضَ عن ثَوْرَةٍ حُرَّةْ
وَمِصْرُ العَلَمْ
على شاطئِ النِّيلِ فَوْقَ الهَرَمْ

* * *

وقد رفعَ الجامعُ الأَزْهَرِيُّ   مَآذنَهُ حاسِرَاتِ الجَمَالْ
وكَبَّرَ يَحْمِي حِمَاهَا جَمَالْ
تَدَفَّقَ بالنيلِ مِنْ صَدْرِهِ   مُرِشُّ العُبَابِ رَهِيبَ الجَمَالْ
وَبَاحَ بأسرارِهِ الخالدا   تِ مُؤَلَّهَةً حَارَ فيها الخَيَالْ
وأَمسِ القديمُ على بُعْدِهِ   يَعُودُ بِهِ مِنْ وَرَاءِ اللَّيَالْ
لقد عادَ مَهْدِيُّنَا المُنْتَظَر   يَسُلُّ على التُّرْكِ سَيْفَ العُشَرْ
وَوَافَى الجزيرَةَ مَنْشُورُهُ   لِواءً يَقُودُ إليه الزُّمَرْ
وسَالَ من الغَارِ أنْصَارُهُ   لَهُمْ سُبَحٌ قَدَحَتْ بالشَّرَرْ
وعرش الخديوي حَثُّوا إليه   بِغَابٍ تَوَثَّبَ فيه النَّمِرْ

* * *

وَ (غُرْدُونُ) أمس على شُرْفَةٍ   بِمِنْظَارِهِ كَمْ يُعِيدُ النَّظَرْ

وقـد أمسـكَ النيـلُ أمواجَـهُ ... وأخفَـى عليـه وُجُـوهَ الخَبَرْ
يَـرَى (كُـردُفَانَ) علَى نَارِهـا ... يَهُـزُّ الرِّمَـاحَ رُعَـاةُ البَقَـرْ

* * *

وصالَ (النُّجُـومِيُّ) فِى لَيْلَـةٍ ... مِـنَ الخيـلِ تَـزْهرُ فيها الغُـرَرْ
ظَـلاَمٌ و(غُـرْدُونُ) فى صَـدْرِه ... ظَـلامُ الفَـلا وسُكُـونُ الحُفَـرْ
وفِى سـمعِهِ أُفُـقٌ هَـادِرٌ ... تطاحَن بُنْيَـانُـه وانْـدَثَـرْ
وفى عينِـه أُفُـقٌ مَـاحِـلٌ ... مِن الخَوْفِ يَجْهَلُ مَعْـنَى البَصَرْ
يـرى سمعُـه فى رحابِ الدُّجَـى ... وميـضَ السُّـيُوفِ وَلَـمْعَ السُّوَرْ
وأَيأَسَـهُ الفجـرُ مِـن نَجْـدَةٍ ... على النيـل تمخـرُهُ كالحَجَـرْ
يَـراهُ فَيَحْسَـبهُ صُـوَرَةً ... مُضَيَّـعَةً فى رِحَـابِ الذِّكَـرْ
ودُون المَتَمَّـةِ زُرْقُ العُيُـو ... نِ تَصدَّى لَهُـمْ جَعَـلٌ وافتَخَـرْ
أَذَاقَ السُّـيوفَ لُحـومَ البُغَـا ... ةِ سَـكِرْنَ بهـا فَعَـرفْـنَ السَّكَرْ
وأَمْسَـيْنَ بيـن حنـايا الغمـو ... دِ يُظْهِـرْنَ كُـفْراً على من كَفَرْ
وجـاءَ الصبـاحُ ورنَّ السِّـلا ... حُ نَشِـيدَ الجِـراحِ وصَاحَ الظَّفَرْ
وَشَامَ (النُّجُومِيُّ) نَخْـلَ السَّرَا ... يِ ومَـالَ عَلَى بَابِهَـا فَانْكَسَـر
وأَشرفَ (غُرْدُونُ) مِـن سُـلَّمٍ ... وفى عينِـه دَهْشَـةُ المُحْتَضَـرْ
دَعَتْـهُ الظُّبَـا فادَّعَتْـهُ الرِّمَـا ... حُ فَمَـالَ على شَـوْكها وانْدَثَـرْ
لقـد عـاد مَهْدِيُّنَـا المنتظـر ... ومـاجَ النُحـاسُ بشـطِ النهـرْ
يئـز وينمـض عنـه الغبـا ... رَ ويُلقَى بـه فى يـدى (كِتشِـنَرْ)

* * *

(وأيدنُ) أدْبَرَ عن جُنْدِه وأغرقَه النيلُ في لُنْدُرَهْ
وليْسَتْ بُحيرةُ فِكْتُوريا له أمَةً دينُهَا الفَكْتَرَهْ
وليس العبابُ لَهُ غَلَّةً ولا (بُورْ سَعِيدُ) لَهُ قنْطَرَهْ
وأمسى تَحَطَّمَ في عَيْنِهِ وفي ظَنِّه كُلُّ ما صَوَّرَهْ
ومَالَ تَقَطَّعَ منه الوتيـ ـنُ يَجْرَعُ فَجْعَتَهُ المُنْكَرَهْ
وقد كذَّبُ الشرق أوْهَامَهُ وذابت خُرافَةُ إنجِلْتَرَه

* * *

فأينَ الأساطِيلُ مَرْكُومَةً لها شُرَفٌ مِنْ دُخَانِ الحُمَمْ
وحَرَّكها الغيظُ فَوْقَ العُبا بِ شَياطِينَ قَدْ رَقَصوا في الضَّرَمْ
جعلنا القناةَ لها طُعْمَةً فَغَصَّ بها صدرُها وانْحَطَمْ
وأينَ المَدَافِعُ هلْ أبْصَرَت فَلَمْ تَلْقَ إلاَّ العَمَى والصَّمَمْ
رَمَتْنَا بأفواهِهَا الفَاجِرا تِ فأعْجَزَها صبرُنا والكَرَمْ

* * *

وأينَ المظلاتُ والهابِطو نُ كأنْ لم يُغَطُّوا سَمَاءَ القَنَالْ
تَهاوَوْا على صَدْرِها خَامديـ ـنَ فهلْ سَقَطُوا رِمَماً في حِبَالْ
أجاؤوا من البحرِ أُسْطُورَةً نُشَاهِدُهَا مِنْ صَنيع الخَيَالْ

* * *

وعَادَتْ إلى البَحْرِ أحلامُه يُهَنْهِمُ في الشَّطِّ كالرَّاهِبِ
تَنَاسى القِتالَ وأعماقُه تَمُورُ بتاريخِه الذَّاهِبِ
وقد يحلُمُ الليلُ في شَطِّه خَضِيبَ الرُّؤى بالدمِ السَّاكِبِ

ويَشْكُو إلى البَحْرِ أقْدَارَهُ يَبُثُّ الهُمُومَ إلى صَاحِبِ
وقَدْ ذَهِلَ البَحْرُ عَنْ نَفْسِهِ ونَامَ على شَطِّهِ اللاغِبِ
مُحَيَّاهُ رَغْمَ دُهُورِ الغُضُو نِ بَرِيءُ السِّماتِ مُحَيًّا وَلِيدْ
لقد سكبتْ ضوءها (بُوْرفؤا دُ) على وجْهِهِ وَزَهَتْ (بُوْرْسَعِيدْ)
وتَنْفُضُ عَنْهَا رَمَادَ الجِرَا حِ فَنَرْمُقُها كَنَدِيِّ الوُرُودْ

* * *

هو النصرُ مِنْ كَرْمَةِ المَشْرِقِ رَجَعْنَا إلى حَانِهِ نَسْتَقِي
نُشَاهِدُ أنْفُسَنَا العائدا تِ وَأوْجُهَنَا حَوْلَهُ تَلْتَقِي
شُعوبٌ مُلَوَّنَةٌ كالزُّهو رِ على أصْلِهَا الوَاحِدِ المُعْرِقِ

* * *

فياشَاعِراً تَصْطَفِيهِ الحيا ةُ وتَغْرَى لِعَيْنَيْهِ فِي خِدْرِهَا
فَيَنْعَمُ بالسِّلْمِ من عِطْرِهَا ويَنْعَمُ بالحُبِّ مِنْ صَدْرِهَا
تَغَنَّ فأنْتَ نَجِيُّ الحيا ةِ وأطْلِعْ لنا الشَّمْسَ مِنْ سِتْرِهَا

تُعيدُ إلى الزَّهْرِ ألْوَانَهُ
وللأعْيُنِ الدَّاجِيَاتِ البَصَرْ
تَرَاهَا النُّجُومُ فَتَدْعُو بِهَا
إلَيْهَا ويَنْظُرُ فيها القَمَرْ
وتُصْغِي الحَيَاةُ لأشْوَاقِهَا
عَذَارَى عَلَى مَوْعِدٍ مُنْتَظَرْ

* * *

وتَــزْدَهِــرُ الأَرْضُ فى ظَــلّــَة — مِــنَ الأَمْــنِ عَــرَّشَ فيها السَّلامْ
فأَن تغْــرُبِ الشمسُ قُلْــنَا لهــا — تَــرَكْتِ الذَّواقِبَ ذِكْــرَى غَــرَامْ
بِهَــا يَعْــرِفُ الليــلُ أَشْــوَاقَنَا — فَيَهْــتَزُّ مِــنْ نَشْــوَةٍ وابْتِسَــــامْ
ونَــرْنُو لأَوْجُــهِ أَطْفَــالِنَــا — بأَحْضَــانِنَــا رَقَــدُوا فى سَــلامْ



صحو

واو – اغسطس ١٩٥٤



سهرتْ نفسُه فأغمض عينيه كما غيَّبَ اللآلئ بحرُ
والصباحُ الوليد يصرُخ فى الليل فأصحو وفى عيونىَ ذُعْرُ
أوجودى مازال حولى وجسمى، هو جسمى وماحوانىَ قبر
أىُّ هول وأىُّ رعب وللأحزانِ فى عُمْرِىَ المعذَّبِ عُمر
لست أنجو وإنما نفَسى الباقى طريقٌ إلى دجى الرمس وَعْر

* * *

إنما الشمس زورقٌ زفَّهُ الصبحُ له فى لظى المغاربِ مَخْرُ
مِنْ بقايا شِراعها طبَّقَ الليلَ شرارٌ من الكواكبِ دثْرُ
صرتُ أخشى الحياةَ فالعيشُ والصحةُ غَدْرٌ بكل نفس وخَتْرُ

العرّافة

الخرطوم (٣) : ٢٦ر١١ر١٩٥٠



عرافةَ الحَيِّ رُدينى إلى أملِ ... ماتتْ حظوظِى فَهاتِى آخِرَ الحِيَلِ
واستلهمى الوَدَعَ المُنْبِى لعلَّ به ... نُبُوَّةً .وأعيدى السؤْلَ وابتهلِى
أرى ابتسامك فى السبعينَ عابِسَةً ... أغرى الثلاثينَ كَمْ يَشْقَى بها أجلى
مضى بنُوكِ فهل أعطاك ما فقدوا ... نَجْوَاكِ للوَدع المَضْمُوم كالقُبَل
أُغلْغِلُ الوهمَ فى أطوائه فإذا ... نفسى العمِيَّةُ آواها إلى أَمَلِ
حيث المشاعرُ لم تَبْرَحْ بكارَتها ... كالخمر فى الكرم لم تُعْصَرْ ولم تَسِلِ



فى ظِلِّ سدرتها .. والشمسُ تَنْشُرُه ... مثلَ الدُّخانِ .. تُنَادِينى على عَجَلٍ ..

.. تَقُولُ ، والوَدعُ المَنْضُورُ تنشُرُهُ أما تـرى الخيرَ جاءَ الخيرُ فاقْتَبِلِ

فرحتُ أَقبِضُ كفِّى وهى تَبْسُطُها حتى أُحسَّ بما تحبوهُ من أمـلِ

وبينما أنا أرجـوها وأرحمهـا إذا بخوف إلى جنـبىَّ مُنْفَتِــلِ

ورائــىَ القدرُ المجنونُ يَـرْمُقُـنى وما فَـررْتُ ولا أَخْفَيْتُ من وَجلِى

يُبْدى شَمَاتاً وسُخْراً كم أغصُّ بـه بـنى المنيـةِ وافَـوْهَا على عَجَـلِ

إنى لأَسخر من غيب يُخوفـنى أما يـرانىَ فى أنيـابـه العُـصُلِ

ما باتَ يتركنى عجزا ..لقدجذبت يَـدَاهُ غـيرى وأدمانى على مهـلِ

* * *

أَردتِ لى الخير سَاقَ اللهُ ساريةً إلى ثـراك ووقَـانى مـن الخَطَـلِ

لَـوْيسْمعُ الودعُ المهذارُ ما فعلت بِىَ الحوادثُ لم يسمعْ ولَـمْ يَقُـلِ

أَراهُ صُـوِّر كالآذانِ هَلْ سَمِعَتْ خَطْـوَ العواقبِ فى آتٍ من الأَجَلِ

مُثَـرْثِرٌ كأَطيفالٍ إذا رَقَـدوا خالو الدياجر ألوانا مـن الحُلَـلِ

تُنَاغِـمُ الودعَ المنضورَ .. هل نسيت بـه الشَّـجَا ورعـاها جِـدٌّ مُحتفل

يَلْغُـو فتسمعُ ما يلغو وتحسـبُـه ما كانَ أوفات فى بُحبوحة الغَـزَلِ

تُعْطِيـه سِـرًّا ويُعطيها كما همست لآلىءُ الطَلِّ فى الأَضواءِ .. كالمُقَلِ

مَنْ لِى بِجَهْلِـكِ باتَ الشكُّ يَجْهَلُهُ وبطء خطـوك لم يَسْرُبْ على مَلَـلِ

حـديثُك الحلو ما بانت مقاصده بمسمعيك أَرانـى راحـةَ الكَسَـلِ

وفى البقيةِ من عينيـكِ مَرْحَلَـةٌ مِنَ السَكينَةِ مثلَ الشَّمْسِ فى الطَّفَل

وبيـنَ كفَّيْـكِ أَصدَافٌ مُـوَرَّدَةٌ مِثْـلَ الأَطيفال يَخْتَالُون فى الحُلَـلِ

وكم وعدتِ سوى قلبى مُصَدَّقةً ... فراح بالوعدمشبوبا من الأمل

هَبى فُؤادِىَ هذا اللهوَ مُبتهجا ... ولو يكونُ من الأوهام والخَبَلِ

تركتِ مسألةَ البُخّالِ واعتَملَت ... به يَداكِ فأجدى أَبْرَكَ العَمَلِ

وما كذبتِ فكُلُّ الناس مبتدعٌ ... ما يرتجيه وهذى أروح العِلَلِ

* * *

هاكِ (البياضَ) فانى الآن منصرفٌ ... إلى همومىَ قَدْ جاهَرْنَ بالعَذَلِ

عَنَسْنَ عندى فإن خَيَّلتُ عابِرةً ... مِنَ المفارِح صاحَتْ صَيْحَةَ الوَهَلِ

* * *

شَرِبْتُ .. لم أر كوبا أَستجيرُ به ... إلا الندامةَ آوتنى إلى العِلَلِ

كم من صلاةٍ إذا أدنيتُها جفَلت ... من الذُّنوبِ ولَمْ تَفْقَهْ من الخَجَل

* * *

عرافةَ الحى ردينى مُعَجَّلةً ... إلى الشباب إلى مافات من أجلى

ولوْ رجعتُ فما قَلْبى أُصبِّحُهُ ... إلاَّ بزهدىَ فى آثامِىَ القُتُلِ

قلبٌ خليعٌ بأَضلاعى له نغمٌ ... رقصُ الدعارَةِ من أنغامِهِ الفُضُلِ

أَمسيتُ كالغَابِ فِيه الرِّيحُ عَاوِيَةٌ ... مَن غَارِةِ الشوْكِ نَالَتْهَا ولَمْ تَنَلِ

حتى إذا السُّهْدُ آوانى إلى تَعَبٍ ... لَمَحْتُ نفسى قد آوتْ إلى طَلَلِ

ياليلُ هاك فؤادى كم كلفتَ بِهِ ... كنجمةٍ فيكَ قَدْ شَعَّتْ من الجَذَلِ

قلبٌ بَرِىءُ أمانيه وحَسْرَتُه ... مُوَحَّدُ الشوْقِ بَيْنَ السهْلِ والجَبَلِ

العاصفة

أَقضَّتْ مضاجعنا العاصِفهْ ودوَّت بأَضلاعنا الخَائِفَهْ
تَكادُ تُطَيِّرُ ثوبَ الدجى وتجرفُ أَنْجُمَه الرَّاجِفَهْ
تطيرُ بها البيدُ ظمأَى الرما لِ إلى مَيْعَةِ الروضةِ الوَارِفَهْ
.. تَفِرُّ ذوائبها والغصونُ وهيهـ ـاتَ أَعراقها واقفه
تَلَوَّتْ جداولُها كالبروق تَمَـ ـزَّقُ فى السُّحُبِ القاصِفَه

كساهـا التـــرابُ فأورادُها تَلفَّـــتُ خابيـــةً كاسِـــفَــه
لقد عَمِيتْ أين منهـا الضيـاءُ يَـدُلُّ عليها المـنى القَـاطِفَــه

* * *

أقضَّتْ مضاجعنـا العـاصفـه أتَسْـمَعُ صـرخَتَنَـا العاصِفَــه
تَعَلَّقُ هاماتُها كالجبـالِ وفى صَدْ رِهَـا سُـحُبٌ عَـاكِفَـــهْ
وأذيالُها ضربتْ فى البحـارِ فَـدَكتْ غـواربَهـا الزَّاحِفَـــهْ
تَصِيـحُ الشياطينُ فى صَدْرِهَـا وتَصرُخُ أفـواهُهـا الرَّاعِفَــهْ
لقد حملت كالغُثَاء الوُجـودَ وذَرَّتْـهُ فى كَفِّهـا الخَاطِفَـــه
فوارحمتاهُ لِنُعْـمَى الرِّياضِ بها البيـــدُ جـاثيـةٌ رَاسِـفَــهْ
ورقـرقَ فى الرَوْضِ نورُ الصبا ح تَـرِفُّ أصابِعُــه العـاطفـه
وأصبحتُ بـين ضلوعى الصـدى وفى أعْيُــنِى ذَهْلَـــةٌ آسِـفَـهْ
لئن نَسِـىَ الروضُ ما إنْ نَسِـيتُ وكم ثَوْرَةٍ فى دَمِى عَـازِفَـهْ
إذا لبستْ نعمـةٌ نِقْمَـــــةً فأن حيـاتـى إلى آزِفَـــــهْ
ليهْنِكَ يارَوْضُ هـذا السُّلـوُّ يُجَـدِّدُ أعـراسَـك الطائِفَـــهْ

رَأْسِى[1]

٤ر٧ر١٩٤٦



وَأَمسكتُ رأسِى بين كفىَّ ذاهلا   كما ذَهِلَتْ فى الضوءِ كأْسُ عُقَارِ
مليئاً بأَشجان طوالٍ وحَسْرَةٍ   وليلٍ أجازته طيوفُ نَهارِ

* * *

أُراقبه يرنو إلىَّ بنظرة   كبدرٍ تهاوى فى كُهوفِ سِرَار
ولولا ذراعى بادرَ الأَرض يبتغى   لديها سَراحا من أَسَىً وضِرَارِ

تُجاذِبُــه كم أَبصرت فى ذُبوله ... يَـنُوءاً سليما من شَـجَاً وإِسَـارِ
ولم تفعـم الارض المنايـا مخوفـة ... تُخـادع مـن أَلبابنـا وتُمـارى
هى الأَرضُ لم تَذْهَبْ بميتٍ وإنما ... تعـودُ بأَفـراح لـديه كِثَـارِ
على وجهها من كلِّ حُسن بشـاشَـةٌ ... له النجمُ فى البُعْـدِ المُقَيَّدِ سَـارِ
تُجاذِبُ رأْسِـى كَىْ يعودَ لخـدرها ... فينعـمَ فى أَهل هُناك ودَارِ
ولكنُـه مابيـنَ كَفَىَّ شـاحبـا ... على خُضْـرَةٍ شَـوْكٌ بغيرِ ثِمَـارِ
تهاوىَ على صدرى ورنَّتْ شُجونُه ... ظِمَـاءٌ ووادى الدمع ليسَ بِجَـارِ
لقد سـكنت فيه المحاريبُ وانْطَوى ... تَشَـوُّفُ دَاعٍ أَوتِلاَوةُ قَـارِى
وجازَ به رجـعٌ من الحانِ مُغْـرَمٌ ... تَـرَنَّث مـن أَبهائه بِسِـتَـارِ
لقد كانَ فى فجر الصبا الغضِّ رِيشَةً ... تطـيرُ مـع الأَرواح كُلَّ مَطَـارِ
نَـدِياً كأَنطافِ الندى فى صفائها ... تَهامسَ نورٌ مولَـعٌ بِسِـرَارِ
لقد كان يعلو الشمَّ عرشا مُخَلَّـداً ... أَعرشُـكَ ياخِدْنَ السَّحائبِ هَـارِ
فما بالُ رأَسى قدهَـوىَ غيـرَ مُنْته ... إلى شَـاطىءٍ أَوْمُهْـتَـدٍ لمَنَـارِ

الفقرُ الأبْلَه

بورتسودان ٢٣ر١٠ر١٩٥٢



تَـدَرَّعْتُ بالفقــرِ دون الخطــ ـــوبِ وراءَ بلاهَتِــهِ أَحتمِــى
يجـوزُ بــىَ الهَــوْل مُسْـتَجْمِعاً ويمســـك منفلتـــا معصمــى
وغَادرْتُ خلفــىَ جمــع الزمــانِ تَفَــرَّقَ مُخْـتَرِبَ الأَسْـــهُـم
ولمــا أَويْتُ إلى هُــدْنَـــــةٍ ســقَى الفقــرُ نُصْرَتَه من دَمِــى
يُــدِلُّ عَلَىَّ بمــوتِ الشــعورِ وعِىٍّ دمــوعى فى المــأْتَــمِ
ويضحَــكُ بــى عَجَبٌ ذَاهِــلٌ وعَقْلِىَ كالجَــاهِلِ المُفْحَــم

إلى أَنْ توحَّـدْتُ فى عُـزْلَـةٍ تَداعَيْتُ فى حِضْنِهَـا المُظْلِـم
بَعيـدٌ عـن العيشِ فى قِمَّـةٍ سـمِعْتُ بهـا وحْشـةَ الأَنْجُم
حمـائمُ يَرْعَشْـنَ فِى حَيْـرَةٍ وقَـدْ رَقَـدَ الصُّبْـحُ كالأَرْقم
ودونىَ فِى القَـاعِ تَبْكِى الرِّيَـ ـاحُ وتَجْرِى إلى أُفُـقٍ مُبْهَـم
وردَّتْ إلىَّ صـدى ضَحْـكَتِى صـدورُ الحِجـارةِ لَمْ تعْلَـمِ
أَتَبْـرأُ ياصَخْـرُمُما أصيحُ وتَخْشَـ ـى على صمتـكَ الأَبكـمِ

* * *

وأَنظـرُ والنـاسُ لايَقْنعَـو نَ سِـراع الجُمُـوع إلى مَغْنَـم
يَمُدُّونَ أَعينهـم سـاهريـ ـن يؤرقُهـم وَضَـحُ الدِّرْهَـمِ
يُـرَجُّـون منـه ضيـاءَ الصبـاح يَصُـوغُ المَفَاتِنَ لَـمْ تَسْـأَم
زحـامٌ يمـورُ على حبَّـةٍ تعَـارَكَ حَـوْلَ يـدٍ فى فَـم
سـعوْا فى الحياةِ وأَقدامُهُـم مَشَيْنَ مِـنَ المَـوْتِ فى أدْهـمِ
وكم صيحـةٍ فى ظلام القبـو رِ طَـوَتْها القبـورُ ولَمْ تَرْحَـم
وترمُقُهـم فاغـراتُ اللُّحـو دِ لَواهِثَ بالقَـرَم المُضْـرَمِ
توحَّـدْنَ فى الليلِ من غَابـة ذِئَاباً هَبَطْـنَ على أَعْظُـم
أرى كُلَّ قَبْـر ضليعَ الحَشَـا بَطِينـاً تربَّـصَ كالمُجْـرِمِ

* * *

وأوقَـدَ عقلـىَ مِصْبَـاحَـه يصيحُ بِقلْـبِى فى المـأْثـمِ
فيا ويـح عَقْلِىَ مِنْ رَاهِـبٍ أَخـوهُ فـؤادى لم يَنْـدَم
وثَـارَ فحابيتُـه ثـائـراً وأزَّ بجنبـىَّ كالقَشْـعَـم

وأمسيتُ أجرعُ من حَانَةٍ يُضاحكني ربُّها الأعْجَمِى
رقيقُ الكؤوسِ رقيقُ الحديـ ـثِ إنْ تَشْكُ من ألمٍ يألَم
يُحَيِّيكَ بالخمْرِ بَسَّامَةً تَشَوَّفُ من كُوبِها المُغْلَمِ
وتخْفُقُ كالعينِ فى غمْزِهَا وعودٌ بَرَقْنَ لِمُسْتَرْحِمِ

* * *

ويُرْهِفُ ألْسُنَنا كامِخٌ تَمَاوتَ فى صَحْنِه المُفْعَمِ
ولَيْمُونُه شَحِبٌ أصفَرٌ سَقيمُ السِّمَاتِ ولَمْ يَسْقَمِ
وطَبَّقَ أنْفِىَ ريحُ الشِّوا ءِ تَلَوَّنَه النَّارُ بِالْعَنْدَمِ
وَزلْزَلَنِى قَرَمٌ كالطُبُو لِ أُراقِصُ عَاصِفَه بالفَمِ
فيا ساقِىَ الحانِ عَجِّلْ بِهِ وإلاَّ تأبَّدْتُ كالضَيْغَمِ

* * *

وأنفقْتُ مَالِىَ فى لَحْظَةٍ ومُسْتَقْبَلِى طَاف كالأيِّمِ
ودافعتُ عَقْلِىَ فى سَكْرَةٍ تُجَهِّلُه ذَلَّ كالمُرْغَمِ
وخَطْوِىَ يَنْقُلنى مُسْرِعاً يَرَى .. حينَ طَرْفِىَ مِثْلُ العَمِى
وكَفِّىَ تسرحُ بين النُهو دِ بِغَيْرِ الدَّعَارَةِ لم تُخْتَمِ

* * *

وجاءَ مع الصبح عَقْلِى التقِىُّ فأغْضَيْتُ فى أسَفٍ مُفْحَمِ
فيا عقلُ دَعْ عنك هذا الشمَا تَ فإنَّك فى الشَّكِّ لم تَسْلَمِ

مَصْرع السَراجى

«دخل عليه قاتله ففلق رأس الشيخ بسيفه المعلق إلى جانبه»



الشــطُّ لا تدنُ منه اليومَ شطُّ دَمِ ... فإنْ ظمئْت فعاقِرْ دَمْــعَ مُنْتَقِــمِ
أَتبعْ جفونَكَ ـ إنْ أبصرت ـ راحِلَــةً ... بــينَ المَنَاكِبِ تُلْقِيهَا إلى الظُّلَــمِ
وأقبل الفجــر هل أبدى بنظرته ... قصــرا هنالــك فوق الشط لم يَرِمِ
ما روعةُ القــمم الطولى مُجَــردةً ... من صَيْحَةِ النسْرِ تَدْعُو الصبحَ لِلقمَمِ
فى شاطىءِ النيل صُلْبانٌ مُضَرَّجَــةٌ ... من حــولها الصمتُ بُرْكَانٌ بلا حُمَمِ
أَودى السِّــرَاجِيُّ لا الأَقلامُ مانعــةٌ ... ولا السيــوفُ ولا البُقْيا من الذِّمَــمِ

نَديمُك السـيفُ كم ناجيتَ شفرتَه ... وكان عندَك خِلاًّ غيرَ مُتَّهَـمِ
قضىَ عَلِيًّـا وكَـمْ قاضىً به نَفَراً ... لايَسْمَعُونَ بِغيْـرِ السَّيْفِ مِنْ حَكَـم
رفعتَ وجهَك إذ أبصرتَ بارِقَـه ... وقد علمتَ فلَـمْ تَجْزَعْ ولم تخِـمِ
لَقيتَـهُ بجبينٍ كَـمْ شَمَخْت بِـه ... وَقَدْ لقيتَ ذِئابَ الأُنْسِ فى الأَجَم
ولـذَّةٍ كَغرَارِ السـيفِ قَاطِعَـةٍ ... أشْـهَى من الصبر بيْنَ العَجْزِ والعُدُمِ
جئنـا الحياةَ بلا رأيٍ ونتركُهـا ... فخُـذْ حياتَك منها غَيْرَ مُحْتَشِـمِ
وقـد يلومُك من طاشـت أظافـرُه ... وما يلـومُ سوى الأَيام والهـرم
فامـدد ذراعَك وابْطُشْ غير مُكترِثٍ ... بَطشـاً هو الرَّحِمُ البَاقى بَلارَحِـم
واحـرَّ قلبـاهُ لم أشربْ فهلْ نسِيتْ ... أضَالعى المـاءَ بعدَ الحِقْدِ والقسَـم

* * *

جالستُ عندَك أوْطاراً ظفِرْتُ بهـا ... كأْسـاً وشِعْراً وأزْلاَماً على صَنَـمِ
بِتْنَـا المَجَازَ وفى أرحالِنَا رَجَـزٌ ... يثـورُ كالبحْـرِ فى الأَوزانِ والكَلِمِ
تُصْغِـى وجبْهتُك الشمَّاءُ لاذ بِهَـا ... ضفيرَتَانِ ليـاذَ العُصْمِ بالقِمَـمِ
نُقيمُ هَيْكَـلَ عِشْـتَارٍ وندْخُلُـه ... مقـرَّبينَ مـع الأَسرارِ فى حَـرَمِ
والخمرُ تُـرْسِلُ فُقَّاعاًوقد ضَحِكَتْ ... بلـؤلُـؤ كعقـودِ الكَرْمِ مُخْتَـدمِ
وانثـالَ شِـعْرٌ وأشـواقٌ وغمْغَمةٌ ... وقَـدْ تَكَسَّـرَ غُصْنٌ فى يَـدٍ وفَمِ
لقـد وقفتُ على الذِّكرَى أُسـائلُها ... فأنكرتْنِى وردَّتْـنِى إلى حُـلُمِ
ضاع الطـريقُ لدى الآفاقِ غَامِضَةً ... والركبُ يَضْرِبُ فى الأَخْفَاقِ والسأَمِ
أكُنْتُ أعْرِفُ بالعَاقُـول صاعِقَـةً ... مِثْلى وكيفَ وشِعْرِى صَخْرَةُ الهَـرَمِ

النَّاسُ في النيل ما تَنْدَى جوانِحُهم ... أوْ يَرْحمُونَ سِوى الأَجْدَاثِ والرِّمَمِ
يَذْرُون دَمْعاً هُو النَّاسِي ولَيْسَ بهِ ... حَقٌّ أُضيع بِلاَ عَدْلٍ ولا حَكَمِ
خمسٌ وسبعونَ لم تَفْرَحْ بمُبْتَهِجٍ ... بما فعلت ولم تَظْفَرْ بِمُعْتَصَمِ
وأيْن لا الوَحْشُ خِلاَنٌ بمُوحِشَةٍ ... ولا الأَنيسُ مع الأَهْوَاءِ والتُّهَمِ
حتى إذا نَكِرَ الشطآن فارقَها ... بنَفْسِه ويرى النيلين من أَمَمِ
وقد نزلتَ بوادٍ لا أنيسَ بهِ ... سوى خلالِكَ تَسْقِي السُّخْطَ بالكَرَمِ
وبتَّ نفسُك في دنيا مُمَنَّعةٍ ... من البُطولَةِ في مَاضٍ مِنَ الأُمَمِ
فَرْداً حواليكَ أشعارٌ مُخَلَّدَةٌ ... تَمُورُ بالبيدِ أَوْ تَنْهَلُّ بالدِّيَمِ
تَهْفُو إلى الخِيم القُصْوى لَدَى زَمَنٍ ... خَلْفَ الرِّمَالِ نَسِينَ الرَّبْعَ في القِدمِ
لِمَنْ تَلَوَّحُ بالنيرانِ مُفْصِحَةً ... وسائقُ الإبلِ الحَادِي من العَجَمِ
عَبَرْتَ غاباً من الأحقادِ شَاجِرةً ... وخانكَ السَّيْفُ يَهْدِي الغَدْرَ في الظُّلَمِ
أفْضَى إلى الدِّرْعِ لاتَدْرِي مُعلّقَةً ... بالفَارِسِ الحُرِّ أَشْلاءً على وضَمِ
النيل دونَكَ لَمْ تَنْقَعْ مَوارِدُهُ ... حَزْناً من العجزِ لاحَزْناً من الأَلمِ
كتيبةٌ أنتَ راياتٌ وزَمْزَمَةٌ ... تَضَرَّمَتْ ثُمَّ لَمْ تَأْكُلْ سِوَى الضَّرَمِ
ما أعْذَبَ العَيْشَ لَمْ تَسْلَمْ مَوارِدُهُ ... إذَا سَلِمْنَا مِنَ التَّغْرِيبِ والنَّدَمِ
هذا رَبَابِيَ كَمْ واسَى بأَدْمُعِه ... بِه أُحرِّكُ أَوْتَاراً بِلاَ نَغَمِ
حُزْنٌ تلبَّث في صَدْرِي وثاكِلُهُ ... بَيَ اسْتَجَار وما أَبْكِي من ألالَمِ
أدعو البروقَ لتسقى كُلَّ دَاثِرَةٍ ... هيَ الحياةُ إذ الأَحياءُ كالعَدَمِ
قد ماتَ من حَمَلُوا الأَقلامَ يَائسةً ... والموتُ بالسَّيْفِ مثلُ الموتِ بالْقَلَمِ

قيدٌ حَمَلنَاهُ فى شَطٍّ يعيشُ بهِ ... مَنْ يَخلِطُ البَصَرَ المخفُوض بالصمَمِ

أيُصْبِحُ العيشُ لاَ سَمْعٌ ولابَصَرٌ ... هَمًّا وكيفَ عِتَابُ الحَظِّ والقِسَمِ

سعْىٌ وكيفَ يضيعُ السَّعْىُ كَاسِبُهُ ... وكيفَ يَنْحَطِمُ المَاضِى من الهِمَمِ

وأسألُ النوقَ هل باتَتْ مُغَرَّبَةً ... بشاطىءِ العَنَجِ النَائِى عن السَّلَمِ

والرِّيحُ تكتُمُ فى آثارنا خَبَراً ... أفْضَى لِغَيْبٍ عَلَى الكُهَّانِ مُنْبَهِمِ

والليلُ باقٍ فما لِلشمْسِ طَالِعَةً ... تَسيلُ بالآل فِى القِيعَانِ والأَكَمِ

فيه الزمانُ غريقٌ لاوجودَ لَهُ ... إلاّ وجودىَ فى الأَوْهَام والعَدَمِ

يَمْضِى بنا الأُفُقُ الماضى ويُسْلِمُنَا ... إلى العَواصِفِ والعِقْبَانِ والرَّخمِ



السلام

بورتسودان : ٢ر٧ر١٩٥٣



ضِقْتُ ذرعاً بالتقَاليدِ وما فيها مُعِينُ
ورثيتُ الناس لا يعصمهم فكرٌ أمينُ
وشجانى كالصدى المجهول من قَلبِى الحنينُ

* * *

فدعونى أطلب اللذةَ فى عمرى القصيرِ

وافعلــوا مِثْلِى ولاتصرِفكم دَعْـوَى كَـفُــورِ
واعجلــو.. من قبلِ أن تذهبَ ريــحٌ بالعبـــيرِ

* * *

وطنى الأرضُ واحبــابىَ منهـــا واللّـــدَاةُ
نحــن كالأغــراس ألــوانٌ تُجَلِّيهــا صِفَـــاتُ
إنمــا تجمعُنـــا شَــتّى طُـعُومٌ مُشْــتَهـاةُ

* * *

ليتَ شــعرى كيف يَجـرى الدمُ فى غــيرِ العِنَــاقِ
مــن تُــرى علّمنا الحقــدَ فضعنــا فى الشِّـقَاقِ
وحســبنا لــذّةَ النسـيانِ فى الدمــع المُـــرَاقِ

* * *

بارَكَ الوهّــابُ فى الكــرمِ وحَيّـــا الغَارِسِــينَا
رمقــوا الأثْمَــارَ فى النّـورِ وباتــو شــاكرينــا
كُــلّمــا أفســدها الشـــرُّ ســقوْها آملينَــا

أمْس

بورتسودان في اول ١٩٥٣

●

إنِّي هجرتُ الرَّاحْ إلا معَ الذِّكْرَى
تُضْفِي لنا سِتْرَا
في ظلِّه مصباحْ
يطفئه بَدْرُ

* * *

في جسمهِ العارِي أناملي أشْباحْ

ضَلَّتْ بأوطاري

وعطرهُ الفضّاحْ

يَحْدُو بأسراري

أضلها صَدْرُ

* * *

وثغرهُ الأخْضَرْ والشنبُ الثّلْجِي

شُهْدٌ على جَوْهَرْ يذوبُ في الغُنْج

* * *

في صَدْرِه الوضّاحْ أصابعي تسري

طيراً على فَجْرِ

دَعَا بها وَكرُ

* * *

في الخَمَلِ الغَضِّ عُشٌ بلا بَابِ

يَخْتَالُ لِلصَّابِي

بالرَّشْفِ والعَضّ

والهَصْرِ والرَضّ

نهدان من تبر دقا على صدري

كأسان من خمر

شُدًّا على نهر

يلجُّ في العطر

من كل مفضوح
يَنْفُشُهُ العَصْرُ

* * *

وطرفهُ أغْضَى حتَّى يرى وَمْضا
فى عالم آخَرْ
من نَفْسِه يَسْرى
كبارقٍ ساعرْ
مُنْتَثِر القَطْرِ

* * *

وحَبرهُ الضَّارِى
فى حُلَّةِ الشَّعْرِ
من خارج الدَيْرِ
نَادَتْهُ أخبارى
فراقَهُ المِفْتَاحْ

* * *

ذِكْرَاكَ وطفاءُ مَرَّتْ على جَدْبِ
مَاهَامَ بالسُّحْبِ
تُشْجِيه أصداءُ
غَنَّتْ بهاا لأَرْيَاحْ

* * *

قَدْ هِجْتَ بِى شِعْرًا

خِـــذْنَ الصِّبَا العَذْبِ
فَـــادَ كَحَبٍّ الـــرَّاخْ

طَافَتْ به الذكرى
فى لَيْلَة نَكْـــرَا

أودى بها مِصْبَـــاخْ
وفَـــاتهَـــا بَـــدْرُ



مع القلب

بورتسودان ١٢ر١٢ر١٩٥٢



تَزْكو الأساطيرُ في قلبي مُنوَّعَةً ... ألوانُها ولِسُخْرِ العقل ألوانُ
والعقلُ كالعَبْدِ في أقيادِهِ دَمِيَتْ ... خُطَاهُ يَحْسبُ أن القيدَ إحْسَانُ
شَيْخٌ يقلِّبُ في كَفَّيْهِ تَجرِبةً ... مِنْها ادعاءٌ على جَهْلٍ وإذْعانُ
وإن تعدَّدَتِ الأديانُ مُصْلِحةً ... لَيْسَ تَعْمُرُ بِيدَ العَقْلِ أدْيانُ
أقام يقدَحُ مصباحا يُغالبهُ ... لَيْلٌ عصوفٌ له الأقدارُ شُطْآنُ
أعمى عصَاهُ رأتْ نَجماً فما برِحَتْ ... تَسْرى إليه ومافى النجمِ إمْكانُ



وإنَّ قلبيَ حُرٌّ ليس يَصرِفُه ... عَنِ الحياة وقد نادَتْهُ شُغْلانُ
فاتبعْ فؤادَك لَمْ تَكْذِبْ مَخِيلَتُه ... نَشْوانَةُ السَّكْبِ فِيها القَلْبُ نَشْوانُ

إبتسامات

٤ر١٠ر١٩٤٣



أَنَّى التفتَّ رأيتَ بَدْراً كامِلاً   يرنو إليكَ بناظرٍ نَعْسَانِ
رَقَّت ثَنَايَاهُ العِذَابُ وأرسلت   نُوراً يَرِف بثغره الدَّاجْوَانِ
مسحت عليه يدُ الحياة وأفعمت   منهُ البعيدَ بفتنةٍ والدانِى
ضَمَّتْ حواشيَه على أحلامِها   كِثْراً فلاحَ كَناظِرٍ وَلْهَانِ



خَلَسَتْ به خُطُواتِها مَفْتُونَةً   بسماتُه من فتنةٍ وحَنَانِ
مَرحٌ تقلَّب فى خواطر نائم   أو يَقْظَةٌ فى أعيُنِ النشْوَانِ
أو موجة حَيْرَى على أعطافها   ألقٌ يُزيلُ هواجسَ الشُّطآنِ
أو طيفُ ذِكرى عاد بعد ذهابه   وغموضه فى لَيْلَةِ النِّسْيَانِ



شَفتَانِ قد نامَ الذُّبولُ عليهما   جَنْبَ اليُنْبوع فَمِنْهُمَا تِرْبَانِ
هذا كمُشْفِقَةٍ تعودُ حبيبَها   دَنِفاً وذاك كَعَاشِقٍ هَيْمَانِ



لو كانَ لى قلبُ الجمادُ وسُخْرُهُ   لم تَجْرِ بَيْنَ جَوانِحى عَيْنَانِ
وتناوحَتْ من لذَّة بخواطرى   فِى قُبْلَةٍ أَبَدِيَّةٍ شَفَتَانِ

سُلافة

العقيقُ ملءُ الطَّاسْ
فاجلُ لونَه بالكاسْ
عِطْرُهُ من الأنفاسْ
كالصدَى من القُبُلِ

* * *

الحبابُ والجرْيَالْ

أَنْجُمٌ على أُفُقِ
والشعاعُ في الأَظلالْ
ومضةٌ على حَدَقِ
تَشْتَهِي على خَجَلِ
أُغْمِضَتْ على عَجَلِ

* * *

سقِّني فبي أَشْجَان
من سُلافِكِ النعْسَان
وثَغْرِكَ النَّشْوَان
وقدِّك الثمِلِ

* * *

العقارُ كالنِّسْيَانْ
من بَوارِق الأَجَلِ
في سحابَةِ الأَمَلِ

وحــده

امدرمــان – ٣٠ر٩ر١٩٥٠



ما غــيرُ نفسكِ فى ظلمائها أَحَــدُ		أنتَ الحيــاةُ وأَنت الموتُ والأَبَــدُ
إنَّ المقــابرَ أَرحــــامٌ ستدفعنا		فَلَيْــتَ شِعْرِىَ ماذا بَعْدَها نَجِــدُ
كالوالداتِ وكم أثمــرن وازْدَهَرَتْ		ظلالُها وجفــا أنســامَها الوَلَــدُ

* * *

كم فى دمائِىَ من خمــرٍ مُعُــرْبِدَةٍ		كنــارِ مُوسَــى وما فى ضَوْئها رَشَدُ

تلفتت وهوتْ حيناً وحَركها خيالُ أُنثى فثارتْ وهى تَرْتَعِدُ
تَغْشَى الحنايا وتُحيى فى ضَمائِرِهَا شَيخا من الزيغ فى النِّسيانِ يَقْتَعِدُ

* * *

نظرتُ لم أر ما أَبغى فأَرجعنى حُسْنٌ بنفسىَ من رُهبانه الكَمَدُ
وكلُّ عين سوى عينى مضيعةٌ فليس قلبى فى عينَىَّ مُفْتَقَدُ
أبيتُ أنظر فى نفسى فإن سَتَرتْ أمساً أَهلَّ عليها مايدومُ غَدُ
وفى ضميرىَ أَرماسٌ بمَجْهَلَةٍ مِنها جَديدٌ ومنها طَامِسٌ بَدَدُ
يا من يُقَلِّبُ فى الآفاق أعينَه فى نفسك الحسنُ لم يَظْفَر به أحَدُ
دَع الشموسَ فقد أرْستْ على شَفَقٍ كما تمزَّقَ فى شطآنه الزبدُ
أنظرْ إلى الشمس ما تنفكُّ هاويةً تَطفُو على الليلِ حتى مالَها أَمَدُ
عمياءُ تلمسُ دَجْناً حين أياسَها أهوتْ عليه ومَسْعى نُورها بَدَدُ
تدثرت برمادٍ من جوانحها سَجَا عليها وأمستْ فيه تَبْتَرِد
لا تسعَ ياقلب ما حسنٌ كلفتَ به إلا لأَنك ساهى الليل مُنْفَرِدُ
فاصْنَعْ لنفسك ما تهوى كما صنعت أحلامُ آدم واعشقْ مابها تَجِدُ
وفى الضلوع مقاصيرٌ محجبةٌ فاسربْ إليها وفيها بَهْجَةٌ وَدَدُ
وأنتَ لؤلؤةٌ ياقلبُ عَامِرَةٌ للنُّورِ وللطهر فى أرجائها أَبَدُ

تَسَوُّل

امدرمان – ٩ر٨ر٥٠



أُحبك حبا لو أَرى عنه نَفْرَةً ... نفرتُ ولكنِّى أَسيرٌ مُخَبَّلُ
أُحبك فارحمنى وللحبِّ لَعْنَةٌ ... بها عن جهادِ الناس فى العيش أَذْهَلُ
أَغثنى بطرف ناعس مثلَ بِرْكَةٍ ... وراءَ ظلال الغابِ تَنْدَى وتَرْفُلُ
وثغرُك لو حَيَّا فؤادى ببسمة ... تدفق صبحٌ منه فى اليأْس مُقْفَلُ
أَتنكر وجهى ! ما بعنيىَّ فِتْنَةٌ ... كما تشتهى والحسنُ للحسن أَوصَلُ
ولكنَّ قلبى لو تصورت مهجتى ... جميلٌ ومن وجهه ابن يعقوبَ أَجمَلُ
أَحبك حبا كدت أَفنى بناره ... ولكننى أَحيا لما سوف تَبْذُلُ

الشِّعــرُ

الخرطوم نوفمبر ١٩٥٠



أَنــوءُ بشــعر كلمــا جاشَ رده إلى غُصَّــةٍ خوفٌ من الشعر فادحُ
مَواجِدُه تستنزف القلبَ ذابــلاً وقد يئستْ منه الدُّموعُ السوافِــحُ
أُكتِّم شــعرى فى ضميرى فأنّــه حياتى إنى عن حيــاتىَ نافــحُ
أمــا هصرت قلبى القوافى وأرسلت أَعنَّتَها، نفسى لَهُن الأَباطــحُ
وما أنا أَدرى ما الشياطين أَرزمت بسمعىَ غــاد من صداها ورائــحُ

وانظرُ كالمسحور فالليلُ نجمةٌ ... بها شَبَقٌ يرنو إلى الأرض فاضحُ

* * *

وثُبتُ فكنت الزهرَ أذوتْ خدودَه ... سَمومٌ عليها رَيِّقُ الزهر كالحُ
فتورٌ وإعياءٌ ويأسٌ ويقظةٌ ... وفي كبدى جُرح من الشعر قادحُ
يُطيِّر قلبى ألف قلب وأعينى ... على كل قلب ضيعته الجوانحُ
وهذى ضلوعى الآن كالدير موحشا ... وليس بها إلا قتيل وصائحُ
إذا طالت الأصداءُ فيها ولم تجد ... مجيبا فرجع الصوت للصوت كاشحُ
فواحسرتا للشعر كالدمع ناشبا ... وليس له من صخرة الخوف ماتحُ
وأكوابه خضرُ الأماسى جوامد ... كما جمدت خلف الزجاج المصابحُ
عِشَاشٌ لديها الصمت أسوانُ هامس ... ولكنه فى الوهم نشوان صادحُ

* * *

لسانى غِرِّيدٌ سجين مقيد ... بَكِيمُ الأمانى مَزَّقَتْهُ الجوارحُ
يُجمجِمُ ، والهفَاه ! أم تنظَّرت ... لقد أجهضت عمرٌ على اليأس كادحُ

* * *

لقد وثبت شمسٌ بفجر فأُرعدت ... له كبدى .. صبُح إلى الغيب نازحُ
وما الشمس ! قام اليأس بينى وبينها ... أليس لِفجر فى شقائى منادحُ
أمدُّ بعينى لا أرى غير ظلمة ... وما الصبح هل وهمٌ بَعَيْنىَّ قادح !
هى الشمس دَنُّ الموت يغرى شعاعه ... بِغَيْبٍ وما فينا من السكر بائحُ
هو العيش خدن الموت والحب خدعة ... فهل تعشق الموتى القبورُ الكوالحُ
وهيهات شاب القلبُ فى كل نبضة ... مآتِمُ جسم كل ما فيه نائحُ

فؤاد كما يستعبر الآلُ في الضحى ... له كل غور في دجى الخوف نابحُ
إذا هب فجر ترعش القلب صيحة ... مِنَ الرعب نصلُ الصبح للعمر سافحُ
حشدت له يومى وأمسى وإنه ... ليجهل أمسى بل غدى عنه نازحُ
صباح جميل مر ما كنت زهرةً ... إليها الندى من حانة الصبح جانحُ
عجول أيسعى خلف أمر مغيب ... أما روعته في الغروب المذابحُ
يهشُّ كمجنون به اليأس فرحةً ... وفي اليأس بكّاءٌ ضحكن المقابحُ
يدق على وجهى بنور كأنه ... سياطٌ بها تسعى خطاى الروازحُ
فمن ذا أطار الفجر عن صدر ليلة ... لها شبح في هيكل الدهر طائحُ
أرى ليلة ألقت بفجر تخضبت ... كأمٍ وقد تُنْئى البنينَ المطارِحُ
عذاب ولا أدرى أفي الموت راحة ... أم الموت رؤيا هولها والقوادحُ
وفي الصحو منجاةٌ من الهول في الكرى ... أفي القبر عن هول المنايا منادحُ

* * *

سلام على الأحلام أنكرتُ رجعَها ... وسمعيَ لَحنٌ ضَيَّعته الصوادحُ
ومن أي ظل رقرقتها خواطرٌ ... أنا اليوم عنها ذاهل القلب سارحُ
مرَرت عليها رب طفل إذا نأى ... وعاد جفاه الثدى والثديُ ناضحُ
كذلك أيامى إذا طاف ذكرها ... وما هى إلا الترهات الصحاصحُ

* * *

فمن لى بصدق لم يخيله صادق ... ومن لى بربح لم يخيله رابحُ
أنا الليل أطوى كل سر وإننى ... لأجهل ما ضُمت عليه الجوانحُ
ظلاميَ قِدِّيسٌ تردَّى بِبُرْنُس ... يُعلِّلُ نفسا والنُّجومُ المَسَابحُ

أفــر الى نومٍ هو الصحو فاجعــا فهل تزعــج الموتى الهموم الذَّوابِــحُ
وبى هلع كم أنكر الصوتَ عنــده صداهُ وذا عن ذَيْلِ ذَيَّاكَ جــانحُ
ضلوع ! وما أدرى أبيــدٌ وضيعــة فأين فؤادى ضَيَّعَتْهُ الجــوانحُ
كأن عيونى حين غارت من الأسى تُظَلِّلُها كفى العيون الضحاضــحُ

* * *

وآثرتُ نُكرانى يــدَ الوحى إننــى من الطين ما جَافِيه بالوحى صادحُ
أحب صفاءَ الخبز لاالبدر فليعِشْ على البــدر مخبول العشيات جامــحُ
ولى خِــرقٌ ما ظل روض بســاتــر كما سترت والزهــرُ عريان فاضحُ
أأتركُ سِــرَّ الدود للطين إننــى شريك له كل على الطين فــارحُ
أقيموا لى الميــزان أحكم وأثقلــوا من الخير إن الشر بالخير راجــحُ
أرى الخير شيخا واهن الخطو عاجزا وما قلبــه بالشــوق والحب قــادحُ
لــه راحــة من كل شىء وعمــره يصارع شوكَ الشيب والموت قادحُ
أأُطعــم عقلى جــوعَ جسمى وإننــى يــدَ الله لم تشعر بجوعى القــرائــحُ
وهذا فــلان عاش دهــراً كتــابه وأقــلامه أيامــه والمنـــــادحُ
فلما دعاه الشيب وارتــد طــرفــه إلى الشيب لاقتــه المنــون الصوابحُ
يسائل .. هل دنيا شبابى خــرافة وهل جزتها ، إنى من العقل ناصحُ
وهل ولدت أمــى مشيبا وحسرة وأين الصبا أحــلامــه والمفــارحُ
وقلَّبَ أوراقا فلم تــدر سـرَّه كما جهلت سِــرَّ العظام الضرائحُ

فَرَاشَة

بورتسودان : ١٣ر١٢ر١٩٥٢



أَنَّى تُنيب وفى فؤادكَ شَهْوَةٌ … لاتنطفى وتَشَوُّفٌ لايبرحُ

وهْيَ الحياةُ جميلةٌ مفتونةٌ … تُخْفِى الجمالَ ظِلالُها وتصرِّحُ

فاشربْ بعينك والفؤادِ ، وهذه … تُفَّاحَةٌ فى عُرْيها تَتَوضَّحُ

.. عَذْراءُ عاريةُ الرُّوَاءِ .. بمضجعٍ … من نُضْجِهَا ، تَهْوِى إليه وتجنحُ

والأرضُ تَرْأَمُ حَبَّها ليعيدَها … لِهَوًى رهين بُذورها يتفتَّحُ

أبغى الهدوءَ فإنْ سكنتُ فإنَّما … بسكينةٍ مُشْتَاقَةٍ أَتَوشَّحُ

كالوحشِ نــامَ بلــذَّةٍ في نابــه ... سَهِـرَتْ تئِـزُّ بما ضغنيه وتقدحُ
والورد أنبــلُ ما رأيتُ حنينُــه ... شــوكٌ وراءَ حيائــه يتـوقَّـحُ
والصمتُ أشــوقُ ما يكونُ إذا هَفَا ... عِطْــرٌ يحــن به السكون وَيَصْدحُ
بَيْــنَ الجوانِح أرْقَــمٌ في ليلــةٍ ... شَــبِقٌ تضــجُّ به الحياةُ وتَنْضَحُ
حتى إذا لَهَثَ العبــابُ بشاطىءٍ ... قَاصٍ وثــابَ إلى الوكون مُجَنَّــحُ
قَلَبْــتُ في صدرى بقيةَ آهــةٍ ... بيــن المجاهِل زَنْــدُها لايَقْدَحُ

* * *

صلَّيْتُ بيــن مآثمى ، ومدامعى ... تبكى علىَّ وكلُّ ذَنْبٍ مَذْبَــحُ
وحَمَلْتُ قــبرَ ندامةٍ فى مَنْكِبٍ ... يبسٍ .. على أثقالــه يَــتَرنَّــحُ

* * *

أين الفِــرار من الحياةِ وسِــحْرُها ... نَفَسى بنــافِــج عطــره يَــتَروَّحُ
يارَبُّ يانورَ العيــونِ وأُنْسَــها ... حتَّــامَ يَحْفِــزُنى المَتَابُ وأُصْبِحُ
وعقمتُ رغــمَ هِــدايةٍ صاحَبْتُها ... طِفْــلاً وقلــبى عَنْ نصيح يَجْمَحُ
فاسْــمُلْ عيونىَ بل عيونَ مشاعر ... أعراسُها بخــواطرى تَتَصَيَّحُ

وَداع

أنشدت فى مهرجان توديع الشاعر الأكبر الدكتور عبدالله الطيب



فــراقٌ ، إلى عــود حميدٍ ، ورحلةٌ   هى الغيثُ يسقى منزلاً بعد منزلِ
تسوقُ روايا المُزْن فالنيلُ غيمــةٌ   بِرَكْبِــكَ من سِدْرٍ ونَخْــلٍ مُحَفَّــلِ
تُفيضُ به ظِــلا على كل بُقْعَــةٍ   تــراكَ فتغْــنَى منْ جَداك المُؤَمَّلِ

* * *

فــراقٌ وما التوديعُ إلا تجَمُّــــلٌ   ومكنونُ عَتْبٍ فى الرحيل المُعجَّل
تصافحتِ الأَيدى حَمَــاماً بموردٍ   ونفَّــرها الصيَّــادُ عن بَرْدِ سَلسَلِ
وأمسيتُ فى ليــل بعيدٍ وفاتــنى   خيــالُ حبيبٍ ســافرِ الحسنِ مُجْفِلِ

وأحسو ، ولاسُلْوانَ أبغى ، عتيقةً ... تَضِلُّ وتهْــذى كالسرابِ المُخَبَّلِ
نشدتُ صباحى فى الليالى عمِيَّــةً ... وعدتُ بليــلٍ بَيْنَ جَنْـبَىَّ أَلْيَــلِ

* * *

خدينَ الصبا أينَ الليالى مضيئــةً ... هُنالِكَ فى كنز لدى الأمس مُقْفَــلِ
أتذكرُ ناراً أُوقِدَتْ عِنْدَ خَلْــوةٍ ... عشاءً تَغَـنَّى بالكتابِ المُـنزَّلِ
وأَرَّجَهَــا الجِيرَانُ حــتى تَلفَّتَــتْ ... وألقتْ على الألْواحِ أنظارَ أَجْـدَلِ
ويَرْقُبُــنَا شــيخٌ على كلِّ قــارىءٍ ... لَــهُ أُذُنٌ تُحصى حُـروف المـرتِّلِ
ونصدحُ بالأنشادِ فى ظلِّ خَاشِــعٍ ... مُضِيىءِ العَشَــايا ذَاكرٍ مُتَبَتِّــلِ
هنالِــكَ أوطانى وبُدِّلــتُ جِـيرَةً ... لَهُــمْ كُلَّ يوم حالةٌ مــن تبَـدُّلِ
وأَرَّقــنىً فى سَــاحَةِ الحَىَّ جَدْوَلٌ ... تَــدَفــق منه الدَّاءُ فى كُلِّ مَنْزِلِ
خريفٌ ومــارَوَّى ونيلٌ ولم يَفِضْ ... وزَرْعِى مَصْلُوبٌ عَلَى صَدْرِ جَنْدَلِ
ونَــذْرِىَ مَعْقُودٌ ومافيهِ نَجْــدَةٌ ... وأَهْمَلَنِى رَبُّ الضَّريــحِ المُحَجَّلِ
أقيموا صدور العيسِ من كلِّ جَسْرَةٍ ... لدى مِحْجَرَيْهَــا شــاقنى ظلُّ مَنْهَلِ
نشرتُ جناحى ضارباً كُلَّ ظُلْمَــةٍ ... لأُبْصِرَ وَجْهــاً مِنْ صَبَاح مُؤَمَّــلِ
وهل تحْسُنُ الدُّنيا وتصْفُو بأَعيُنى ... إذابِتُّ عن خِــلٍّ صَفِىٍّ بِمَعْــزِلِ

* * *

وَدَاعاً فتى الفِتيانِ مَنْ طِيبُ ذِكْرِهِ ... لــه نفحــةٌ فى كلِّ نادٍ ومحفِلِ
وإنَّ فُضُــولاً قــولُ مثلى قصيدةً ... أمامَــكَ يَاربَّ القصيدِ المُفَصَّــلِ
ولكننى أَلْقىَ بِــكَ الفَضْلَ باهرا ... ومن يلقَ فضلا منك يظفرْ بِمِقْوَلِ

* * *

فإن بتُّ وحدى فى الليالى وعزَّنى ... لقاؤك فى وادٍ من الأنس مُمْحِلِ
فعندى أصداءٌ من النيل هُتَّفٌ ... يُبارين وجْدى بُلْبُلاً بعد بُلْبُلِ
فديتُك غرد وابْتعثْ كُلَّ رَوْضَةٍ ... أضيع شَذاها بيْنَ رِيحٍ وَمَجْهلِ
وناجِ بِسِرِّ الشعر أسوان سَاهِراً ... غَرِيبَ الهوى جَمَّ الأَسَى والتأملِ
رآكَ له أهْلاً فألْقَى برحْلِهِ ... إليكَ وقَدْ أعياهُ طولُ الترحُّلِ
وكيفَ وداعى من هو الشوقُ عَالِقاً ... ولاوصلَ إلا فى المُنى والتَعَلُّلِ
إذا قُلْتُ أمنٌ بَعْدَ بينٍ وفُرْقَةٍ ... أبى اللهُ إلاَّ مَنْزِلاً بعد منْزِلِ

* * *

حَدوْتَ بغرَّاءٍ من البيضِ حُرَّةٍ ... سَنَاها مَتَى يُشْرِقْ على الحَزْنِ يَسْهُلِ
تراك بعقْلٍ وامقِ الرَّأْيِ حَادِبٍ ... عَلَيْكَ وقد خالَفْتَ نُصْحَ المُخَذِّلِ
وتَبْنى لكَ الأَعْشَاشَ فالبَيْنُ روضةٌ ... بِصُنْعِ يَدَيْها منْ عَبِيرٍ ومُخْمَلِ
متى نام شَوْقٌ من هَواهَا مُمَهَّدٌ ... أفاقَتْ بِشَوْقٍ سَائلٍ عَنْكَ مُشْعَلِ

* * *

ولم تغتربْ ، هيهاتَ ، فالأرضُ أعْيُنٌ ... عَلَيْكَ تَرى بَدْراً حَبِيباً وتَجْتَلِي
وكم مِنْبَرٍ فى الشرقِ والغربِ فَوْقَه ... علوت كَمِيًّا فوق جَرداءَ هيْكَلِ
وصُلْتَ فلم تَتْرُكْ مقالا لقائلٍ ... وأبلسَ فى أغْمادِهِ كلُّ فيْصَلِ
سَأَبقى لأَلقى وجْهَكَ الحُرَّ مُقْبِلاً ... ومَهْما تُحَمِّلْنِى المقاديرُ أَحْمِلِ
نَسَجْتَ علىَّ الشِّعْرَ دِرْعاً حصينةً ... أردُّ بها عَنِّى زمانى وعُذَّلِى
أُحرِّكُ منها غارَةً بَعْدَ غارَةٍ ... وأدْفَعُ منها جَحْفَلاً بعْدَ جَحْفَلِ
إذا لمْ يكُنْ عدْلٌ ففى الشِّعْرِ صَارِمٌ ... مَتى شِمْتَه يُنْزِلْ كِتاباً ويعْدِلِ

الخريف

يوليو ١٩٦٠



لقــد نفض الدَّوْحُ أوراقــهُ

وجـــاء الخـــريــفْ

وذاتَ صبـــاح وريــفْ

رأيتُ السـجين لدى شَــارع

يَشُـــقُّ المجــارى ويَمْحُـــو الحُــفَــرْ

وليس لــه قطــرةٌ مــن مطــرْ

وليس لـه حِفنـة مـن تـرابْ
ولكـن لديـه خـريفُ العـذابْ

* * *

وصـاح المسـاكين وارحمتـاهْ
أغيثـوا المسـاكين يامسـلمين
لقـد دخـل السيل بين البيـوت
حَـكَـيْـنَ السـفينْ
طـواها العبـاب وطـوق النجـاهْ
دعـاءٌ تمـزق بـين الشـفاه

* * *

وعـاد السـجين إلى سـجنـه
ولـم يكفـرِ الله فى قَهـرِهِ
فقـد سـجن الله فى صـدره
وأطلقـه فهـو نـوح جـديدْ
يـدمـر هـذا الوجـودْ

حبيبَ

حديقة الملتقى – الجمعة ٣ر٣ر١٩٤٣



يا ثُغورَ الورود أَين حبيبٌ ... هو إن فضاك الشعاعُ نُفَاحُ
نِمْتِ نَشْوَانَةَ النّسماتِ فهل غَشّاكِ أَيْنُ الجَمَالِ حِينَ يُبَاحُ
أَيْن من أَشْتهِي كَعِطْرِكِ إن صرّح أَخْفَى .. لِكلٍّ حُسن مِزَاحُ
كيف أغفلته فأفلت يغشى ... نفَسى للفؤاد فيه جماحُ

* * *

رف ينْزهِي العيون من خلَلِ الأَوراق نبعا يرف منه الصباحُ
من يصيدُ الشعاع واثبه الماءُ وبالموج لَهْفَةٌ وانديا حُ

بهـــجٌ مـلءُ خاطـرى وجمـالٌ خِفْتُ منـه الذبولَ وهْـو مُتاحُ
وخيـالٌ كصورةِ الغُصنِ المذْهُـولِ فى النبـع بددتها الريـاحُ
سَكْرة عِبْئُـهـا ثَقِيـلٌ وان خـفَّ لهـا مَنْظَـرٌ وغَـــرٌّ سَـماح
ونعيـمٌ من الطـــلاقـةِ واليُســر لدمعى الشـفيقِ فيــه انصيـاحُ
طـالمـا هــاجنى الوصال فأبـكانى وأغـرى بى السرورَ انـتِزَاحُ
مشـفق مـن لذائـذ تُوهِـنُ القَلْـبَ كما تُوهِنُ الأَحاسيسَ راحُ
وتعزلـتُ بُـرْهَـةً جـارىَ العَجْـزُ وسُـمَّارِى الهمُـومُ القِبَـاحُ
آهـتى كالحبـــابِ جـاشـتْ بـه الـكأْسُ وللنفسِ فى مداه ارتياحُ

* * *

كلَّمـــا فـاض من شجونى وَادٍ لذئـابِ الظُّـنونِ فيـه نُبـاحُ
وانبَـــرى فى الضلــوع سـيْلٌ من الغـمِّ عتِـىٌّ تمـوتُ فيه الجِراحُ
بـين أَمـواجـه يرجِّلهـا الصبـــرُ سُـهوبٌ مخـوفةٌ وبِطــاحُ
لحتَ لى طـائــرا يبشـــر عيـنىَّ بشـطٍّ بـه الوعـود المِـلاحُ
فتقلبْ كمـــا اشـتهيت علـى الآفـاق لخنـــا لــه العُيونُ مَراحُ
لا أُجِـدُّ الغِنـــاءَ والشوق والمـوجُ عنـانــى وللسَّـفينِ انسـراح
أنمـــا يلمـــع القصيـد كمـا يلمـعُ دمعـى إذا الأَحبـة راحـــوا
هـــم قـــرار لعمقــه فى مـــدى النفس وخفـــق بقطره والتمـاح
عكس البيـــد صافيـــاً والسـموات وأهـــلا على المشارق لاَحُــوا

موعد

حف بي موعد الحبيب فلي منه ظلال رقيقة وانْتِيَاحُ
ورياض كأنها حلم الأطفال ناموا وللنجوم كِفَاحُ
طاف بي مُشفقا فأذهل الآمي وبشت على الفؤاد جراح
ضحكت بعد حسْرَةٍ كعيونٍ غسلتها الدموعُ فهي أقاحُ
كم مسيح أقمته بين جنبيَّ يمَسُّ الدجون فهْي صباح
وربيعٌ مكرَّمٌ للصبا الراحل يندى بناظرَيْه السماحُ
فبجنبيَّ جدول مرح الهمس كأسرار عاشق لاتُباحُ
يزْحَمُ الشوقُ جانبيه كطفل يزحم المهد حسنُه والمِرَاحُ
ونسيمٌ كأنه نَفسُ المحبوب في رجعه يرف القراح
خف يغْشى البعيدَ من عالم الروح فخففت له بعمريَ ساح
ضاق صدري فوسَّعت منه عيناك فأقطارُه الظنون الفِساح

إخلاف

مجفلٌ من يدىً مثلُ الصدى العابر تُصغى إلى سراه البطاحُ
مَدَّه بلبل فيا غربةَ الألحان ما ردها إليه رواحُ
ما صحت بيدُه الغوافل فالتفَّتْ بها روضة ورقٌ صُدَاحُ

لقــاء

خــفَ قلــبى إلى خطـــاك فللشــوق جنـــاحٌ وللفــؤاد جنَـــاحُ
خفقــا كالعبيــر مــن حـــول عطفيــك ودارا كمـــا يــدورُ الوِشاحُ
ثــم مـــالا إلى خطـــاك نَجِيَّين كمـــا قبَّــل الجِمـــامَ أقـــاحُ
فَتَــقا كل خُطـــوة هـــى أنغـــام وعطـــرٌ ولهفـــةٌ وانــتزاحُ
وبســمعيْــك منهمــا جهشـــةُ المحـــروم شــعتْ بناظريه جـراحُ

واستُعِيدَتْ خُطاك بين ضلوعٍ للصدى في رحابهن انداحُ

* * *

غفل الليلُ والأنام وللكون غُدُوٌّ على الرؤى ورواحُ

مَشرع تُسرع النفوسُ إلى عبريه فيها تَرسُّلٌ وجِمَاحُ

ما اغتماضي .. ولي غدا نشوةُ الوصل وقربٌ مُمحَصٌ واقتراحُ

* * *

ما لِقَلْبي يُسِرُّ لي خُلْفَكَ الوَعْدَ وما إن به عليكَ جُنَاحُ

غيْرَ أنِّي وثقتُ مِنْك وفي عينيكَ وعْدٌ بما نُحِبُّ صُرَاحُ

أتُرى أنت خادعي أيها الصادِقُ والصدقُ رَوْعَةٌ وانصياحُ

أثمر الصدق في خضوعك بل أجْني وقد نُضَّ عن جناك الوشاحُ

أنت لم تكذب العيون وها أنت غناءٌ كما أُحب وراحُ

كيف أخفيتَ في دلالك نعماك وقد نمَّ بالعقارِ النُّفاح

وامتزجنا فللعيون ثغورٌ ظامئاتٌ وللمشاعر راح

قال رفقا فقلت ألهمتني الرفقَ وفي الرفق شَهْوَةٌ واجتراح

هي نفسي أذالَها الحبُّ والحب ذِمامٌ وخشيةٌ وافتضاح

ساعةٌ لا أصُدُّ ميقاتها الحقَّ ولا أنتَ والنفوسُ قِمَاحُ

* * *

هاجني ضعفُه الخلوبُ وللسحر سِلاحٌ وللطباع سِلَاحُ

والتقينا وللمشاعر أجنادٌ على غير بِغْضَةٍ ونِطَاحُ

إن يكُنْ نالني بجُرْح فقد نالته مني - وما استقادَ - جِرَاحُ

* * *

ثُمَّ مُلَّ العِراكُ واستبق الصَّفَّيْنِ طِفلٌ له إليك صياح
مِن تُرى فَكَّه يكفكفه الدَّلُّ فأَوْهاهُ أَيْدُهُ والجِمَاحُ
هو طفل الهوى ترقُّ إذا لَجَّ وتُلقى بشوْكِهِنَّ الرماح
ما أَلذَّ المِرَاءَ والهَجْرَ في الحب وللنفس صَرْفَةٌ وامتياحُ
نحنُ كالنور والظلالِ يشيران فيبدو شبابُنا والمِرَاحُ
عَقْرَبَا ساعةٍ وبينهما الأَزمان والغيبُ والخلودُ المُباحُ
جمعتنا الحياةُ للحب والشدو نُغَنِّي بما يُغَنِّي الصباح

* * *

نَسَلَتْ شهوتي إليك فهل تجفلُ عنها وأنتَ حُلْوٌ مُتاحُ
فَترةٌ بعد سكرةٍ ومنامٌ بعد سُهْدٍ وحَسْرةٌ والتياحُ



مَدٌّ وجَزْر

١٢/١٢/١٩٤٣



(١)

آن يا نفسُ أَن تثوبي فللموتِ دُنُوٌّ وللحياةِ صدودُ
قد خسرتُ الصبا فغنميَ أَشجانٌ ودمعٌ هو النَّجِيُّ الوحيدُ
كم تلفتٍّ يادموعيَ للعون فصبراً لِكلِ نار همودُ
أين عيشي لقد كلفتُ بصونيه وفقدانُه عليَّ شهيدُ
كم حشدْنا وقد رقدنَا لَهُ الشوقَ كأَن الصباح منه يعودُ

فَاتني غيرَ هاجر فشبابي لزماني - وكم غفلتُ - وئيدُ
فات إلا تشوقاً وحنينا ومُنى أستعيدها فتعدُ
غُصصٌ في صبُابة العُمْرِ يربَدُّ لها الوجه والضلوعُ تقيدُ
آهِ لو ينفعُ السلوُّ لسليتُ فؤادي ولي فؤادٌ عميدُ
حزَنٌ منه مشربي خائِرٌ ساغَ فهل خَابَ في لِساني الهَبِيدُ
تجمحُ الخيل والشكائمُ تعييها فتعيا وتستقيد الأُسودُ

* * *

كنتُ طِفْلاً لاَ يستقرُّ وما للطير في جَلْوةِ الصباح رُكودُ
أَين ما أَشتهي فهل شوقُ عَيْنيَّ فَرَاشٌ على لهيب يجُودُ
حلَّ قلبي ندامةٌ هي عقبى السعي منها على خطاي القيُودُ

(٢)

ربَّ ضَيَّعْتُ في الذنوب أماسيَّ وصبحُ التُّقى لهنَّ طريدُ
كم سكرنا .. ونحن في سُتُرِ الليل .. نحلُّ العقارَ حيثُ يريدُ
وشُّعت بالكؤوس لاتعرفُ الشكوى وغنى بها الشعاعُ المديدُ
يلمس القلب كالعيون وللأَهداب لمعٌ إذا خفقن وئيد
ذو ظلال كأنه قمرٌ ساج أُنارتْ على سناه الخُدودُ
وحبابٌ كأَنَّه قُبُلُ الطيفِ طريفٌ سناؤهُ وتليدُ
شاردٌ في مدى الظُّنُونِ على كوبٍ صفاءُ السماء فيه جَدِيدُ

* * *

أكؤسٌ كالغمام تَنْأَى وتلقانا كَحِبٍّ من اغتراب يعودُ

في دُجىً يعصر السحائبَ في مسراهُ منها لآلىءُ وعقودُ
تنفض القطرَ كالعذارى يُبكّين حبيباً غفا عليه الصعيدُ
ضحكتْ يَغْمِزُ الضياءُ حواشيها فمنها مَبَاسِمٌ ونهودُ

***

قمرَ الليل لاتَعَجَّلْ فلليل جدودٌ وللنهار جدودُ
كم لثمتَ الغمامَ والنجمُ كالطَّرْف حسيراً تردُّهُ إذْ يرودْ
زهَرٌ يانع لديك إذا شئتَ وإن لم تشأْ فعطرٌ بديدُ
لم يَزَلْ خافقاً على نُورك الصَّافى كما نَمَّ بالحُلِيِّ البرُودُ
يَرْعَشُ النجمُ في الضِّياء كلحنٍ عاثرٍ ما حنَتْ عليه (وحيدُ)
أوْفَم راجف لما حَملَ القلبُ وقدْ عَزَّهُ البيانُ القَصيدُ
أَو حبيبٍ يُرَدِّدُ الشوقَ في الصمت على ثغره تحومُ الوُعُودُ
سِرْبُ نحل من العيون حَدَتْهُ شَفةٌ مستكينةٌ وخدودُ

***

وسجوف من السحاب أمدَّ النورُ منها كما تطَلَّعَ جيدُ
كلَّما حَرَّكَ النسيمُ حواشيها بدا خلفَهَا غرامٌ جديدُ
رقَّ خلفَ الغمام عالمَهُ الصَّافِى الذى كادَ من صفاءٍ يبيد
حرمٌ فِيه للضياء لحونٌ مُرْسَلاتٌ وللنجوم نَشيد
هو ما شاءَتِ النفوسُ ملاذٌ من جَمالٍ وفرحَةٌ وشُرُود
يَبْسِمُ البدرُ حالماً حفَّه الغيمُ كما حفَّ بالجديل المُهُودُ
صاعدٌ جرَّ ذَيْلَه السابغَ الشفَّ على الأَرض زيَّنَتْه الورُودُ

هل سَرى كَيْ يرى حبيباً وللشوقِ سناءٌ به سَناهُ يزيدُ
لمسَ النَّخلَ ساهيا فعلاهُ أَلَقٌ في مدى الفضاءِ بَعيدُ
هز أَعطافَه وبالسعفِ الأَخضرِ ومضٌ تَكفُّه فَيعودُ
كدلالِ الحبيبِ يَمْنعُ ثَغْراً إن من لايدلُّ ليس يَجُودُ

* * *

ثُمَّ رد السحابُ منه سُتوُراً نامَ فيها الضياءُ وهو سعيدُ
غابَ إلا خواطراً هِيَ كاللَّحْظِ وللنوم بالجفُونِ ركودُ
طائفٌ من أَشعَّةٍ في ثُنَى الأَمواج تَطْوى بها الرياحُ يقِيدُ
هو كالطير لجَّ في زُرقة الجو إلى أن طواهُ أُفْقٌ شرودُ

(٣)

ذاك عيشي وما يُمَلُّ ولكنِّي مَلُولٌ وكلُّ عِطْرٍ يَفِيدُ
رب إن كانت الحياة شَقاءً فبنوها المكلَّفون عَبيدُ
أَوْ تَكُنْ حُلْوةً فلم يكذبِ البائسُ فِيها ولا أَطمأَنَّ السعيدُ
زهدَ الصالحونَ فيها ولكنَّ قُنُوعَ النفوس شيءٌ بعيدُ
وإذا كانت المشاعرُ قرباناً لأُخرى فكلُّ وعدٍ وعيدُ
أَنت زوَّدتنا جميعا وللناسِ نحوسٌ حريصةٌ وسعودُ
أَتُرى نحن مُسرعينَ إلى العرش ومن ضَلَّ في الترابِ يعُودُ
ربِّ قد شئتَ فارحم الناسَ يارَبُّ إذا شئت والطباعُ جُدودُ
ما عليهم وأنت أَلهمتهم ذاك الحبَّ ولم تَخْلُ من صَدَاهُ اللحودُ

نحـنُ نسـعى إلى ضمائرهـا القُصْـوى ونبكي زمـانَها ونَعُـودُ
شـاقنـا الغـابِـرون ياويـح أشـواقٍ على أضلُـع الحيـاة تـريدُ
مـا جِراحاتُهـا تُضيف همومـاً بـاد منهـا الـورى وليسَ تبِيدُ
أنبتَتْ للـورودِ شَـوْكاً هُـوَ الرَّغْـدُ لِنُعْمى وللغيـوثِ رُعُـودُ
وعلى جـانبِ البيـوت قبـورٌ كلُّ بيتٍ طـواهُ قَبْـرٌ جـديدُ
يُثْمِـرُ المـوتُ في القبـور فللأمـواتِ عـدٌّ مـن الثـرى وعـدِيدُ
هُـمْ علَى شُـغْلِنـا بمـا يبتغي العيشُ على جانب الطريق هُجُودُ
هـم لدينـا ونحـن منهم وهـل يبْعُـد في نِسْـبةِ الجدودِ الجدودُ

* * *

أنتَ ألهمـتني الرشـاد وهـل أرضـى هـوى النفس والفؤادِ رشـيدُ
النبيُّـون لـم يخفُّـوا مـن الغاب ولم تضْر في الجنان الأُسُـودُ
هـى أرض أودعتهـا الخـير والشـرَّ وللأرض والسماءِ جنُـودُ
مـوردُ النـاس مسـرعين إلى الـوِرْدِ وقـد ثـار بالحُـداةِ الكـدِيدُ
وعـلا ربـوةً نـبيٌّ ينـادى النـاس والناسُ مذعـن أو مَـريـدُ:
أمهِلُـوا مَـدَّت العيـونُ حـواشيها فللمـاءِ لاالسُّقَاةِ الـوُرُودُ
حُـرَّةٌ سـاقها الالـه فـإنْ تَـرتـدَّ عنـكم ففي الطِّماع سُـدُودُ
لاتُـدِلُّـوا بقـوةٍ رب ذى ضعـف قضى في الزِّحـام وهـو شـهِيدُ

* * *

غـير أنَّ ابـن آدم صَـاول الوحش لقـد لان حـين صال الحديدُ
وطغى الاقـوياءُ ـ والملـكُ للهِ ـ وعُبَّـادُهُ التقـاةُ عبيـدُ

بغت النارُ فالكلامُ لهيبٌ من ذوى النّابِ والسُّكوتُ حُقُودُ

* * *

ورأى مُلْهَمُ السَّماءِ بعينيه وقد يُرعِدُ السماءَ الجحودُ

فأتى الناسَ قاضياً يضع السيفَ وقد يكبحُ الوعودَ وعيدُ

هل شفى ثورةَ النفوسِ نبىٌّ دمُه فى دجى الضلالِ بديدُ

(٤)

بين عينىَّ حُسْنُ خلقك ياربِّى وبين الضلوع قلبٌ عميدُ

ليس عُذرى من المآثم إقرارى ولكنه الغرامُ البعيدُ

أَخْطَأَ الناسُ ما إدراكُ الكبرى شقاءُ العقولِ وهى قُيودُ

أنت علمتنا الحنان وحواؤك ظِلٌّ به نبىٌّ طَرِيدُ

ربِّ عذرى إليك شكرى وما جَحْد النعمةَ إلا مُخَيَّبٌ أو كَنودُ

ربِّ ضيعتُ فى الذنوب أماسِىَّ وصبحى إذا صحوتُ حريدُ

شاحبٌ كالسقيم هدَّمه الليلُ خُطَاهُ تسمَّعتها اللحودُ

هجَّنتْ زهْرَدَ النجومُ .. ولليلِ خميلٌ به الكؤوسُ وُرودُ

ربَّ نجْم مُفتَّتٍ لحواشيه اختلاجُ الحبيبِ حين يجُودُ

* * *

كيف أخشى منيتى ويدُ اللهِ رفيقى إذا طوانى اللحودُ

أنت سقَّيتنى فلِمْ تظمأُ النفسُ وينأى على الخيالِ الخلودُ

هُو عِشقى الحياةَ من فضلكِ الغَمْرِ وحرصٌ على البقاءِ تَليدُ

غير أنى أحسنتُ ظنى باللهِ وخلفَ الترابِ بعثٌ جديدُ

جريرُ بن مُنير

نعمى أَهلَّتْ في حَيـاةِ مُنِـير — سَـمْـح لرب العـالمين شَكُورِ
وهبَ الأُناثَ لـه وكُـنَّ فَضائلاً — شَـتَّى وقـوَّمَ بيتَـه بُذكُـورِ
وَهْـوَ الخليـلُ وما عذرتُ مفارقا — جـاءَتْ لـه أَيامُـه بعـذيـر
إنى أُعيـذُكَ من حظوظ خيبَتْ — أَمَلى وأَعجـز نَحسُـها مقـدورى
لم يُعطـنى (برغوثُ) من بركاته — وبكيتُ عمـرىَ فى سَوادِ (الجوُرِ)
أَقسـيمَ أَيَّامِى وبَهْـجـةَ أَكؤُسِى — ناجيتُهـا فى وحـدتى وعشِيرى
أَلَنْمْـتَـنى بمودةِ وشـمائـلِ — أَلَفْـنَ بـين فَـرْزدقٍ وجـريرِ
أَمنـيرُ قـد أَبهجتنـا بمنـير — سَـمْح يعـود بمهـدكِ المنصُـورِ
كَذِّبْ مشيبَك فى صباهُ وعِشْ بـه — عُمْـرَيْنِ مكتملِ النُّهـىَ وغَـرِيرِ

إلى أين

الخرطوم ٣ ٢٨ر٤ر٥٩



أستدبرُ الوطنَ القاسى إلى وطنٍ لم يعرف اليأسَ أهلُوه ولاحَقَدُوا
فيه العدالةُ أخلاقٌ ومرحمَةٌ وما السلاحُ على قانونه رَصَدُ
هيهاتَ ذلك أمنٌ كُنْتُ أرقُبُه عشرين عاماً إذا مالاح يَبْتَعِدُ
سهرتُ أَرقُبُ أطفالِى وقد رَقَدُوا وليس غيرىَ فى أحْلاَمِهم أحَدُ

عَلى ضريح البَشِير

الدامر : ١٩٣٨



أرسلتُ عينىَ فى الضريح المُقْمِرِ ... مُتخَشِّعا يحنو عليه تذكُّرى
نُور أُخالسه فيضحَكُ أُنسُه ... فيذيبُ من كمدى وطولِ تحسرى
ألقى البشير أبى وزينَ مشايخى ... ووحيدَ أهْلِيَ فى الزمان المُدْبِرِ



ما كان يسرعُ فى الخلاف وإنما ... يسعى ليجبرَ كُلَّما لم يُجْبَرِ
فسلوا الحوادثَ هل تَقَنَّعَ دونها ... لما تَوضَّحَ سيفُه فى بَرْبَرِ
ما كان أزينَه يصيح مكبِّرا ... بين المدافع والخيول الضُمَّرِ
عَصَمَتْهُ صحبتُه الكتابَ وأخْذُه ... نورَ الحديثِ عن النبىِّ المنذر



ألقى البشير أبا الهدى متبركاً ... قلبى الموزَّعُ بالولىِّ الأَطْهَرِ
فى غربة عن موطن لم ألقَه ... ومحجَّبٍ فى حسنه مُتَكَبِّرِ
ورجعت أَمسَحُ عن جبينىَ غُصَّةً ... وتحسُّراً عن قلبىَ المُتحسِّرِ
من باتَ تعجزُه المقادرُ فليزر ... قبْراً ومن يَزُرِ المقابر يُعْذَرِ

الكونُ الفاسدُ

ام درمان - العباسية ١٥ر٥ر١٩٤٣



منْ لنا يائسين لانضمر الصبرَ ولا نتقى سهامَ العوادِى

قد كشفنا لها المقاتلَ راضيـنَ فأَبْقَتْ بقاءنا عن كِيَادِ

نحنُ سكرى عقارها وهى تسقينا لترضى بِنَجْعَةٍ وارتيادِ

يَعْذُبُ الهمُّ فى فؤادى فلو جَفَّ لبكَّى على هُمومٍ فؤادى

كذبَ الشوقُ رب ومض من الأَشواق رَدَّى جوانحى بالرَّماد

تلك حانٌ تغرنا بغيوب   كرفيفِ الوعود فى الأكبادِ

أنظرتنا إلى معاد وردَّتْنا   إلى حسرة لغير مَعَادِ

حَسْرةٌ كالقِفار تسبقُ مَدَّ   العينِ سَبْقَ الظُّنونِ للآبادِ

وَرَدَتْ فجعةَ الغروب بوجه   والدُّجى فى متونها والهوادى

مَوْجةٌ إثْر موجة تُضْمِرُ   الآفاقُ أرسالَها لغير نَفادِ

لَعِبتْ فى ثُنى محاضِنِها الريحُ   وخارَتْ على جُنُوب البوادِى

هى خلْف الظنون ربعُ ظُنون   وديِاراتُ غُرْبة ونَفادِ

ما طوتْ فتنة المدائن غُمْدان   ولا استأْثرتْ بذاتِ العِمَادِ

لهفٌ زاخِرٌ تحجَّر فى العين   وأجرى حميمهُ فى السَّوادِ

* * *

حالتى حالتى فما النور بالنور   ولا النجمُ فى دُجَاىَ ببادِ

أنا نجمٌ أَشعَّ ثُم مضَى فى   الأَرض يشكو لليلها من سُهَادِ

أَين عطفُ السماءِ والعدلُ   ما ينْهلُّ إلاَّ لِنِقْمةٍ او بَدَادِ

وأَحقُّ الوجود بالعذر أكوانٌ   ترى العقل من دواعى الفسادِ

خلِّ عنك السماءَ لا تعرفُ   الرحمةَ حتى تشيعَ بينَ العِبَادِ

أَقفلتْ بابها وأَطفأَتِ   المصباحَ واستعصمتْ وراءَ سِدادِ

كم قرعنا صفَاتها وهى أُمُّ   الغيبِ لفَّتْ وليدها فى مِهاد

شاب فى قيدها فليس عجيبا   إن عنا دونها بغير قِياد

حاقدٌ ناقم فهل كان يشفيه   حداءُ الردى من الأَحْقادِ

مَالَها تُقْصِدُ الخوالفَ والخاشين منها وما طغَوْا فى البلاد
رُبَّ صبٍّ بفرضه غاله السيلُ وقد راح آمنا لِلْوِسادِ
وغوِىٍّ ترشَّفَ الحببَ الختَّالَ أمسى على نُهود الخِراد
طَلَلٌ طالما وقفنا نُناجيه ومافيه خَطْرةٌ من وِدادِ
ناحتِ الريحُ فى جوانبه القَفْرَاءِ واستنفرت دُموع الغوادى
باردٌ كالقبور يأْبى على الأَعين بين العبوس والإبعاد
أين منه الجنانُ فى البِشر واليُسر عذارى صَبَابَةٍ واتِّعَادِ
وكؤوسٌ مُشِعَّةٌ ترتجى الشَّرْبَ أجدَّتْ حنينها باتِّقاد
ولحونٌ بها تعانقتِ الأَنفاسُ بين الهبوطِ والإصعادِ
وكِمامٌ تفتحت ينفح العطرُ بها والثِّمارُ فى ميلادِ
وجوارٍ وَهَبْنَ للشوقِ والحب شبابَ القلوب والأَجساد
وجلالٌ هو الرضا بنعيم أَبَدِىٍّ النعيم والميعَادِ
أَينَ هذا منَ السماء وهذا النجمُ كالرَّكبِ ضارباً فى البوادى
ليتها قَلَّصَتْ لنا جانبَ السِّتْرِ وشَوْقُ العيون بالمِرْصَاد
لِمَ لَمْ تُغْرِنا بغيرِ الأَمانىِّ وغير الدُّيور والزُّهَّاد
أتُراها تعيشُ بالفرح المغصوبِ مِنَّا فحسنُها فى ازْدِيَادِ

* * *

قَرِّبى للخيال ياجنةَ الخلد وعوداً مُمِضَّةً كالعوادِى
أظمأَتنا ونحن نعثر بالأَيام مثل الرياح بالأَطْوَادِ

فَسَلِ النجمَ هامِساً قَلِقَ الدَّمْع كَلَحْظٍ يَنِدُّ بعدَ ارْتِدَادِ
مَالَه جُنَّ في السماء فهل يعلم ما فوقَ فُلْكِه مِنْ نَفَادِ
أَنجُمٌ كالفراشِ تَقْتَبِلُ الشمس لتروى بنوها المُسْتَعادِ
كيفَ تَرْوَى النجومُ وهْيَ ظِمَاءٌ ظمأ الغابرينَ في الآبادِ
تَتَهاوى لَدى مُعَانَقَةِ الفَجْرِ هُوِيَّ الدموع في الأَبْرَادِ
ويْحَهَا كَمْ تُحاولُ النَّوْحَ في الليلِ فَتَعْيَا به لبوسَ حِدَادِ
فَرَنا كُلُّ ثاقِبٍ في دُجى الليلِ رُنُوَّ الجَزُوع في الأَقْيَادِ
لَهَفٌ هذه الحياةُ وشوقٌ آدَ لِينَ القُلوبِ والأَكْبادِ

* * *

ويحَ نفسي على النبيِّ يرُدُّ الناسَ عن مَوْرِدَيْ هوىً وَفَسادِ
سَحَرَ الركبَ حَادِياً غُرَّةَ الصُّبْح مُليحاً بنُورِه في السوَادِ
يُنْقِذُ الروحَ بالسَّفِينِ على الطُّوفان والآيِ في مُتُون الحِدَادِ
ومضى يَغْسِلُ النفوس ويُنْمِي بينَ أغوارها خَمِيلَ وِدَادِ
يَمْنَحُ المُصْلَتَ الفقيرَ جِنانَ الخُلْد والباخلينَ شَرَّ مَعَادِ
خانَهُ كاتبُ القَضَاءِ فِلِمْ أغراهُ بالنَّفْسِ لم تَكُنْ لِرَشَادِ
وهوىً ثاقباً تلقَّفَتِ الوِدْيَانُ اصْدَاءَه بِلَهْفَةِ صَادِ
قَطْرَةٌ في الرمالِ غابَتْ ولم تَشْفِ كَدَمْعٍ مغيبُه في وِسَادِ
مَرَّ كالنسمَةِ الحيِيَّةِ تَستَحْيِي مُنَى الحَيِّ في سُكونِ الجَمَادِ
أَوْ كَرَجْعِ المغيبِ في صَفْحَةِ اليُنْبُوعِ يَذْوَى كجَمْرةٍ في رَمَادِ

لحظــةٌ كالعـذاب في سَـكْرَةِ المـوتِ تُعيـدُ الجدودَ في الأَحْفَـادِ
رَجَـعَ النـاسُ بعدَه لظــلام ولِكُلٍّ - وما تَبَيَّنَ - حَـادِ

* * *

كـمْ حكـيـم أو شـاعر لَفَتَ النـاسَ مَضَى وانْثَنَوْا لغير سَـدَادِ
هـو كالصَّبْـرِ مـذْهِـلا بالأَسـى الحُـرِّ وقـد يَذْهلُ الأَسى بالجواد
لِـمَ لا تـرحـمُ السماءُ قُلوباً طاهـراتِ النِّطَـافِ كالأَورادِ
ليتَهـا زيَّنَـتْ بِهَـا جَوْهَــرَ الغيبِ فصانَتْـه عن تُراب الجِمَـادِ
أَعـرضتْ عنهـمُ ولـم تزْجِـرِ الشَّـيْطَانَ بـين العقولِ والأَجْسَادِ
صـادَ نجـمَ الدُّجى بِمِخْلَبِـه الفَـذِّ فأَمسى أمـانُـه لارتِعَـادِ
نَفَـر النجـمُ في السَّـماءِ كِسِـرْبِ الوحش لم يُغْنِـه اتِّقاءُ العبادِ
رُبَّ نجـم مُنَمِّـر في ديـاجيـه أتـاهُ الصبـاحُ بالصيَّـاد

* * *

آه لـو يـرجـعُ الصبـا كنـدىً رفَّ على وَرْدَةٍ بعُزْلَـةِ وادى
لِعَبَتْ تَغْمُـر النسـائمُ مَغْنَـاهـا وتَرْضَى لِعَابَها في وِحَـادِ
آه لـو يـرجعُ الصِّبـا كَيْ يـرى دُنيـايَ كالجُرْحِ بارقاً في حِدَادِي
آه لـو يـرجـعُ الصِّبَـا من جديد فهو حَسْبِي من الهُدَى والرَّشادِ
رفَّ لي بَسْـمَـةً وأعــرض كالبـرقِ فـزَادَ الظلاَمَ عُمْقَ سَـوَادِ

الحَـذرُ

بورتسودان ـ ١٩ر٤ر٥٢



إنْ رَأَيْتَ الحـقَّ فانظـرْ أَقِنَـاعٌ أم لُبَابُ
أَم شـهيدٌ صَلَبُوه وأَباحَتْـهُ الذِّئَابُ

إلى الدم المسفوك فى مراكش

مُوتُــوا

بورتسودان ١٩٥١



هى الحربُ ! أهواها قضاءٌ فانَّهَا   شِمَاءُ لَمَجْنِىٍّ عَلَيْــهِ وجَــانِ
مُعُرْبِدَةٌ يحــدُو (جُــوَانٌ) بِجنِّها   فَغَنُّــوا لَهَــا . لاَتَعْبأوا بِجوَانِ
جَبَــانٌ وراءَ النــارِ يرْغى وأنْتُــمُ   بأَلْسُــنها العُلْيَــا عُبَابُ دُخَــانِ
فأن سَـلِمَ العَبْدُ الفِرْنسِىُّ وحــده   لقد هَلَكَتْ باريسُ غَيْرَ حِسَــانِ
أباحَ بهنــد الصينِ (هُوشِىِ) إزارها   فرقت له فى ذِلَّــةٍ وهَــوَانِ

وذا الآن فيها (يُوسُفُ) باتَ قَاهِراً ... لأَ بنائها لم تَحْمِهِم بِبَنَانِ
لقد نبتَتْ أظفارُنا اليومَ فانظروا ... دماؤُكم خَمْرٌ بكلِّ لِسَانِ

* * *

(علالُ) سقيتَ الأَرضَ.. عَجِّلْ بقطرةٍ ... إليَّ وخضِّبْ بالدِّمَاءِ بَيَانِي
رَدَىً إنْ يَكُنْ جفَّتْ قُلوبٌ لِوَقْعِهِ ... لَقَدْ بَلَّ قلبيَ ظَامِياً وشَفَانِي
بكلِّ جِراحٍ قد أَهَلَّتْ بَشَاشَةٌ ... بها الفجرُ مَنْضُور الحيَاةِ دَعَانِي
جِرَاحٌ كَثغْرٍ يشتهي اللَّثْمَ ذَاهِلاً ... أضاءت لَهُ روحي ورفَّ جَنَانِي
على كلِّ مقتولٍ على الثأرِ فَرْحَتِي ... وقَلبِي عَلى قَتْلَى المبادئِ حَانِ
تَهَاوَوْا كَمَا أَهْوتْ سفائِنُ طَارِقٍ ... يُزَوِّجْنَ حَدَّ السيفِ كُلَّ حصَانِ
زَحَفْنَ برمْلِ البيدِ فاليمُّ رَمْلَةٌ ... بِها مَعْبَرٌ مِنْ قَاصِلٍ وسِنَانِ
يُحرِّقُها فالموجُ في النارِ أَلْسُنٌ ... أَكَلْنَ الدُّجَى والثاقِبَاتُ رَوَانِ
تَرى وَمْضَهُ (الحمراءُ) ذِكْرَى بَعِيدَةً ... وَتَسْأَلُ هل في اليمِّ رجعُ أَذَانِ

* * *

أُسَاهِرُ في السودان لَيْلاً إذا سجَا ... صَدَقَتْ ظُنُوني واتَّهمتُ عِيَانِي
تَسَمَّتُ فيه الصمتَ يُنبي سكونُه ... بِحَرْبٍ على المُسْتَعْمِرِينَ عَوَانِ
تَلِجُّ كماءٍ ضَمَّهُ الصَّخْرُ كَاظِماً ... وكَتَّمَهُ في لُبِّهِ لِأَوانِ
تَسَمَّعَ هَمْس الغَيْب والنجمِ والدُّجى ... كَغَارِ حِرَاءٍ قد هَفَا لبيَانِ
(جُوَانُ) أدرْهَا لم تُعَتَّقْ ولم تذُقْ ... مَجانَةَ شَرْبٍ أَوْ دلالَ قِيَانِ
تَسيلُ، وما كَفَّت ولا كَفَّ شارِبٌ، ... بروقُ دمٍ تُعمي الظهيرةَ قَانِ
إذا مالَ سَكرانٌ وأهوى بكوبِهِ ... أهلَّت بكُوبٍ دائمِ الدورَانِ

وما هِيَ إلاَّ جُرْعةٌ عن ظَلامِهَا صَدَى الصُّورِ فى يومِ القِيامَةِ وَانِ

* * *

نَهَانِي صَحْبِي أمسِ أنْ أرْكبَ الردَى فراجعتُ نَفْسِي نَاجِياً بعِنانِي

وعدتُ أسوقُ اللَّوْمَ والعتْبَ حَاقِداً إلى من رَعَى طِيب الهَوىَ فنَهانِي

يُزيِّن لى وَصْلاً فلما وصلتُه وجدتُ فَراغاً مَضَّنِي وَشَجَانِي

فياليتنى عاصيتُ قلبى وردَّنِي عنِ اللوم رَمْسٌ فى الغيُوبِ مَحَانِي

دَعُونى أفِضْ نَفْسِي على السَّيْفِ ضَاحِكا لِتَضْحَكَ نَفْسِي من غَباء جَنَانِي

أيرعشُ خَلْفَ المْوتِ ! فالموتُ خَافِقٌ لَدَيْهِ كخمرٍ خافقٍ بِدِنَانِ

ويا لَيتَنِى أيْتَمْتُ زَهْراً كَتَمْتُه فتعرضَ عن وُدِّ النفوس غَوانِي

تقولون: أحرارٌ ، أرى الحرّ لم يَدِن لِلَذة عيش أو خُدورِ حِسَانِ

يرَى الفكر أقياداً فما دارَ مِثْلَما أُدير على فُلْكَيْهِمَا القَمَرانِ

متى شاءَ وافىَ الموتَ يلقاهُ باسماً وإنْ لم يَشَأْ لم يُحْتَجَزْ بِمَكَانِ

ألا فاركَبُوا العُدْوَانَ والريحُ تَغْتدى على الموج فالأمواجُ شُمٌّ رِعَانِ

فإنْ صَاحَ فيكم صائحٌ : تلكَ هُدْنَةٌ فردُّوا عن الأطلالِ كُلَّ هِدَانِ

أذيقُوا عبيدَ الحَرْبِ حَرْباً وَقرِّبُوا إليها جَبَاناً عَالِقاً بِجَبَانِ

أرى السَّلم حَرْباً تَرْكَبُ الظُّلْمَ يشتهى أماناً فلا تُلْقُوا لَهُ بأمَانِ

هى الحربُ كم أعطَتْ جُزافاً ولايَدٌ بمانِعَةٍ أو حُرَّةٌ بِصِيَانِ

بها ما اشتهى من مَلَّتِ العيشَ نفسُهُ وفيها قُطُوفٌ للحياةِ دَوانِ

هىَ النفسُ والدنيا جميعا وليلتى صريعةُ صُبْحٍ باللذائذِ قَانِ

مشى الحقدُ فيها عَارِضا ألف صُورَةٍ بها النارُ ظِلٌ والحتوفُ مَجَانِ
تُثيرُ طيوراً ثاقِبات كَـأنَّمَـا لَهَـا فى النُّجُوم النَيِّرات مَغَانِى
إذا استَنفَدَتْ معنىً أهلَّت بغيره فما ثَـمَّ فى غَيْبِ المَنُون مَعَانِ
تَساوى لَدَيْها الحَىُّ والمَيْتُ لَحْظَةً وحَارتْ بِهَـا سَاعَاتُها كَثَـوَانِ
تَنَـاكَرَ فيها الناس إلاَّ مَعَـارفـاً حُسَـامُ فُـلانٍ عالقٌ بفُـلاَنِ
جُمـوعٌ إذا ما أرعشَ الليلَ مِدْفَـعٌ يُصَلُّـون آحـاداً لأَلْـف أذَانِ
إذا المِدفَعُ الرَجَّاسُ أقعَىَ لـوثبة أراحُـوا إلى واديـه كُلَّ عِنَـانِ
ويجلو وميضُ النَارِ عَنْ كُلِّ سِحْنَة رَأتْ مَـوْتَهَا عَيْناً بغـير عِيَـانِ
هى الحربُ أَلْـوانٌ من الهَوْلِ حُرَّةٌ بها الشعرُ هَتَـافٌ بكلِّ لِسَـانِ
تَشَرَّبَ منها الفَنُّ ما كانَ يَشْـتَهِـى حَيَاةَ مَـمَـاتٍ وانْفِجَارَ بَيَـان
تَرى ألْسُنَ النِّيرانِ يَلْحَسْنَ ظُلْمَـةً ويَنْقُرنَهَا والغَيْبُ لَيْسَ بِـدَانِ
وتَلوِى بها الأَرْياحُ قَسْراً فتلتَوِى عَلَى غَضَبٍ مُسْتكبر وجِـرَان
وتقذفُ أرماسٌ عِظَاماً وتَـرْتَجِى شَـوِىًّ جَبِينٍ نَاعِـم وبَنَـانِ
فموتوا لأجل الموتِ مادامَ خَالِداً بكُل مكانٍ ضائـع بـزمـانِ
إذا لمْ يكنْ منكُـمْ معينٌ بنفسه على المـوت فلتسلم يمينُ (جُوَانِ)
ظَلُوْمٌ يردُّ العدلَ بالجَهْلِ ، عِلْمُـه جَماجِـمُ تَحْتَ القَاصِفَات عَـوَانِ
أما تَشْتَهُونَ الظُّلمَ هَذِى رِكَابُـه بها العِلْمُ وضاح السَّرائرِ دَان
ألا فاهْدِمُوا هَدْماً ذريعاً فإنكـم بَنُـوا الموتِ منه للحَضَارة بَـانِ
أرى الحُبَّ حَرْباً كُلُّ نَفْسٍ بِمُنْيَة تُطَاحِنُ أُخـرَى فى نَـوًى وتَـدَانِ

* * *

تعبت وعادتني على السقم لوعة ... عليها ضلوعى الباكيات حوانِ

غنائى لم يرقص فؤادا كأنه ... صدى الغيب لم يخطر بغير جنانيِ

وحيدٌ فما أشكو ولو بت مسمعا ... حبيبا لأجدى سمعه وكفانيِ

ويابهجة النيلين حييت ! ماله ... شكوت له من وحشتى فجفانيِ

على (رِفقَةٍ) من آخر القلب زفرةٌ ... صداها بسمعى ذى المآتم وانِ

أقلب عينى فى وجوه كثيرة ... وأُعرض عن شعب إليه نمانيِ

سجينٌ وأنفاسى قيود أجرها ... على عنت من ثقلها وحِرانِ

ولو كان لى من قدرة الله خطرة ... لغيرت جنسى بل نسختُ كيانيِ

* * *

بنى وطنى لم أرض بالنيل موطنا ... حمى أجنبيا جاحداً ونفانيِ

أقام به الكهان يسقون شعبه ... عصارة يأس فى الشباب قضانيِ

* * *

و(جامعة) قد ذاق صهيونُ لحمها ... وما انتبهت مشغولة بخوانِ

تراهم على الآكال يجثون خشعا ... على مِعَدٍ منفوخة وجِفانِ

يلاعبهم وغد شريفٌ متوج ... بلؤم لدى أعراقه ودِهانِ

وآخر جرته الى الأرض بطنه ... كما انبتَّ دون العبء ظهرُ أتانِ

أولئك قومى زادنى الله حسرة ... ولا صان عمرى بائسا ووقانيِ

* * *

أأنتظر المهدى للأرض مالها ... بحمل كتاب العادلين يدانِ

فما بال أنصار الإمامة أخلفوا ... وعودهم واستمسكوا بأمانيِ

خليليَّ رُدانى إلى الحان ساكنا ... وحزنى مبحوح المآتم حانيِ

كفانىَ ذلا أن فى الشرق موطنى وفيه حيــاتى أُســعدت بهــوانِ
سخرتُ بنفسى تُدمن السعى خاسرا ولا عنتُ قلــبى للجمال شــكانىِ
دعونى فمالى موطنٌ غيرُ هبــة تكف لهــا الدنيــا عن الدورانِ
لها القمــم الطولى قــرونٌ ودرعها سحائب نــار أَزبــدت بدخــانِ
بها يبصر العميان ما كان فاتهم ويعمى – على الأبصار – كل جبان

عند جلاء الجيش البريطاني من السودان

الرَّاحِلُ

أَتَتْـــرُكُ فى النِّيلينِ مُلْكاً وترحلُ أَقِـــمْ فيه إنَّا عنه لوْ شِئْتَ نرْحَـــل
تَعَجَّلْتَ أَم تخشى صباحاً عرفتَـــهُ فأَجْفَلْتَ فِعْلَ اللصِّ والليلُ مُجْفِل
فخُذْ كُلَّ قيـــدٍ قَدْ تناسَيْتَ عَهْدَهُ وخُذْ (كُوبَراً) وانْعَمْ به حيثُ تَنْزِل
أَتذكـــرُ فى (مَيْدَانِ عَبَّاسَ) فِتيَـــةً صَبَبْتَ عليهم شُرْطةً ليس تَعْقِل
هوى سيفُـــك الباغى عليهم فأَمطروا دماً كم ســـقى سُودَانَنَا وهْوَ مُمْحِل

تَمهَّــل فما عندى حُسَامٌ أَسُــلُّــه عليكَ ولكـــن عن دَم القوم أسأَلُ

* * *

وقيلَ جلاءٌ كيف لا السيفُ ضاحكٌ ولا عاصفاتُ الوَيْلِ بالخَيْلِ تَصْهَلُ
رَجعْنا إلى الأَوطان مِنْ بعدِ غُرْبَــةٍ نَسينا عليها كيف نقضِي ونَعْـدِل
ألم تر أنا نشكر اللصُّ راحــلا ونُرضيه من أموالنا حينَ يَرْحَــلُ
بــنِي وطــنى أخلفتمُونى وعِنْدَكُم صَبَاحى وحِقْدِى سَاهِرُ الغَيْظِ أَلْيَــلُ
أضاع دم لم يوقظ الأَرضَ غيثُــه دمٌ ظامىءٌ كالدمع فى اليتم يَهْمِل

* * *

أَتَتْــركُ (غُرْدُونــاً) وحيداً بعــيرُه طويل السرى عن حتفه ليس يَقْنُمُــل
وما عــاد من صالوا على الكُفْر صولة لهم نَغَمٌ دامٍ وضَرْبٌ مُــرَتَّــلُ
بَكَى (العُمْدَةُ) الشَّاجى وأخفى دموعَه حريصاً على بَلْــواهُ والنَّاسُ عُذَّلُ
وكم جُبَّــةٍ ناحتْ عليكم ولحيــة على مِنْــبر الاسلام بالكفر تنــزلُ
تولى زمــان الحاكمين بأمرهــــم وأدبرت الأَيام والدهــر حُــوَّلُ
غنِمْتَ (معاشا) فيــه أَمْــنٌ ونعمــة ومغنَمُنَــا عجــزٌ وجَهْــلٌ مُخَبَّــلُ
جلَــوْتَ وما أَدرى أَحــقٌ ورفعةٌ ! أَم القومُ من خَلَّفْتَ ظُلْمٌ مُــوَصَّلُ؟

مِيمَــانُ

فــؤادك الفذُّ ما نجواه فى الكفنِ ... ياويــح نفســك لم ترجع إلى سكنِ
أخرى لياليــك فى قبر .. تنوح به ... أولى ليــاليــك فى الأخلاد والفطنِ
ســلوت خلف غيابات وسامرنى ... خيــالُ أَمسك محجوبا عن الزمنِ
أكانَ منــك نصيبى لمحــة عبرت ... إلى الغيوب وما قــد كان لم يكــنِ

* * *

آســى عليك - ولا دمع - فكم ذهبت ... مــرارةُ الدمــع كالصهباء بالحــزنِ
إنى لأذْكــر أَياما لنا ســلفت ... على اختلاف وما بتنا على ضَغَــنِ

نـــرى المحاسن ألوانا فإن عرضت ... عشقت حسنا ولم أعشق سوى حسنِ
والفـــن مجمــع أهـــواء مفرقـــة ... بكلِ قلب على عينيـــه مفتتنِ

* * *

تســـاءل النـاس عن شعرى وحسبهم ... أعلنت أمس وكان السر فى العلـــنِ
وقـــد صرفت عن الدنيا وما صرفت ... عـــنى المنايا فألهتنى عن الشجنِ
ألقى الطبيبَ على علم بمصرعـــه ... فكيف يَشعب صدع الروح والبـــدنِ
إذا الحياةُ جفت ربعى شكوت لـــه ... شـــكوى المشيب من الأشواق والوهنِ
إنى لأسخر من عيـــنى مُنَـــوِّرةً ... يضيئها وهـــجُ النـــوار فى الغُصُنِ
من أىِّ كرم جرى السلوان هل لعبت ... أم المنايـــا لتلقى المـــرء فى الدَّدَنِ
مضى الشباب وما أحمدت صحبته ... يجنى علىَّ بما يكسو من الجُـــنـــن
ضاعت وســـائله الكبرى وقد عصفت ... عواصف الدهـــر بالأرياح والسفنِ
فكيف أعقل والايام ذاهلـــــة ... وكيف أشـــدو ورجع الموت فى أُذنى

* * *

(مِيمَان) ! هل لـــك فى نجوى تعيد بها ... أمن الفـــؤاد بـــرأى منك مؤتمـــنِ
إنى لأذكر – والذكرى معلِّـــة – ... مقالَـــك الحلو بـــين الصحو والوسن:
فى موكب العيش ضاع الفن وابتدرت ... عُمى العيون إلى الأزهار فى الدِّمَنِ
وسوف أوثـــر لابنى الجهل يعصمه ... من الفصاحة إن الفقـــر فى اللَّسنِ
هذا مقالـــك فى نفسى جراحتـــه ... يشقى بها الصبر بين العجز والأَفَـــنِ

* * *

ما زال قومـــك فى الشحناء والاُحنِ ... كلٌ يُقَـــادُ حثيثَ الخطو فى الرسنِ

وللضمائر أسواق مشهرة ... مَنْ يعلُ كبرا على أثمانها يَهُنِ
والجهل والفقر مازالت مملَّكَةً ... على العباد وأمرُ الدين للوثنِ
فان سخطتُ فانى الآن أياسنى ... طبعُ القلوب على الأطماع والدَّخَنِ
وإن عينَى لم تنظر كما نظرت ... بالامسِ تمرح فى الوديان والقُنَنِ
وما تغير وجه الصبح بل عكست ... عيناىَ وجهى من التَّعبيسِ والغَضَنِ

* * *

أَلقاكَ فى الشعر فى كوبٍ ظَفِرْتُ به ... على صَفَاءٍ من الآلام والمحنِ
أَلقاك فى العطر فى الظلماءِ منسربا ... يَغْشى فؤادى بسر غير مُمْتَهَنِ
أَكان قلبُكَ طبلَ الحب منبجسا ... بالراقصات من الأحلام والفتنِ
أَم بات يذهل فى الأَرْمَاسِ موحشة ... كراهب الدَّيرِ ما يأْسى على وطنِ



ذِكْرىٰ

امدرمان ۱۰ر۱۰ر۵۷



قالوا نراك مُحَيَّراً فأجبتهم ... لاتعجبوا من حيرة الغُربَاء
أنفقتُ عمرىَ كاهناً فى لَيْلَةٍ ... شَمْطَاء تكتمُ سِرَّهَا عَمْيَاء
وأنا الذى رَحِمَ المفاوِزَ وارْتَجى ... غَيْثاً يُزيلُ تَحَرُّقَ الصَّحْرَاء

* * *

خَلَّفْتُ عمرا من حَياتِىَ هانئاً ... فى مَقْعَدٍ فى رَوْضَةٍ غَنَّاء
سَتَرَتْهُ أغصانٌ تبسَّمَ ظِلُّها ... بالضوء فهْو كَلَيْلَةٍ قَمْرَاء
وذكرتُ دمعىَ حينَ قُمْتُ مُوَدِّعاً ... نَفْسِى هناكَ يتيمةَ الأهواء
ورجعتُ زادِىَ فى خيالىَ صُورَةٌ ... نَادَيْتُها بِمَدَامِع خَرْسَاء

أمطارُ الجنوب

واو — ١٩٥٤



سَحَابٌ فُوَيقَ (الجُورِ) يَعْلو ويَنْهَـدُّ خِضَمٌ على الآفاقِ يَمْضِي ويَرْتَدُّ
إذا غَارَ طَـوْدٌ قَامَ طودٌ مكانَـه وأرْعَـد والآفاقُ مِنْ حَوْلِه تَعْـدُو
يُلوِّحُ مِنْهُ الأُفْقُ لَحْظاً كَما بَـدَا شِراعٌ وراءَ المـوجِ لَيْسَ لَه رَدُّ

* * *

رُكامٌ حَوى الغَبْراءَ خِدْراً .. بِظِلِّهِ تَرنَّحَ غَوْرٌ حين خَالَطَـهُ نَجْـدُ
وللشجَرِ الظَّمْآنِ لَهْفٌ أطَالَـهُ وأعلاهُ حَـتَّى كَادَ يَقْطَعُه الوَجْـدُ

حنينٌ يضمُّ الكائناتِ وَذَهْلَةٌ
هِيَ المَوْتُ يَزْهَى فِي غيابَتِه الخُلْدُ

وقد يَنْثَنِي لَمْ يَسْتِ فالكونُ أَنفُسٌ
تَساوَى لَدَيْها الفقْدُ فِي اليأسِ والوُجْدُ

وأشرفَ واستأنَى وأوْفَى وأشْرَفَتْ
له الأرضُ غَشَّاهَا عِنَاقاً فما تَبْدُو

وللأرضِ عُرْيٌ واغْتِسَالٌ وَرِعْشَةٌ
يَلِجُّ بها رِدْفٌ ويَذْكُوبِها نَهْدُ

* * *

وَرَجَّعَ صَدْرِي كُلُّ رَعْدٍ ومِسْمَعِي
أصمُّ وما أدرى أصَدْرِي أم الرَّعْدُ

فضاءٌ عليه السُّحْبُ طبلٌ مُرقِّصٌ
بوارقَ كالأَوْتارِ مَزَّقَهَا الشدُّ

وأمسكَ سَكْبُ الغَيْثِ حيناً فآذَنِي
وقد أخذ الكونُ ، الترقبُ والجهدُ

وأَجْهَلُ فِى الأكوانِ جِنْسِي وقدمَشَى
بَنَا الرُّعْبُ والمجهولُ ما إنْ به وَعْدُ

وتَطْرُقُ شِباكِي رِيَاحٌ مُلِحَّةٌ
فَهَلْ شاقَها سِتْرٌ بِدَارِيَ أَوْ مَهْدُ

يُخَضِّبُهَا بَرْقٌ مُرِشٌّ تَغُمُّهُ
قَشاعِمَ للنيرانِ أَجْنُحُها الرُّبْدُ

* * *

وراقبتُ بابي مُستجيراً بغُرْفَةٍ
مُغَلَّقَةٍ عمياءَ فى دَجْنِها سُهْدُ

رَمانِيَ فيها البَرْقُ وارتَدَّ خَطْفُهُ
وَلمَّا يَزَلْ بيْنَ العُيُونِ لَهُ وَقْدُ

بقيةُ ريشٍ من جَنَاحٍ أَكَنَّهُ
فَضَاءٌ وعنْدِى من قَوادِمِهِ رِدُّ

وصدَّعَ جُدْرانى فَلاذتْ بِظِلِّهَا
يطيرُ وهَلْ أنجُو وقَدْ أجْفل الصَّلْدُ

ومن حُجْرَتِي أُفْقٌ جَفُولٌ مُحطَّمٌ
ولاحتْ ثِيابِي قَاصِياتٍ ولا بُعْدُ

وسبَّحتُ باسمِ اللهِ خَوْفاً ولم أَكُنْ
تَقِياً وفِي نَفْسِي الدَّعارةُ والجَحْدُ

ولاحَ نَجَاةٌ فى خَيَالِي مُمَهَّدٌ
وهيهاتَ جِسْمِي دُونَ لأحِبه سَدُّ

وأُغمِضُ أجفاني وإنِّي لَمُبْصِرٌ
سَمَاءً تَضُمُّ الأرضَ أيْبَسَها الوَجْدُ

فيا ويحَ شيخٍ بالسموات مُؤْمِنٍ ... كَشَنٍّ يبيسٍ من وَدَائعه الزُّهْدُ

أَشَمُّ نُبَاحاً من فَتَاةٍ سَجينةٍ ... يُحَجِّبُها خوفُ الغِوايةِ لاالرُّشْدُ

وكَمْ مِنْ شُفُوفٍ داعياتٍ حجابُها ... يُضَاجِعُها حتَّى يرثَّ لَـهُ الغِمْدُ

مَشَى السَّيْلُ فيها من شَبَابٍ وشَهْوَةٍ ... وذَابَ التُّقَى والخَوفُ وانْحَطَمَ السُّدُّ

وأَصبحتُ فالغبراءُ حولى مَنَاسِجٌ ... مُلَوَّنةٌ والبردُ يتبعه بُـردُ

لقد كان سِرا بين قَطْرٍ وتربةٍ ... بها كِيمِيَاءُ الخَلْقِ تَبْدُو ولاتَبْدُو

وللتُّربِ نومٌ بعد رِيٍّ ونشوةٍ ... رؤَاها الندى والعشبُ فاح به الرغدُ

وهامَ فراشٌ ؛ وَهْو زَهْرٌ مجنَّحٌ ؛ ... بِزَهْرٍ لدى أَحشائه يَغْنِجُ الشُّهْدُ

وللطيرِ إنشادٌ وفى كلِّ بَيْضَةٍ ... وعودُ حياة ما يخيبُ لها عَهْدُ

وأَتلع ظَبْىٌ جيدَه وهو أَعْيَنٌ ... يرى نفسه فى الماءِ شَارَبَه القِرْدُ

غرامٌ بهذا البَعْثِ يَجْلو صفاؤه ... طبائعنَا فالضدُّ يَعْشَقُه الضِّدُّ

إذا اختلفتْ فيها الصفاتُ فإنها ... يُوَحِّدُها دينُ الطبيعةِ والرُّشْدُ

وحسنٌ وليس القبحُ شَيْئاً وإنما ... يَرى القبحَ قلبٌ ليس فى خَفْقِه وُدُّ

بقاءٌ فما شىءٌ مواتٌ وإنما ... صَدى ذِكرياتٍ ما يغيض له مَدُّ

وكم حَبَّةٍ فيها صباحٌ مُلَوَّنٌ ... وشمسُ الضحى فيما تُكِن لها وَقْدُ

وفى صمتها ظِلٌّ رَخِيٌّ وأَغصُنٌ ... وعِطْرٌ ونَهْدٌ فى الكمائم أَو خَدُّ

يقولون أُخرى وهى فى سِتْرِ لَيْلَةٍ ... تُزَفُّ لصُبْحٍ ما المَنَايا بِه تَحْدُو

* * *

غبطتُ العرايا أطرقوا تحتَ وابِلٍ ... خُشوعا لآيات (الكُجُورِ) لَهُمْ سَرْدُ

يَصِيدُ لَهُمْ من كُلِّ أُفْقٍ سَحَابَةً ... وإن شَاءَ لم يُمْطِرْهُمُ ولهُ المَجْدُ

هم الأرضُ تَسْعى بين وحْشٍ وغابَةٍ ... وهُم لَبَدُوا فى الغيثِ أحجارُها المُرْدُ
وما خفتَتْ أصواتُهم فى رِحابها ... تطلّقَ ماءُ النيل ما حاشَهُ سَدُّ
وما عَبدُوا عَقْلاً ظلوماً وإنما ... هو القلبُ فى أهوائه الحَلُّ والعَقْدُ
ويُدفَنُ شيخُ الحَىِّ حَيّاً وسَرّهُ ... بَنُوهُ لَهُمْ فخرٌ بما أجْملوا عِدُّ
لدى حُنْجُرةٍ فى الأرضِ والموتُ صاحبٌ ... يعاقِرهُ الخمرَ المريسةَ واللحدُ
ومن فَوْقِه طبلٌ صخوبٌ ورقْصَةٌ ... تَطوفُ به منها التحيَّةُ والْوُدُّ

* * *

إذا رَهِبَ الدّيان قومٌ فإنهُم ... لهم بينهم من وحيِ أهوائهم بُدُّ
قريب له جهرٌ فما بات خافيا ... ويُعْرَفُ منه النَّحْسُ فى الحيِّ والسَّعْدُ
وفى كل قُرْبَانٍ سلامٌ وَخشيَةٌ ... يَهونُ بها بُؤْسُ المعيشَةِ والجهد
وأوقدُ مصباحى سَجِيناً ونارُهم ... تُراقصها الاشباحُ إن تَمْتَمَ الزَّنْدُ
يدقونَهُ ليلا فيرْنُو شرارُه ... كَلِيلاً كما تلقى السَّنَى أعينٌ رُمْدُ
يُغَنِّى بعوضٌ فى سَنَاها ويلتقى ... كما دارَ حول البيت فى مكة حَشْدُ
تراهَا ظباءٌ من بَعيدٍ فَتَنْتَجِى ... وَيَصْقَلُ فى إشْعَاعِهَا نَابَهُ الفَهْدُ
يُكشِّرُ لَمْ يَلْعَقْ دِمَاءً دَفيئَةً ... هُنَاكَ فحولَ النَّارِ أخصامُه اللُّدُّ
يعايشهم رُمْحٌ هو القَرْنُ ماضياً ... إذا عَرْبَدَ الجامُوسُ أو فَجَرَ الوَرْدُ
فإن شَبعوا آبوا لخمر ورقصةٍ ... يسيلُ بها مِنْ كُلِّ جانِحَةٍ رِفْدُ
كأنَّ يَداً جالتْ عليهم خَفِيَّةً ... فَذَابَ لها خَصْرٌ ونَدَّ لها نَهْدُ
وطبلٍ نخيبٍ فوقَ عُودٍ مُعلَّقٍ ... كطفل من التُّكْرُورِ ليسَ لَهُ مَهْدُ

تَدُقُّ به الأَيدى ويصغى خِلاجُها ... إلى طرب فى كل جانحة يعدو
وكلَّتْ أياديهم فأَصْغَى رنينُه ... إلى تَعَبِ اللَّذاتِ رَنَّحها السُّهْدُ
ونامَ الدُّجى سكْرانَ والفجرُ دونَه ... بِسَمْعَيْهِ تقريبُ النَّواقِيسِ والشَّدُّ
وندَّتْ من الغابِ الجنُوبى صَيْحَةٌ ... وَسال دمٌ نامتْ على دِفْئِه الأُسْدُ
وباحَ العذارى كلُّ كِمٍّ مُفَتَّقٍ ... سعيدٌ فلا عارٌ يَصيحُ ولاحَدُّ
ويَحْضِنُ وجهى ساعِداى فعانِقى ... يُلاحِقُه سوْطُ المقاديرِ والقِدُّ
غريبٌ وأهلى بالكُوَيْبِ فَتَاقِبِ ... إلى دَامَرِ المجذوبِ أَضْمَرَها البُعْدُ
تُصَلِّى وتَمْحُو لَوْحَها كُلَّ سُحْرَةٍ ... وقَدْ سَبَّح الأَشياخُ واعْتَمَلَ الوِرْدُ
بكيتُ عليها حين غَنَّت بشعرها ... وغَرَّدَ حَوْلَ الشَّيخِ حِيرَانُه الرُّبْدُ
طَمِعْتُ أرى فى الشِّعْرِ مَجْداً وَفَاتنى ... ومِنْ عِلْمِها أن الخُمولَ هُوَ المَجْدُ
وأَجمعُ من حَوْلى غِطائى وَلَمْ أَنَمْ ... وقلبىَ فى أغوارِه الشَّكُّ والحِقْدُ
عَرَايَا وقد نَامُوا على الأَرضِ نَوْمَةً ... كما نَامَ فى أقدارِد الحَجَرُ الصَّلْدُ
سَوادُهم أَمنٌ رحيبٌ ولَيْلَةٌ ... بها النَّوْمُ خُلْدٌ ليس يَعْرِفُه الخُلْدُ
كتابوتِ رمسيسٍ على العينِ فِتْنَةٌ ... لَدى حُلْمِ فِرْعَوْنُ قَاطِنُه الفَرْدُ
وأَجسامُهم كالأرضِ خِصْباً وأنها ... سَوَاءٌ من الأَغصانِ أفرُعُها المُلْدُ
وما فِى صَلاتِى غيرُ قَيْدٍ وعُرْيُهم ... هو الدِّينُ فيه الأَمْنُ والرِّىُّ والحَمْدُ
يُبيحون أجساماً كِراماً رَوِيَّةً ... وليسَ بهم عَاصٍ ولَيْسَ بِهِمْ وَغْدُ
يقُولونَ عِبْدَانٌ وهَيْهَاتَ قولُهم ... من الصِّدْقِ فالمحرومُ عِنْدِى هُوَ العَبْدُ
يُلَوِّنُ أثواباً مشى فى رِيَانها ... ومَنْ ثَوْبِه بُرْدٌ ومِنْ نَفْسِه بُرْدُ

فويح فُلانٍ بيــنَ ثَــوْبٍ ولحيــةٍ بِقَبْــرين يســعَى من شَرائعه الوَأْدُ
إذا ماتَ لــم تعْرِفْــهُ أرضٌ فجسمهُ غريبٌ عليها لا غمــامٌ ولاحَصْــدُ

* * *

وفارقتُ أهلى أطلبُ الرزقَ جاهِــدا ولا رزقَ لى إلا الخَصاصَةُ والجهــد
أجِــيرٌ وأجرى قَضْمَةُ الثَّــورمالَــهُ سواها ولا غَيْــظٌ شفاه ولا حَــرْدُ
فهل عَلِمَ البرقُ الجنوبىُّ أنــنــى أُســائل نهرَ (الجُورِ) حَظِّى ولارَدْ
فَلَــمْ يَكْسُ جِسْمى غَابهُ حال بَيْننا نَواميسُ فيها العُزّى داهيــةٌ إدُّ
وأنكر وجهى وهو كالنِّيل سُــمرةً إذا هَجــم النيلانِ واعْتَكَر المَــدُّ
على أن نَفْسِى غابةٌ مثلُ غَابِــهِ لَها فَتكةٌ يعيَــا بها الأُسد الوَرْدُ
عبُوسٌ بوجهى خَالَــهُ النَّاسُ نَفْرَةً ولكنَّــه جَــرْعُ المصائب والكَــدُّ
فمن لى بهذا (الجُورِ) والعُجْمُ أهلُه بأنىَ منهــم لاخَشَــاةٌ ولا قَصْــدُ
أُعايشُ ثَــوْراً فيه زَيْنٌ ومَفْخَــرٌ لَنَــا إنْ ظَمِئْنا كلُّ بَارقةٍ وِرْدُ
وأرحلُ ثَوْبى ظلٌّ غاب فإن أنــمْ فَأُذْنِىَ عيــنٌ ما مَنَا مِى لَها حَــدُّ
غَــنِــىٌ عن الدنيا جميعا وإن أكــن فقيــراً فلاسِبْدٌ لَدىَّ ولا لِبْــدُ
فمن لى بهذا (الجُورِ) أَنسى بظلــه لِسَــانى وبمَــا أَسْدى شُيوخى وماعَدُّوا
تُراثِىَ أَصــدافٌ وريشٌ ونَخْلَــةٌ أُعانِقُها والغابُ من حولنا يَشْــدو
عَــرُوبٌ ولمْ تَعْرِفْ قِناعاً سوى الهَوى وتَنْفَحُ بالنَّجْوىَ كما يَنْفَحُ الوَرْدُ
أُحِبٌّ ولم أظفرْ بحب وَرَاحَــةٍ وهيهــاتَ أمنى بَعْدَ أن بَخلَتْ هِنْدُ
وأُحْصِنُ جلــدى لا عَفَافاً وإنما لِعِلْمِىَ بالأَنْــدَاءِ ما إنْ لَها عَهْــدُ

نَجَاة

بورتسودان مساء ٣ر٨ر١٩٥٢



غَوَّرَ فى أَنفه الأَبىِّ شَمَمْ ... وانْدَكَّ من كِبْرِه العتيق علَمْ

أَرَّقَهُ ما أَباح من حُرمٍ ... ودينُه مُذْ وعَى الحياةَ حُرَمْ

أَراحَهُ أَنَّه استفاق فلاخَوْ ... فٌ دعا أَو تَرقُّبٌ ونَدَمْ

تعبَّد النفس والحياةَ كما ... يريدها القلبُ فالضميرُ صَنَمْ

مُجَلَّلٌ بالجلالِ روَّعنى ... عتابهُ من ملالةٍ وسَئَمْ

مَـرَّت عليه القـرونُ مبتـــدرا رُؤَاهُ بـين الظُّنُـونِ رَهْنُ حَـرَمْ
ولم أَتُبْ وارتجعتُ ســالفَ لــذَّا تى فَتَـوْبِي عن الذنوب وَهَــمْ
والكأسُ فى إِثْـرهـا مُبَشِّــرةٌ بغـيرها والكُـرومُ فيه كَـرَمْ
وأَتَّــقَ الليــلُ ظلَّــه بمصابيـ ـحَ جلالُ الدجى لَهُنَّ بَسَــمْ
وحثَّنى الشوقُ أوَّلَ النَّشْوةِ الأُو لىَ وحيَّـــا بِمِسْمَعَىَّ نَغَـــمْ
حتى تهاوَيْتُ فانصرفتُ عن الشو ق الذى ضَلَّ والخُمَارُ عـــدم

* * *

وأَشـرق الصبحُ ليس يعـرفـنى خَلْقـاً جـديداً بنـاظـرىَّ سأَمْ
لم أَلْقَــهُ بالصَّــلاةِ خاشِعــةً فأَجفــلَ الصبــحُ والشباب ظُلَمْ

* * *

أنا ابــنُ دهـر بكفِّــه يلمع الفيـ ـصَلُ فى حـدِّه السـفيهِ حَكَـمْ
وَرَبُّــه المِــدْفَــع المصورُ له النــا سُ عبيــدٌ كما اشتهى وخَـدَمْ
مُضَيَّــعٌ كُلُّ مَنْ أَراحَ إِلى السَّـلـ ـمِ فلا ذِمَّــةٌ لــه وَعِصَــــمْ
مذابحٌ دهــرىَ السفوحُ بها الأَخـ ـلاقُ صرعاد والعفــافُ وضَــمْ

* * *

خِـدعٌ كلُّها الحياةُ وضِحْكُ المَا سِ بالنُّـورِ من هَبـاءِ فَحَــمْ
تسْـخَرُ من كلِّ طامع نَسِىَ الْمَـوْ تَ وفى قلبِـه الفَنَـاءُ جَثَــمْ
ولستُ أَدرى سوى اللذائذِ بالحســ ـسِّ وهــل غيرُها تَصِحُّ قِسَــمْ.

الى الله

الدامر – نوفمبر ١٩٤٦



« من المنبر فى مسجد رِفَاعة انبعثت الصيحة ، وخرج المســلمون – كالمسلمين الاوائل – فى لحظة إلهيــه ينــدفعــون إلى الكافر ، ولقيهم هذا خلف صف من العســاكر . . وانطلق الرصاص وتقدم الرجال يمشون على خُطى محمــود »



ربِّ منــكَ الرجاءُ والحق والعدْلُ ومنــك الهدى ومنــك اليقــينُ

رب آمنت بالقضاء وبالصبرِ	وإن جُنَّ قلبىَ المُسْتَكِينُ
رَبِّ آمنتُ بالسلام ولكنَّ	دواعى الحياة حربٌ زَبُونُ
رَبِّ هذى رِفاعةٌ بك لم تَكْفُرْ	لقد مسَّها عذابٌ وَهُونُ
المَشيبُ الوقورُ فيها ذليلٌ	والشبابُ الغَيُورُ فيها سَجِينُ

* * *

رَقَدَتْ أمْسِ فى حنانِك ياربِّ	ونامت كما اشتهينَ العيون
هل سَرَي فى الكرى لها القَدَرُ	الفاجعُ تَخْفَى سِهَامه وتَبِينُ
وأتاها الصباحُ يكتمُ أمْراً	وَهْىَ عن غيبِ أمره تَسْتَبِينُ
لم يعوِّدْ صفاءَها الصدَّ والهجرَ	ولاطُهْرُها عليه يَهُونُ
ماتُراها جَنَتْ ! فللجُنْدِ غارَاتٌ	عليها وللرصاصِ طَنِينُ
شُهُبٌ فى الدموع والدَّمِ يهْوِينَ	صَدَاهُنَّ فى الرِّياح أَنِينُ
أهِيَ الحربُ ماتميز شيخا	من وليد وهل تَعِفُّ المَنُونُ

* * *

رَبِّ هذى رِفَاعَةٌ رجعُها النَّادِبُ	لَحْنٌ تناقَلَتْهُ الوُكُونُ
تَتَهاوى إلى التراب وهل فيه ملاذٌ	من الرَّدَى أوْ مُعِينُ
لَمَعَتْ فى الدماء كالشفقِ المَخْضُوب	تنحَازُ عن لظاه الدُّجُونُ
هِيَ (جَانْ دَرْكُ) فى ستار من النار	تجلى لها الخلودُ الأَمينُ
خَلَصَتْ روحُها وما تفعلُ النيران	والروحُ جوهرٌ لايَدِينُ
سِلَمَتْ (رُومَةٌ) البدائع ما(نَيْرُونُ)	تَفْنى على يَدَيْهِ الفُنُونُ

* * *

أَو مِنْ (دَنْشُوَاى) زَارَكِ طَيْفٌ   دموِىٌ تَشِفُّ عنه السُّنُونُ
جَمْرَةٌ ماتزالُ تُحْرِقُ صَدْرَ الليلِ   نَاحَتْ على مَداهُ القُرُونُ

* * *

رَبِّ رُحْمَاكَ ! هَلْ رِفَاعَةَ إلاالحقُّ   لا تَرْتقِى إليه الظُّنُونُ
هِىَ فيما علمتَ صبرٌ جميلٌ   وحياءٌ كما شَرَعْتَ ودِينُ
ونفوسٌ إباؤهن عريقٌ   ووجوهٌ جمالُهُنَّ مَصُونُ
بَرِئَتْ فَهْىَ تجهل الشَرَّ كالطِّفْلِ   سَلامٌ جمالُه والفُتُونُ
ما نَوتْ أيُّها العليمُ سِوىالخَيْرِ   ولكنَّه الزمانُ الأَفِينُ
ربِّ رحماك ! قد تكَنَّفَها الرُّعْبُ   وأَفضت إلى الخُدورِ العُيُونُ
داسَها كافِرٌ تحدَّاكَ والقوة   بَطْشٌ وشَهْوَةٌ بل جُنُونُ
ما كذا تُحْكَمُ الشعوبُ على الأَرض   ويُرْعَى السلام وهو جنين
كيف يُرْعَى السلامُ والأَرْضُ (برْلِينٌ)   قتالٌ جِمَاحُها والرُّكُونُ

* * *

رَبِّ رُحماك للشرور ظِلالٌ   سابغاتٌ على العقول تَرِينُ
أَينَ من عادة الخِفَاضِ جَنُوبٌ   ذَاهِلٌ فى الحياة ليس يُبِينُ
شعٌ فى صدره صليبٌ وفى القلبِ   ظلامٌ وحيرةٌ وشُجُونُ
أَلقِسٌّ الجنوب دينٌ هو الفتنةُ   فيه ولابن مَرْيَمَ دِينُ !
من تُرانى أُحَرِّكُ اليومَ   والسودانُ فوضى وفُرْقَةٌ وفُتُونُ
جمَدَتْ مُقْلَتَاىَ من فِتَنِ الأَحزابِ   كُلٌّ بأَجنَبِىٍّ يَدِينُ

رَبِّ رُحماك ! ذى رِفَاعَةُ شَجْوٌ أَبَدِى بكاؤه والحنــــونُ
حسَرتْ من قِنَاعِهَا لَـمْ يُعِنْهَا الـ ـحَارُ والجارُ عاجزٌ أو أفِينُ
وطنٌ ذَلَّ فهو إن ثار فالثورةُ جوعٌ تثورُ منه البطونُ
كلُّ فردٍ بشهوة هى فى عينيه تَسْعَى وما سِوَاها عيُونُ
رَبِّ رحماك هل رِفَاعةُ والسُّودانُ ضِدَّان فالقريب شَطُونُ
عِشْتُ حتى رأيتُ كيف يضيعُ الحبُّ أو ينكرُ الخدين الخدِينُ
هِىَ أدَّتْ عن شعبها الدَّيْنَ يارب وللحقِّ فى الشعوب ديونُ
رَفَعتْ طرفَها إلى الله والأدْمُعُ فى خَدِّهَا رجَاءٌ حزين
ليسَ تَشْكو إلى سوادٌ لقد أعرضَ سُودَانُها وقل المُعين
أين محمودُها الذى دفعَ الضيمَ أَلمُقَيَّدِ فى يديه رَنِينُ
عَرَبِىٌّ يثورُ للعِرْضِ والدِّين ولكنه الغداةَ سجينُ
طَاهِرُ القولِ والسَّريرة والكَفِّ لـهُ الخَسْفُ والعذاب المُهِينُ
رَبِّ رحماك إنه فعل الخيرَ ولكنه وحيدٌ غبينُ

* * *

وطنى همهم الحسامُ لدى الغِمْدِ لـه فَتْكَةٌ وفيه جُنُونُ
وطنى عانِق المنيةَ دون الحق والبعثُ بالمنونِ رهين
وارْفَع البيرقَ الذى يكنِف الأرضَ كما يرعد السحابُ الهتون
إنما النيل حقنا من يد الله وميثاقُنا الكتابُ المُبين
والبحيراتُ فى الجنوب إلى العتمور فالشرقُ سَهْلُه والحُزُونْ
قِسْمَةُ الله لايشاركنا فيها دَخيلٌ ولا دَعِىٌّ خئونُ

وطنى آنَ أنْ تضيقَ فركْن الظلم هَــاوٍ على ثَـــراكَ دفــيــن
وَهْىَ خمسونَ قــد شربنا بها الحقدَ زُعــاقــاً وطــالَ فيه السُّــكــونُ
إنما الصبر قُمْقُــمٌ فيــه للجِنَّــةِ جِـــنٌ وللمنـــون مَنُـــونُ
ياخديني الذى يُحَجِّبه الســجنُ وللشــوق إنْ حُجِبْتَ عُــيُــونُ
أنا ألقــاك فى ضميرى وفى البيْعةِ يَلْقَــى بها الالَــهَ اليمــينُ
أنا ألقــاك فى الجهاد الذى يَعْذُبُ فيــه الــرَّدى ويَسْــلُو الحــزينُ

كِبْرِيـــاء

بورتسودان ١٩٥٠



شكوايَ بالأمس هل جاءتكِ يائسةً ظمأى النُواحِ براها الأينُ والتَّعبُ
جازتْ إليك رمال البيدِ فاحترقَتْ والشوقُ يدفَع حرَّاها ويرتَقِبُ
واحسرتاه على شوقٍ أعذبه كما يُعَذَّب فى أكوابه الحَبَبُ
يَنزُو ويهبطُ مغْلوُلا يفورُ بِهِ غَيظُ السجين على الأغلالِ يَنْتَحبُ
مَاذَا فعلتِ بأنفاسى مُدَفَّعةً إليكِ دَمْعِيَ فى أعقابها يَجِبُ
كجمرةٍ برماد وهْىَ تَضرَحُهُ يَطْغَى عليها وما فى بَرْدِهِ لَهَبُ

* * *

ياليت شعرىَ هَلْ وافتْك ظَامئةً ام لفها القَفرُ لم تَسْمَع بِهِ السُّحُبُ

شكواىَ رجعُ غديرٍ والهٍ أبدا حَوْلَ الجَلامِدِ تُغْضِي وهْوَ يَنْتَحِبُ
فيم اعتصارىَ أجفانى لقد خَفِيتْ عَنِّى الدموعُ وراءَ الروح تَضْطربُ
اشتاقُ أنىَ فى الفُسْطاطِ فى نفَرٍ ضَنُّوا علينا فما أشكَوْا ولا عَتَبُوا

* * *

يامن كشفتُ لهُ نفسى أَضِنُّ بها على سِواه ومالى غيرُها نَشَبُ
لَقَدْ أَشحْتَ فنفسِي يَستَطِيرُ بها كُفْرُ المقرِّبِ لَمَّا ضَاعَتِ القُرَبُ
فليهن عطفك من تَهْوىَ مودَّتَه وفىٌّ عنك - وما أَلفْتَنِي - رَغَبُ
إنى لأُنزلُ أحلامى على شَرَفٍ من الحقيقةِ لا يَعْتَادُه الكَذِبُ
نفْسِي الوحيدةُ لَوْ كَرَّمْتُ عُزْلَتَهَا لَمَا تَنمَّرَ فى أَضلاعىَ الغضَبُ
ولو قنعتُ بأَحزانى لجانبنى وجْهُ الندَامَة كم تَشْقَى به الرُّغَبُ
جُرْحٌ جديد على جرح بكيتُ لَهُ ما هَزَّ قلبىَ قد أودى به العطَبُ
نسيتُ حُزْنِىَ والأَشجَانُ وافِيَةٌ فكيفَ أَقْطَعُ حزنى ليسَ يَنْقَضِبُ
مَالِى وللنَّاس مفتونا بمظهرهم كالخمر صافيه بالأَهوال يَصْطَخِبُ
أَنا السجينُ وكم حاولتُ من هَرَبٍ لَوْ كانَ أجدى على أَيَّامِىَ الهَرَبُ
عشرين عاما وعشراً بتُّ أحمِلُها عِبْئاً يهونُ عليه الفَقْرُ والحَرَبُ
لقد نأَيتُ عن الدنيا وما ارْتحلَتْ عَنِّى وبيْتِىَ من أبياتِها كَثَبُ
نهرتُ بابى مَشْغُولا بطارقه من طُول شَوْقٍ إلى زُوَّارِهِ يَجِبُ
ولو قَدَرْتُ منعتُ الشمس فَاجِرةً مِن ظِلٍّ بيتىَ فى الأَضَواءِ يَنْسحِبُ
قلبى تَمرَّسَ بالدُّنيا فأَيْبَسَه سَمُومها وجفاهُ الحُبُّ واللَّعِبُ

هَزيمه

بورتسودان – مايو ١٩٥٢



على مقعد فى شاطىءِ البحر مُفرَدِ ... أُبدد نفسى فى الخرير المبدَّد

يُجنح آهاتى باصداءِ نوحه ... فيطلقُ روحى من شجاى المُعقَّدِ

فأَنسىَ وفى روحى شجونٌ أَجوزها ... مقابِر من قُعْسٍ مِلاءِ وهُمَّدِ

وأُرسلُ فى الآفاق عينا غريبه ... تقلبنى فى مشهد غيرِ مشهدى

وقد أَهب الافاق نفسى وأَنثنى ... بأخرى ..متى تُصبِحْ على الأَرض تفسُدِ

* * *

وأَعجب هذا الموج حُرٌّ فماله ... على شطه يبكى بكاءَ المصفَّدِ

يريد نجاةً دونها كلُّ صخرةٍ تُدافِعُه عنها بصدر مُخدَّدِ
تَحوَّى به الأَرياحُ ولهى غريبةً أتسأَلُ عن أوطانها غير مُهْتَدِ
وأجهش رعَّاش الحوانى فهل رأى يد الغيب تنْفى الشمس عن كُلِّ مرْقَدِ
فأين نجاتى من حياتى ألفتها وتدفعُ بى دفْع الغريب المُطَرَّدِ
وأمضى ويبقى الفجرُ نعسان ساحرا يعُلُّ ثماراً من نِيام وسُهَّدِ
ولو كنتُ للتقوى خديناً مع الصبا سلِمْتُ بسَلْم فى رضاءٍ مُقيد

* * *

أضعت شبابى كلَّه غير حسرةٍ كحُرْقة ثكلى دمعها غيرُ مُسعِد
وكنتُ أُغنى والليالى فواجِرٌ أطرْن الخُطَا مِنْ دُفٍّ سكْران منْشِدِ
وأعْصِرُ خمرا من نُجومٍ تألقت عناقِد فِى دن من الليل أَرْبَد
أُقبل أصناما وأبكى وربما خلوتُ ببدر فى دُجاهُ المُشيَّدِ
ويارب نجمٍ بتُّ أَسقى شُعاعه ونضرته نعماء خد مُوَرَّد
بعيدٌ على عينى نَدىٌّ بخاطرى ولم يشْفِنى وصلُ الجمالِ المجرَّدِ
وهل نافعى نجمٌ قصى وأعينى تُغالط يأسا طامسا كلَّ فرقَدِ
شقِيتُ بأرضى فى سماءٍ مُنيرة تلوحُ وتخفى بين أهدابِ أغْيَدِ
وأُغضى على سكر ونجوى خواطرى تضيعُ بأفق رهْن كوبى مُمدَّد
وما كنت أدرى غير أنى وجدتُنى أروح إلى حتف حريص وأغتدى
وخَوفنى ما كنتُ ألقى من الردى فأَبلستُ بين اليوم والأَمس والغد
وزهدنى عجزى وقلبى فَراشَةٌ أغيِّر من أَلوانها بالتزهد

فيا لهفتـا للغيـم.. والبيدُ ترتجي نـواهُ أتنسى في عفـاءٍ مُخلـد
وجـدت الرزايا وافـراتٍ لمهْجَـة مُعدَّدةٍ مثـل الرجاء المعـدَّدِ
خطوب على دين البغايا عوانسٌ لدى الليـلِ ألقاهن في غيرِ موعد
يسائلن قلـبي وهو في الروع ذاهلٌ ويلوين قلـبي عن طِلابي ومقصدي
وكيف أرد القلب قـد ذاب دمعـةً تضيع وقـد لاذت بأحناءِ مرقـد

* * *

وقال صِحابي ، حين أنكرتُ عيشهم تعـزل ما يشتاق شربا فينتـدي
أبعـدَ تجاريب قِباح وحسـرة أعـود إلى حـان الشقاءِ المعـربد
وفي مِعصمي والساقِ حَـزٌ مُشهَّرٌ يخلِّدُ أقيـادي نفت كلَّ مِبْرَدِ
أبعـد شبابي أعرف الرجس ليتـني علمتُ فما نجَّستُ عيـني ولا يدي
هـم الناسُ لا كانوا ولا كنتُ أنهم بنـو الشر من هاد مضل ومفسد
أرى الكرم في نُوَّارِد وهـو راضِـعٌ هو الكـرمُ في دَنٍّ بَطِينٍ مُعبَّـدِ
وفي كل تقوى – لو تأملتَ – جِيفَةٌ تَهيـجُ ذئاباً عاوياتٍ بمعْبـد
وربَّ صلاة لـم تكن غير شَهْوة مُسخـرةٌ لذَّاتُهـا في التهجُّـد
فمن مبلغ جِـنَّ ابنَ داوود أنـه قضى وادعت مِنْسَاتهُ ملكَ أصيـدِ

* * *

وهبتُ شبابي للغواياتِ جهـرة ولم أخف عن ربي كؤوس وموردي
وفي جبهـتي وشْمٌ ولم أخف لونه ورحتُ به من دون ثَوْبيَّ أرتـدي
دُخـانٌ بأعراقي وجلدي أراقَـهُ دوائرُ ضَمَّتْ كـل سـهم مسدَّدِ
حَملْتُ صليبا من سَقَامي رأمتُـه وعـدتُ بأوزاري إلى بـاب مسجدِ

تَعجَّبَ إذ شـارفتهُ وهو مُعْـرِضٌ ... يلوحُ على أوضاحه عطفُ مُنْجِـدِ
توسَّمنى حينا لقـد كنت طفلـه ... يعـوذنى مـن سَـاحرين وحُسَّـدِ
وأمسيتُ فى المحراب دَمْعى مُغابِرٌ ... لدمعىَ أيَّـامَ الصبا والتمـرد
أُطهر جسمى أسأَلُ الله رحمـةً ... لقلب بأَوضار الأَمانى مجسَّـدِ
ولأَعَنْتُ ذنـبى وهو ذنبٌ منافق ... متى ما رآنى نَـادِم النفس يَسْجُد
وأَصبحت فى أَعماق روحى مـرارةٌ ... لها زَبَـدٌ إنْ تصبرِ النفسُ يَخْمَدِ
ولم ينس حقدى..رُبَّ كوب كظمتهُ ... كحنظلةٍ حتى حـلا بالتَعـوُّدِ
أَرى الحقد ثأْراً عاجزا ليس يشتفى ... ومن ذاقَ لُـؤْمَ الناس والجهلَ يحقدِ
فلاتسأَلوا عنى تعزَّلتُ بعد ما ... تيقنتُ أَن الامن رَهْنٌ بأَوحـد
يرى نفسه ـ لاغيرها ـ وهى قَطْرَةٌ ... يُضىءُ سـراها بين أَحناء جلمـدِ
وراهب دَيْـر فى فلاة عميَّـةٍ ... مُشرَّدةٍ خلف السراب المشـرَّدِ
توحد فيها آمنـا فى سـكينةٍ ... وشـمعتُه مثل الكنَـارِ المُغَرِّدِ
تُحرِّكها الأَنسامُ وَهْناً فتزدهى ... كعاريةٍ بالنـور والظلِّ تَـرْتَـدِى
وتوقظ شَعْـراً مُسـتنيما بهـزَّةٍ ... فينثُـر ظَـلاً مَسَّه لَمْـحُ عسجد
فيا لهـفَ من ناجى خيـالاً وضمَّه ... وما ضم فى جنبيـه غير التنهُّـد
كذلـك صاغتنى الليـالى نُجومُها ... مَسامِيرُ فى باب على الغيب مُؤْصَدِ
وفارقتُ لذاتى وخلَّفْتُ باطلى ... مـع الصبح يدعو للخنا كلَّ مرقـد
أَراه وليـدَ الفجر يحبو وشمسُهُ ... إذا غَرَبَتْ كالذَّابِ فى فـم أَدْرَدِ
ولست أُخاف الموتَ جاوزتُ ليلـه ... بَظَهْـرِ جدودى فوَّزوا قبلَ مولدى
وإنِّى أَخافُ الناس..فى كل سِحْنةٍ ... بريـقٌ جـلاها كالحسام المجـرَّدِ

عتاب إلى الأنصار

١٩٦٤



سَلامٌ على المهدىِّ فى الدهر خَالِداً — وإنْ باتَ لَمْ نسمع لهُ بَنَصيرِ
عتابٌ إلى الأَنصار ما كانَ سيفهُ — يُخَضَّبُ الا من دِماءِ كَفُورِ
فما بَالهم صالوا على كلِّ مُؤمِنٍ — بأَوطانه فى النائباتِ صَبُورِ
شَرِيفٌ له رأىٌ شريفٌ ولم يَكنْ — علَى رأْيِهم يُبْدُونَه بأَمِيرِ

سَلوى

الكَراكْسَة – أغسطس ١٩٤٩



زَالَ عهـدُ الشبابِ والحبُّ زَالاَ ، أَو تَخَشَّى ! لَقد أمنتَ الزَّوالاَ
حيثُ لا تَشتَهِي حَبِيبا إذا طَالَ نَوَاهُ ولا تبُالِي اعتِزَالاَ
نسِيَتْ حُبَّكَ الخمائلُ سَلاَّهَا فُؤَادٌ سوى فؤادِكَ مَالاَ
وأنا الآن يابسٌ تُعجِزُ الصبحَ رُفاتِي وإنْ دعا وأطَالاَ
مُسْتَغِيثٌ بمدمَعِي ، قَدْ أَضلَّتْهُ جُفونى أَفِي ظُنُونِي سالاَ
مَأتمى ظَامِئٌ ، أأَسْقِيه أَضلاعِيَ بالوَجْدِ يَشْتَعِلْن اشْتِعَالا
أَضْلُعى كالفَلاَةِ ، فِي السُّعُرِ الضَّحْيَانِ قدْ ترتجى فَلاَةٌ بَلاَلا

أكلت نَبْتَهـــا وأخلفَهَـــا الغيثُ ولامتْ بها الرِّمـــالُ الرِّمـــالاَ
وترامتْ على السَّـرَابِ لِتَسْـتَجْدِيه رِيًّـا وهَـلْ تَمنَّـتْ مُحَـالا
سَـكِرتْ من عَـذَابِهَـا فتظنتْـهُ بَـرُودا على يَدَيْـهَـا زُلاَلاَ
وَيْـحَ هذا الـوَرى من العَجْـزِ ، كم يحتـالُ حتى يَـرُدَّ مِنهُ احتيالا
وأرى شَـهْوَةَ الكَمَـالِ تَزيـدُ المرء عَجْـزاً يَصُـدُّ عَنْـهُ الكَمَالاَ
الذى أفْـعَـمَ الـوروُد جمـالا فجـع السِّـدْرَ حَـوْلَهَا والسِّيَالاَ

* * *

إن عشرين منْ حيـاتِي وعشـراً مَـلأَتنى مَـرَارةً واختِبَـالاَ
أرحـمُ القبـح ليس يرحمه الناس ، وأبكى ، إذا اسـتتمَّ ، الجَمَالاَ
ما سُـرُورى ! وكُـوبِيَ البَـهِـجُ الصدَّاحُ خيبتُ ومضَـه إذ تَـلاَلاَ
وشَـذَاهُ الحَفِيُّ جَـازَ بأَخْـــلاَمِى قِفَـاراً وأَضْلُعـى أطْـلاَلاَ
وجبينى وَسَّـدْتُه بينَ كَفَّـيَّ ومَـا تَسْنِدَانِه حـينَ مَـالاَ
يـرْمُـقُ الأرضَ وَهْى تُجْفِـلُ مِنْـهُ ، أُيزيدُ الكـلالُ مِنْـهَا كَلاَلاَ
أينَ ألقيـه رَحْمَتَـا لِـوِ سَـادِى عِطْفُـه اختَـلَّ مِنْ أسَاى اختِلاَلاَ
رَقَّ لى دائمَ السُّـهَادِ ونَاجَـانى فأَعْـدَيتُـه فَـرَثَّ وَحَـالاَ
آهـتى مَزَّقَتْ حَـواشِيَه الخُضْـرَ وعَفَّتْـهُ مايُطيقُ احْـتِمَالاَ

* ● *

كم صباحٍ صحبتـه فى مَـدى الغيبِ تَـرَدَّىَ ومـا أرحتُ الرِّحَـالاَ
حَـثَّنِى وانْتَـأى فأدركنى الليـلُ وحيـداً وشَـدَّ حَـوْلِى عِقَـالاَ

وانبرى الشجو من أضالعي السود كما تقذف الجحور الصلالا
هل نجا ذلك الصباح فأغرى ، أخرا غيره فهبت رعالا
واستفاضت يكاد يجرف لماجاش مرارها الربا والقلالا
كل شمس كعنكبوت على هوة ليل نسيجها يتتالى
ليت شعرى فمن لروحى بخيط ، إن عمرى الشقى أضحى نسالا
الغيوم المشيعات نعوش ، والنخيل المشمرات ثكالى
يتلوين فى مآتم أيام تهاوين فى الغروب عجالا
فى شحوب المغيب ينظرن للشمس ويهوين فى الضياء انتقالا
وقفات الوداع ثمت أبكتها وهاجت بها الشجا والهزالا
كعذارى التمسن نعشا على الأفق تهاوى مع الدموع ومالا
وتطلعن يستجرن بخيط ، من شعاع طوى الفضاء وزالا
وتلفتن للرياض وودعن ورودا حبيبة وظلالا
ونفضن الثمار فى فجعة الليل وألقينها وهن حبالى
زور الليل من عصائبها الخضر هباء على النسائم جالا
البساتين معبد الشمس والنخل عماد من شيده حين دالا
دكه الليل بالهدوء ، لقد هب دخانا يذيب فيه الجبالا
تعب هذه الحياة وكم تسعى ، أنور الشموس ضل ضلالا
نزلت فى خرائب الليل والصبح دليل يدير فيها الوبالا
غصة الليل صرعة الأبد المسجون ينسى بها الخطوب الثقالا

أتراني أعيشُ كي أشهدَ الظلمةَ خَسْفاً على الوجُودِ سِجالاَ
والدُّجى ، كُلَّما تَحطَّمَتِ الشمسُ ، على فَجْعَةِ الحياةِ سِدَالاَ
واحمرارُ الصَّبَاحِ نَارُ جِرَاحٍ أبديٌّ على الأداهِرِ سَالا
كلُّ صبحٍ كُكلِّ ليلٍ أسيرٌ ، لايُبَالى إذا يعيشُ النَّكالا
كُلُّ آنٍ بِشَهْوَةٍ فكأنَّ الغَيْبَ ما أورثَ الدُّهُورَ اختِلالاَ

* * *

لهفَ نفسى على البسَاتين مَنْ يُذهب عَنْهَا سكونَها والمَلالاَ
ساكناتٌ كأنها صُوَرُ المَاءِ يسيل الدُّجَى بِهِنَّ خِلالاَ
كالعذَارى يَمُتْنَ عِشْقًا وهَيهات هواهنَّ أنْ يبيتَ مُذَالاَ
لفَّ أشباحَها الظلامُ وغَشَّاها فلاحتْ على مَداهُ خيالاَ
مَسَخَ الليلُ كلَّ رَوْضٍ ظَلاماً ، أتراهُ مَعَ الدياجِرِ سَالاَ
وبها تَشرقُ النجومُ على الخوفِ تُنَادى ، وما يُجيبُ الجِلالاَ
خِنْجَرٌ فى يدٍ يُحجِّبُها الليلُ وتَنْسَلُّ فى حشاهُ انْسِلالاَ

* * *

قَاسَمتْنَا القبورُ نَوراً وقاسَمْنَا حَواشِيَّها العِتَاقَ المآلاَ
ثُمَّ شقَّ الضياءُ غاباً كئيباً ، تتَراءى غُصونُه أسْمَالاَ
يَمَّحِى شَطْرُهُ القَصِىُّ وأدْنَاهُ مُثِيرٌ على الضِّيَاءِ اقتِتَالاَ
ظامئاً عارِياً يُجَاذِبُ أرْيَاحاً كما جَاذَبَ السَّقِيمُ السُّلالاَ
تَتَشَاكى غُصُونُه رُبَّما أسْمَعُ مِنْهَا بُكَاءَهَا والجِدَالاَ
هَمْسُها كلما تحركتِ الريحُ أحالته غُصَّةً وسُعَالاَ

* * *

يَـا فُـؤادى أَصِـــخْ إلى رَحْمَـةِ النَّـوْم دَعَتْنَـــا فما تُطيقُ المِطَالاَ
خَلَعَتْ مـا نَسَـجْتُ حــوْلَ فـؤادى ، من همـومٍ عَشِقْنَ فيه اعْتِلالاَ
مـن شُـجُونٍ شَـبَبْنَ فيـه وخَضَّبْنَ مَشِــيباً فما يُـرِدْنَ ارْتِحَـالاَ
الكَـرى ! أين كـانَ مَـالِى أغفلتُ مَنَـامِى الذى دَعَـا وأَطَـالاَ
إنَّــهُ آخــرُ المطـافِ كَشـطٍّ القَبْرِ أَنْسىَ بـه الهُـدَى والضَّــلالاَ
وحـــوانِى فنمْ فُـؤادِى وَخَـلِّ النجـــمَ سـهرانَ كم يَثُـورُ انْفِعَالا
بـاتَ يـرنُـو وراءَ غَيْبٍ مـن الليـــل فهـل راءَ فى مَـدَاهُ المحَـالا
مثـل عَـينِ السـقيمِ جـاذَبَهـا النَّـزْعُ كَطَـيْرٍ لَـدى الحَبائلِ جَالاَ

* * *

تِلْكَ أُســطورةُ الحَيـاةِ بـوجْـهٍ فى غُيُـوب وآخـرٍ يَتَوَالَى
كُلُّ أَلـوانه خِـدَاعٌ ، كَذاكَ النفسُ كالـغيبِ كَـمْ تصـوغُ المُحَالا

إمرأة العزيز

فريق فنقر – ١٩٤٣



أَوتسألينَ ! وقَدْ لعبتِ بِه (شَعْبِيٌّ) بَعْدِيَ ما الَّذِي صَنَعَا
أَذَكرْتِ يومَ لَقيتِه عَرَضا وفؤادُه ما كان مُمْتَنِعَا
وارْحمتَاهُ لقلبه ولِهاً يَشْكو إلى أَترابِه وَلَعَا

* * *

أذكرتِه ! والليلُ مُنْسَدِلٌ والخمْرُ تسهرُ فى الدُّجى الغَافِى
كشَرَارةٍ تَغْتَامُها ظُلَمٌ وَسَنَى الرَّمَادِ بنُورِهَا الدَّافِى

والكوبُ أَرسلَ من شُعَاعته همْسًا ألم بِنِهَدِكِ الجَافِي
أَرْسَى عَلى ذَهَبٍ فلوَّنَهُ تُفَّاحَةً لَمَعتْ بأَفْوَافِ

* * *

نَهْدٌ يمازجُ ظِلَّهُ أَلَقٌ فى سُمْرَةٍ كالفجرِ نَعْسَانَا
وعلى خدودِك بَهْجَةٌ وهَوَى ضحكتْ به عَيْنَاكِ عُرْيَانَا
والكرمُ أنوارٌ مُشَعْشَعَةٌ فِي نَاظِرَيْكِ تَرِفُّ أَلْوَانَا
ما بالُ ثَغْرِكِ رَفَّ مُنْفَرِجًا أيقبِّلُ الأَطيافَ وَلْهَانَا
كالزَّهرةِ البيضاءِ باحَ بِها كِمٌّ سَقاها الطَلُّ رَيَّانَا

* * *

والعودُ سَلسَلَ نَشْوةً وأسى كمرتل فى الدَّيْرِ مَحْزُونِ
أَسمعتُه وحدى على شَجَنٍ تَشْكُو به آهاتُ مَغْبُونِ
ويَرِنُّ أَسرَع لَحْنُه مَرِحا فى صَدْره أَفراحُ مجْنُونِ
وتَقَطَّعَتْ أنفاسُه رَهَقًا وسَجَا فأَطلق كُلَّ مكْنُونِ

* * *

حَتَّى إذا خمدت ستائرُنَا سُكْرًا وأغفى كلُّ سَكْرَانِ
طَفَرَتْ دُمُوعِىَ لا أُميِّزُهَا ولَمَسْتُهَا فوجدتُ أَحزَانِي
عَتَبَتْ عَلَىَّ وبتُّ أَسْمَعُهَا تَبْكِي عَلى غدْرِى ونِسْيَانِي
الدَّمْعُ يشفينى كعَاتِقَةٍ حمراءَ مثل مدامعى ودَمِي
والعيش يُبكينى ويضحكنى كالخمرِ بَيْنَ الشوقِ والنَّدَمِ
من أَلمَ الخمَّارَ نعمتَهَا مخبوءَةً للنفس مِنْ قِدَمِ

* * *

وغَمَا الصِّحَابُ ولَم أنم تَعباً مَنْ سَكْرَةٍ وأسى يناجينى
ووجدتُ سَمْعِي بَعْدَ غملته يُصْغِي إلى صوت ينادينى
صوتٌ وراءَ النَّفْسِ مُنتَحِبٌ مُتَقَطِّعٌ فى صَدْرِ مَغْبُونِ
وأضاءتْ عينى بعدَ ظُلمَتِها أرْنُو إليها وَهْيَ تَدْعُونِي

* * *

وتلوحُ فَهْيَ كَوَرْدَةٍ فَتَقَتْ أكْمَامُهَا فِي النُّورِ تَحْتَدِمْ
وجَهِلْتُهَا وحَسِبْتُهَا وهَمَتْ بِيَ كم عَلِمْتُ فشاقنى الوَهَمُ
أفتاكِ نَامَ على مَوَاعِدِهِ أتراه أصْدَقَ وَعْدهُ حُلُمْ
هو ذَاكَ لَسْتُ أنا وقد جَمَدَت أنفاسُه فكأنَّهُ عَدَمُ
ياوَيْحَهُ ألأجلِ سَكْرته يَنْسَاكِ وَهْو مُتَيَّمٌ لَحِمُ

* * *

ما بالها أرخَتْ محَاسِرَهَا ورنَتْ إليَّ وحُسْنُها غَرِدُ
أأتى الربيعُ بغير موعدِه وَرُوَاؤُهَا مِنْ مَائه يَرِدُ
وتجَرَّدَتْ فكأنها ثَمَرٌ فى نضجه الفوَّار يَتَّقِدُ

* * *

أوأنتَ كنتَ هنا ! ومن عَجَبٍ أنى أشحتُ وملتُ أضطَجِعُ
لكنَّمَا خَفَقَتْ تُعَاجلنى من كأسها مُتَألِّقاً جُرَعُ
وأفقتُ أبصرها وأعرفها وبِهَا وبِى مِنْ شهوة فَزَعُ

* * *

أوتذكرينَ وقد لعبتِ به حَتَّى أساغَ لحبك البِدَعا
قد عاد للمحرابِ منكسرا يُخفى الجراحَ ويُظهرُ الورعا

هـل تسـأَلين وأَنت سـاليةٌ (شعْبِيٌّ) بَعْـدِىَ مـا الذى صَنَعا

لا تسـأَليني عـن مَصَـائرِهِ بَعْـدَ القَطيعـةِ واسـأَلى الوَدَعَا

أَجْـرَى بِغُصْنِكِ من شـبيبتِـه مـا لَيْسَ يَمْنُحـه فَـتَى الحُلُم

فـدعـيه فى محـرابه أَسـفا ليذوقَ فيـه حـلاوةَ النَّـدَم

الحـورُ تُحْسِـنُ ظنهـا بفتى متأَثِّمٍ كَحَمـامَـةِ الحَـرَم

* * *

قيثـارُك المتـافُ مـا بَرِحَتْ أَوتـارُه تَتَـذَوَّقُ الفَـرَحَـا

نَادِى فتـاكِ ومـا اكتفيتِ به لا تقنعـينَ بواحـدٍ مَنَحَـا

إنى لأَعـذُرُ وَرْدَةً عَـرِيتْ يُغْـرِى الفـراشَ رحيقُهَا نَضَحَا

فَضَـحَ النسـيمُ غَـرامَها وسرى مُتَحَمِّـلاً بالعِطْـر مُفْتَضِحَـا



القَوْقَعَةُ الفَارِغَة

الخرطـوم ٢٦ر١٢ر١٩٥٩



وقفتُ على سِيفِ البحـرِ الأَحمـرْ
المـوجُ أزرق ، المـوجِ أَخْضـرْ
المـوجُ أَصفـر .. المـوج أَغـبر
عيـنى هنـاك فى الأُفـق
المـوجُ هنـاكَ جـامِـدْ
المـوجُ حائطٌ مهَـدَّم فى صَحْـراءْ
أَحـاطت به أَمـواجُ الرمـال وَجمدْت عَلَيْـه

ودارَ رأسِي . ، الموجُ الموجُ الموْج

* * *

وَرَجَعتْ بي عَيْنِي

وألقت تحت قَدَمَيَّ قوْقَعةً فارغه

لقد كانت فى أعماقِ هذا البحرِ المائج

ومن حركته فى الأعماق اتخذتْ شَكْلَها

واتخذت حياتها ثم دَبَّتْ تجرى على السِّيفْ

ثم فقدتْ حركتها وبقى الأطارْ

عينى هناك فى الأُفق

الموجُ هناكَ جَامِدْ

الموجُ حائطٌ مهدَّمٌ فى صحراء

أحاطت به أمواجُ الرمال وجمدت عليه

أنا ساكن وفى سكونى خُوَاءُ مُتْعَبْ

وذكرى غامضه

* * *

حَياتى مليئَةٌ بالقَواقِع الفَارِغَة

وبالأمس القريب دفنتُ قَوْقَعةً فارغه

لقد اتخذت شكلَها وحياتَها من حَيَاتِي

هى الآن ساكنةٌ تحت التراب

هناك فى القبور الممتدةِ عبرَ الأُفق

مـوجُ البحـر جامـدٌ على الأُفـق البعيـدْ
أنا قوقعـةٌ فارغـهْ
وقـبرى هنـاك

* * *

بلادِى لاتـدرك ما يدركُـه الشـعراءُ
فى زحمـة الحيـاة رأيتُ قوقعـةً فارغـه
يخـرجُ من جوفها الخَاوِى كـلامٌ غـيرُ مفهـوم
النـاسُ أمـواج
خشـعوا حـولها يعجبـونَ ولايُـبْصِـرون

* * *

حتى الشـعر ، كان الشعرُ خمرا ، أَصبحَ لايشفى
تذكـرتُ شـاعرا عربيا تنبـأُ
سـأَل نفسَـه وقَـدَّ الأَلـمُ حسـه
إذا طلبتُ كميت اللـون صافيـة
وجـدتُهـا وحبيبُ النفسِ مفقـودُ
أَصخـرةٌ أنَـا
وهـل أَبصـر أعمى المعـره

الحُـــزن

الدامـــــر – ٢٥ر٧ر٥٠

مـــا لمتُ نفسي على الأحزان مُغْتَرِباً ... ولمتُ نفسي تَشْكُو بين أحبَابِـــي
حُـــزْنٌ جهلتُ معـــانيه وجَّهلني ... مفـــاتن العيش مِنْ رَوْح وأَطْيـــاب
أطيل نومي وفي أحلامه ســهَـــرٌ ... كَيقَظَـــةٍ بَعثتْ خوْفي وأَوْصابِي
كأنما الحزنُ أمٌّ ليس ترْحمُـــني ... وليس تُعتِـــقُ كالأطفالِ آرابي
أكان بالأمس لي قلبٌ فرحتُ بـــه ... ما بالُـــه الآن لايهفو لَتَلْعُـــــاب
أنا الوحيـــد أنا المخذولُ في وطـــن ... بادي المهـــانةِ واهي العزم هيَّـــاب
أيصبر المـــوت ، لاأدرى بمقـــدمه ، ... حتى أودعَ أحـــلامي وأتـــرابي

رَجعة

وكنتُ إذا همومىَ غالبتنى فزعتُ من الهموم إلى الصلاةِ
نَضَوْتُ لها الذنوب وجئتُ أسعى إليها بالدموع مُشَفَّعَاتِ
وكم ذَنْبٍ يُخادعنى شَذَاهُ صحبتُ له الندامةَ فى حَيَاتِى

جَـبَّانَةُ الدَّامَرَ

الدامر ٢٤ر٢ر٩٥٢



مَضاجعَ آبائى عليكِ سلامُ ... مُليمٌ .. ومِثْلِى إنْ جفاكِ يُلامُ
أعودُ وفى قلبى فُلولٌ ، وفى يدى ... غُلولٌ ، وفى طرفى الحزين قَتَامُ
لقد عِشْتُ لكننى أرى العيش مِيتَةً ... هَلِ الموتُ إلاَّ حُرْقَةٌ وأُوامُ
وقد جاوزتْ بى الرُّوحُ عِشرين حِجَّةً ... وعَشْراً ولَمْ يُشْرِقْ علىَّ سلامُ
وكم وَقْعَةٍ فى النفسِ قلبى لواؤُها ... وجِسْمِىَ فيها - لايثوبُ - حُطامُ
وكم خَلَبَتْنِى لذَّةٌ لو عصيتُها ... سَلِمْتُ ولكنَّ الذنوبَ مُدامُ
تقلَّبْتُ فى دنياى سُقْماً وصحة ... لَزيمانِ كَمْ ساءَا فَشَقَّ لِزَامُ
حياةٌ لها فى سكرةِ العُمْرِ شهوةٌ ... كما هاجَ فى الشَّوكِ اليبيسِ ضِرامُ
أخوضُ إليها الشوق والشوقُ ضيعةٌ ... وأُضْنِمِى عليها السَّعْى وهوْ حِمَامُ

أَضعتُ شبابى فى التمنى أصبتهُ أعاليلَ ما يَصْحُو لَهُنَّ منَامْ
وأيقظتُ كُوبى ثم أنكرتُ لَذْعَهُ ومِنْهُ بأضلاعِى الظِّماءِ سِهَامُ

* * *

صَحِبتُ المنَايَا فى جُدُودِى كثيرةً وَآفاقُ نفسى مِلؤهُنَّ رِجامُ
وآمنْتُ بعد العجزِ بالموتِ ظِلُّه يطيبُ ذهولٌ عندَهُ وهُيَامُ

* * *

مراقدَ آبائى عليكِ سلامُ وهل مسعدى إلا عليك سلامُ
قبورٌ حواها الصُّبْحُ كالليلِ مُقْمِراً يُضيئُ به مِمَّا وهبْن غَمَامُ
وَشَفَّتْ وراءَ الموتِ فالقومُ شُهَّدٌ لَهُمْ فِي رِحابِ الخالدينَ وَسَامُ
شفتْنِي مِن الأَدْواء فالدَّمْعُ أَنْجُمٌ وقَلْبِى بَدْرٌ فى الرجاءِ تَمَامُ
أُمَسِّحُ وجهى فى ثراها وإنَّها لِكُلِّ حريبٍ أَمْنَةٌ وذِمامُ

* * *

أبى أَيُّها المَجْذُوبُ غَوْثاً ونجْدَةً فقَدْ مَضنَّنى همٌّ وطَال سَقامُ
وما صُمْتُ عن شرِّ الحياةِ ولذَّنى على الخوفِ مِنْ شَرِّ الذنُوبِ أَثَامُ
أَلومُ فُؤادى مُسْتطَارا وإنَّهُ فُؤادِىَ لمْ يصْدُقْ لديه ملَامُ
وموْعِدُنا الأُخرى فكونوا شَفاعَةً إذا سدَّ حَوْضَ الهَاشِمِيِّ زِحَامُ
وإنِّى – وما كُلِّفْتُ – قدْ كَان عَابِداً صِباى هواهُ خَشْيَةٌ وصِيَامُ
فأنْ طال عُمْرِى تُبْتُ يارَبُّ نَادِماً ونَضَّر شَيْبِى لِلصلاةِ قِيَامُ
ولَيْسَ لدَىُّ الآنَ عُذْرٌ وإنَّما فُؤادِىَ طِفْلٌ والمشِيبُ فِطامُ

لَيْلَة

الخرطوم ١٩٥٩



أُشَاهِدُ نَفسِيَ فى ظُلْمَةٍ
بها شمعةٌ سَاهِرَهْ
تُحركُ هذا الجَسَدْ
تُحَرِّكُ ساكنَ أَنْغَامِه
وداثرَ أَحلامه
حنينٌ سحيقٌ إلى رحمةٍ
ودمعٌ وحيدٌ خَمَدْ
تجوسُ به الشمعةُ الساهِرَه
تَلَفتٌ بينَ رحاب الأَبَدْ



أُحدِّقُ فى الشمْعَةِ
تُحدِّثنى عن أَسَاىَ الكَنِينْ
بِرمْزٍ يُثيرُ الحَنِينْ
ولكنهُ لا يُبِينْ

نُورٌ على نُور

وزهــور نقيــة عن صــفاء البــدر شَفَّتْ وأشرقت ألْفَ بَدْرِ

صدَحَ النُّورُ فى كمائمها الخضراءِ وانساقَ بَيْنَ طَلٍّ وعِطْـرِ

نهَلت أعيــنى سناهُ وَرقَّتْ ؛ أَضلعى وهْــىَ مــن شقاءٍ وعُسْر

بُخْتُ فى نُورها بسرِّى وقد كانَ ظلامُ الهموم يغلقُ صَدْرِى

العَـوْدة

بورتسودان ١٢ر٢ر١٩٥٣



طربتُ ، ولم يرجع شبابى ، وإنمـا   لقَيتُ على رَغْمِ الحتوفِ بلادِى
وخاصمتُ يأساً كنتُ آثرْتُ نصحَه   وَراءَ ظـلام خاشـع ونَفَـادِ

* * *

تعزلتُ حتى قلتُ لم يبقَ آنِسٌ   ونَـارِىَ تَهْذِى فى سُـلوٍّ رَمَـادِ
وينبـئنى سمْعِى بخَطْوٍ مُـرَدَّدٍ   مَـعَ الليل يَمْشِى صارخا ويُنَادِى
هو الموتُ فاسْتَجْمَعْتُ أَطوى جوانحى   عَلَى فَزْعَةٍ فيها يَذُوبُ فُؤَادِى

* * *

بدا الفجرُ فاخضلَّتْ عيُونٌ مشوقةٌ   إليه كأكمـامِ الوُرُودِ صوَادِ
فمنْ عـاذِرٌ قَلبِى إذا جـاءَ خَابِياً   وعَيْـنِى تُغْضِى من أَسىً وسُهادِ
لَقَـدْ كان قلبا من دُموع وحـيرة   على مَوْطن مـاقـرَّ فيـه وسـادى
قضيتُ به عُمْـراً كئيبا حملْتُـه   كَسِيزِيفَ ألقى للخطوبِ قِيَـادِى

* * *

كفى الدهرَ عتْباً آيةُ السيفِ يَهْتَدِى   بها الكفرُ لم يَرْحَمْ نصيحةَ هـادِ
لدى الهـرمِ السالى أَفاقتْ وأُلقيت   إلى قبضة مـن غَيْرَةٍ وجِـلادِ
يَصُول بها حُـرٌّ ويلقـى بَحَـدِّهَا   رؤوسَ ملُـوكٍ تُوِّجُـوا بَفَـسادِ

عَشَــاء

بورتسودان مساء ١٩ أغسطس ١٩٥٢



هــاتِ فُولاً بالزَّيْتِ فى أول الليــ ــل وأَذْهِبْ بــه الشَّجَا عن لَهاتِى
أفعــمَ الصدْرَ أَمْنــةً والخيَاشِيــ ــمَ وَضَاءَتْ بزيْتِــه أُمْسَــيَاتِــى
لَمَعَتْ كُلُّ قطْرَةٍ مثلما تَلْــ ــمَــعُ فى البدرِ ذَرَّةٌ بالفَــــلاةِ
أَو عيــونٌ بَرقْنَ فى غَمْرة الدمــــ ــع وأَغْضَيْــنَ فى الأَســى والسُباتِ



هاته والرغيفَ والكوزَ والقلــ ــةَ أشهى لأَعيــنى من مَهــاةِ
قلَّــةٌ جيــدُها صَقيل وتُعْبِيــ ــه بِرِدْفٍ مُدَمْلَجٍ كالصَّفَــاةِ

بَعَثَتْ في يـدى نَداها ومَالَتْ بَفَـمٍ باردِ النِّطَافِ مُـوَّاتِ
من جَـوَارى هارون فى مُلْكِه السَّمْـ ـح إلى كُلِّ شَـاعِرٍ مُشْـرِفَاتِ

* * *

أم عشائى مَلِلْتُـه فتشـوَّفْـ ـتُ إلى غـيره من المُعْجِـزاتِ
من كَبَـابٍ يـرِفُّ كالمُهَجَ الحـ ـرَّى يُصيبُ الأَكُـفَّ بالرَجَفَاتِ
زَبَـدٌ فى فَمى يذوبُ ونَفْسِـى ذهَبَتْ فى عَبيـرِهِ حَسَـراتِ
والأَعاليـلُ خادعاتٌ وأحشـا ئى أَنْكَـرْنَ خِدْعَتى وافْتِئَـاتى
من خيَـالٍ بـه غضيرُ الفَـرارِ يجِ ولَـذعُ الكَوامِخِ المُذْهِـلَاتِ

* * *

هـاتِ فُـولاً نُفاحُـه يَغْمُرُ النَّفْـ ـسَ ويُرْسِى بقِـدْرِه فى حَيَاتِى
هـاته يمـلأُ الضلوعَ ويسْتَمْـ ـرِىءُ جسمى شبابَه والهِبَـاتِ
نَفَـجَ الماءُ حَبَّـه كنُهُـودٍ أو خُـدودٍ نديَّـةٍ مُشْـرِقَـات
حبـةُ الفُـولِ يَغْمُـرالنيلُ جنَبيْـ ـهَا بنُعْمَى ضِفـافِه المُثْمِـرَاتِ
واحْبُنى- إنْ سَخَوْتَ- بالبَصَلِ الطَيِّـ ـبِ يُجْـرِى مَدامِعِى مِـنْ مـوَاتِ
عِنْـدَ مَقْهـىَ مُزَيَّنٍ بالمصابيـ ـح تُعَامَيْن عَنْ دُجَـى الشُّبُهَاتِ
فى خَليطٍ منَ العِبَادِ فمِنْ كَا سٍ مُـدِلٌّ وآخـرين عُـرَاةِ
ذهِلـوُا والحياةُ فى رَجْفَةِ الأَنـ ـجُـم تَدْعُوهُـم بغير التِفَـاتِ
جلس القَـدْرُ بيننـا كَسَـرِىٌّ عَـرَبِىٌّ فى سَـامِرٍ وحُـدَاةِ
أو إلـهٍ فى معبـد مـا تَغَشَّـا هُ جَـلالُ الخُشُوعِ والسُّبْحَاتِ
بطنُـه مـائلٌ بـه وقَفَـاهُ لاَ مِـعٌ كالأَثـيم فى الخَلَوَاتِ

بَــذ كانونُــه العــروشَ وَزَالَتْ وهــو ثَــرٌّ الوُفُــودِ والنَفَحَــاتِ
وَحَــوَالَيْهِ قَــومُــه منَ صنَــاعٍ يصطفيــه وحــانمين ســُعَاةِ
والغــلامُ الحفــىُّ نــادَ فَــوقًــا دُ ومــا مَــلَّ مِــنْ هَلُــمَّ وهَــات
وأتتنــا الصحــافُ مستبقاتٍ فانْحَنَيْــنَا كأنَّنَــا فى صَــلَاة
كلُّنَــا صامتٌ يُشــيرُ وضجَّتْ أذنــى من تَطاحُــنِ الرَّغَبَــات
طبــقٌ أحتــويــه مُنْصَرِفَ الذِّهْــ ـــنِ إليــه كأنَّ فيــه نَجَاتِــى

* * *

ربِّ إنِّــى قَنِعْتُ بالفُولِ فارْحمـ ـهُ لَقَــدْ خَالَــطَ الهَوَى فِىرُفَاتِى
كان خصــمَ النــبىِّ موسى أما أرْ جعَ قَــوْمَ الكَلِــيم بَعْــدَ انفِــلَاتِ

* * *

مُشْــبِعى أيُّما أكلتُ وإنْ كَا نَ طَعَــاماً مُهَيَّــأً مــن صِفَــاتِ
قُتِــلَ الخَازِنُ الطعَامَ ولَوْ أدْ رَكَ أَغْنَتــهُ لُقْمَــةٌ من فُتَــاتِ

* * *

كُلُّ حُبِّــى لزهــرةٍ بينَ أوْرا دِ شُــجُونِ وأغْصُنٍ عَــاطِــرَاتِ
رَشَــفَتْ قطْــرَةً وضاء بها الطُّهْــ رُ ولم يَشْــقَ عَيْشُــها باللَّــذَاةِ
كفَتَــاةٍ فى ظُلْمَةِ الدَّيرِ تَقْنَتــا تُ بذكــرِ المسيح فى الخَلَوَات
رَبِّ نُعْمَاكَ فى عيُونِىَ أَضْــوا ءُ وهَبْــن الفُــؤادَ ســرَّ الحَيَاة

ماسحُ الأحــذية

الخرطوم ١٩٦٥



كنتُ وحــدى جالساً فى قَهْوَةٍ
وحــوالىَّ ذُبُــابٌ لا يَطِـــــيرْ

طَمَســتْ لونَ حِــذائى غَبْــرَةٌ
هِــىَ ســغْــىٌ وسُــؤَالٌ عن مَصِيرْ

جاءَنى يُعْطِــى حِــذائى لَــوْنَــه
فجــلاهُ صَافِيــاً مِثْــلَ الغــدِير

وتــرابُ عينُـــه مـــاجَ بهـــا
كلُّ خَــطْوٍ فى مَــدى الدرْبِ يَدُورْ



هــذه قِصتُــه فاســـــتمعــوا
أيهــا النــاسُ لأنسان صغــيرْ

لــم تُجــاوِزْ سِــنُّــهُ العشر وفى
جانِبيْـــهِ أثَــرُ المهــد الغَــرِيرْ

وطــوى صنــدوقَــه فى ســاعِــدٍ
لَيِّنٍ فى عَاصفِ العيش المَــرِيــرْ

أنا وحدى لَــمْ يُحــرِّكْ خاطــرى
قَمــرٌ جَــاوَزَ أطبــاقَ الأَثــيرْ

بائعةُ الفول

١٩٦٠



فى كلِّ حَبَّـــةٍ
مَقْلِيَّـــةٍ مُمَلَّـــحَـــهْ
رجِيَّـــةٌ مُجَنَّحَـــهْ
أَعينُهـــا تَشَـــوُّفُ انتصارْ

* * *

ورَبَّـــةُ الفُـــولِ على الطَّـــرِيقْ
سَـــوَادُهـــا فى عُمْقِـــه بَـــرِيقْ
والعـــرقُ الغَزِيرْ فى نُعُـــومةِ السَّـــوَادْ
رَوَّقَـــهُ النَّهَـــارْ

فى جَـرَّةٍ مِنْ شَهْـوَةٍ تَفُـورُ فى الخَفَـاءْ

تَفْضحُـها انفـراجَـةُ الشِّـفاهْ

ولؤلُـوءُ فى ظِلِّهـا بَلِيـلْ

* * *

والثَّـوْبُ لَـفَّ رِدْفَهـا الثَّقِيـلْ

وذابَ عنـد خَصْـرِهَـا النَّحِيـلْ

والحَلْمتـانِ حَبَّـتَـانْ

مَقْلِيَّـتَـانْ

والسَّـاعِـدَانِ يَعْمـلانِ يَعْمَـلاَنْ

يَلْتَقِيـانِ فَـوْقَ زوْرَقٍ صَغِيـرْ

يَعْلَـمُ عن أنبـائىَ الكَثِيـرْ

* * *

البحـرُ مـالح أُجَـاجْ

تَسْـبَحُ فى أمـواجـه الفِجَـاجْ

لِتَـلْمـسَ الحَجَـرْ

وذَلـكَ الحليقْ أزمـعَ السَّـفَـرْ

المطَرُ

ام درمـــان – اغسطس ١٩٥٦



الدُّجى فى العواصفِ السُّودِ يهتزُّ وبابى يئـــنُّ مثـــل الجريحِ
وبكَفىَّ جمرةٌ من سُلافِ الخمـــرِ تَرْنُو إلى غَيابةِ روحى
حيثُ شَيْخٌ من المقاديرِ هِمٌّ يَنْحنى فوق جَمَّة من جُروحى

* * *

وأنا البائس الوحيـــدُ ولى قلبٌ حفىٌّ بكل شَيْءٍ جميـــلِ
أَعينى ترمق الجمـــالَ على القـــرب وضيئا يلوحُ كالمستحيلِ
رُبَّ وجـــه مُنَضَّرٍ أشعلَ الشـــهوةَ ما فيه من رُوَاءٍ نبيـــل

غير أن الجمالَ والصدقَ والفنَّ عبيدٌ لكل وغد أكولِ
عاصفٌ ليس يرحم الوردَ أو يسمعُ نجواهُ في النسيم العليل
إنَّ أشقى العبادِ من عبد الخلاق بالشعرِ صارخاً بالغليل
نفسي الوردُ بين زَهْورٍ رَوِيٍّ وشحوب من الأسى والذبول

* * *

جزتُ والليلَ نائماً جامعاً يسهر من خشية الإله العظيم
لم يبت فيه غيرُ أعمى وحيدٍ أو شريد او سائلٍ أو سقيم
لا يبالون بالقذارةِ والسُّقْمِ ولا يَخْفِلُون ريحَ الهموم
كل شَيْئٍ يهون مادامت الأَنفاسُ هبَّت على رجاءٍ عقيم

* * *

قلتُ أسرى فاقتلُ الهمَّ في صدرىَ قَتْلاً بكلِّ خمرٍ زُعَاقِ
بين خوفٍ من العواقبِ سوداءَ وشوقٍ إلى هباتِ العناقِ
وَحَدانِي لذائذٌ ملأت جِسْمِيَ دِفْئاً وأرهفَتْ مِن مَذاقي
وانْبرت أَرجُلي تَحُثُّ بأَحلامِي وعقلي مُجَمَّدٌ في وثاقِ
خَافِضاً جبهتي وأُبصرُ أشباحاً سِراعا تَخَالَفتْ في زُقَاقِ
كسفينٍ لدى ضَبَابٍ وقد يُبْصِرنَ ضَوْءاً يضيعُ بين المآقِي

* * *

ووهى الليلُ فهو في المطَرِ السكَّابِ ثرُّ الخُرُوقِ كالغِرْبَالِ
وأنا أذرعُ الأَزقَّةَ سَهْوانَ وخطْوِي يخوضُ في الأوحالِ
لا أرى إنما ترى شهوتي العمياءُ خِدْراً مُنَوَّراً في خيالِي

حيثُ (رَقّاشُ) في سُتورٍ مِنَ المُخْمَلِ سكرى من الأسى والجمالِ
بين دِفْءٍ من انتظار وخمر وهدوءٍ من نشوة وانفعَالِ

* * *

فوقنا صورةُ الصليب وفي غفرانه المُركَّمْ تَسوغُ الذُّنوبُ
رُبَّ عطر هناك من نفس المحروم يزكو وفيه رُوحٌ كئيبُ
وبقايا من الكؤوس كدمعٍ في جفون تذوبُ فيها القلوبُ
يلتقي الضوءُ والظلال على الخمر فيسجُو على الكؤوسِ الغروبُ
فيمَ يا هذه بَسَمْتِ ومامِنِّي غَنِيٌّ وليسَ مني حَبيبُ
إنما وجهُك المُحيَّرُ مرآةٌ لِنَفْسِيْ ينوحُ فيها غَريبُ

* * *

لا أُبالي بما يكون فلي شُغلٌ بجسم يَغُوصُ حينا ويَطْفُو
وذِراعَيْنِ حول عُنقي تَشُدّ انِ فأصحو على ذُهول وأغْفُو
وفمٍ في فمي يلِجُّ رضيعاً لَيْسَ يَدْرِي بأَيِّ ثَدْيٍ يَرِفُّ

* * *

إنَّما جنةُ الفقيرِ عذابُ الجِسْمِ يسعى ويشتهي غَيْرَ حَيٍّ
قُوتُه الجوعُ والخنوعُ فان يَسْلُ فقد ضلَّ في سنى القبْرُصِيِّ
ومضةٌ رهنُ ظلمةٍ فهْي كالبرق به العينُ لاترى أيَّ شيٍّ

* * *

لم أجد رُقعة لأكتبَ هذا الشعرَ في بيت خُلَّةٍ حَبَشِيَّهْ
وتلفتُّ نازعا ورقَ الحانوتِ عن نارَ خمرة أعجميَّهْ

وتجمعتْ في يــدي قلــمٌ يجــري ويصغي إلى رُؤَايَ الخفيـــهْ
أشــتهي راحـــةَ الخــلاص وقــد أهتفُ صُـــبِّي لنــا الشرى يابُنَيـــهْ

* * *

وســكرنا ولــم يعــد بــي شــوقٌ أرتجيـــه ولا انتظــارٌ حــزيـــنُ
وانفجــرنا وفي القلــوب فــراغٌ ليس يرجـــو وفي المســاء سكونُ
والكــرى يلمسُ العيـــونَ فترتــدُّ عليهـــا ، ومـــا تحسُّـــس ، الجفــونُ
والمخَــدَّات والمُـــلاءاتُ والمِصباحُ ظــنٌ تَحَـــارُ فيــه الظنـــونُ
هُـــوَّةٌ في الزمـــان لا يعــرفُ الصبــحُ مـــداها ولا تُطيف الدجـــونُ
حَيْثُ لا تعصــف الرياحُ ولكـــن يعصــف الخــوفُ والردى والجنونُ



الجِـدار

الخرطوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٩



جَلَسْـتُ بظِـلِّ الضُّحَـى
وظَهْـرِى إلى حَـائـطٍ مِنْ لَبِنْ
عَلَـيْـهِ طِـلاَءٌ خَشِـنْ
من الرَّوْثِ .. خُضْرَتُـه المُعْتِمَـهْ
.. رَمَـادٌ على شَمْسِنَا المُضْـرَمَـهْ

* * *

وحيـداً لـدَى الحِلَّـةِ
أَخُـطُّ علَى الرَّمْلَـةِ

بِمِطْرَقَةٍ مِنْ غَضِيرِ السَّلَمْ
أَساطيرَ مِنْ حَيْرَةِ
تُحدِّثُ نَفْسِي ولاَ تَفْهَمُ
ولا أَفْهَمُ

* * *

وَمِطْرَقَتِي السَّاكِنَهْ
كَما تَخْشَعُ الكَاهِنَهْ
وذاكَ الجِدارُ الخَشِنْ
وَظِلُّ الضُّحَى
وَرَمْزُ الخُطوطِ على الرَّمْلَةِ
ونَفْسِى تَقُولُ ولا تَفْهَمُ
ولا أَفْهَمُ
زَمَانٌ يطوفُ مَطافَ الحُلُمْ
وَرؤُيَا أراها عَلَى يَقْظَتِى

* * *

وعَادَ إلىَّ الفَرَحْ
وفى خَاطرى جدولُ أَخْضَرٌ
عَلَيْهِ ظِلالٌ كَظِلٍّ الضُّحَى
وليسَ هُنَاكَ جِدَارٌ خَشِنْ

* * *

ومِطْـــرَقَـتى مِــنْ غَضِيرِ السَّــلَمْ

لَــدَيْهَـا بَقَــايَـا خَـرِيفْ

لِحَـــاءُ جَـــدِيدٌ بأُطْـوَائـــهِ

غصُـــونٌ وَظِـــلٌ وَريـــفْ

اذا انقض راع بســـكِّينهِ

عليها فمـا زال غـاب السَّــلمْ

يطـــوف عليــه الخريف

ومــازال راعى الغنـــم

* * *

وحــدَّاثـتى لم تــزل فى يــدى

شــذاها المطــير وَبَــرْدُ النــدى

يطـــوف خفــىٌ العبــير

بعيـــد الصدى

جنــاح يــرف وراءَ الغَمـــام

طَـــواه الظَــلام

بعيـــد المـدى

* * *

تذكــرتِ المِطْــرَقَة ،

وفيها بقــايا حيــاه

وفِىَّ بقــايا حيــاه

زمـانا لنـا من زمان الصبـا

مضى وانطـوى فى غيوب الالـه

ولكننـا نعـبرُ

فنبصر عيشا وراء العـدم

* * *

ويمنـاى توحى إلى المطـرقـة

فتلقَف من روحى المغلقـة

أسـاطير مـن ربـة الحيرة

بـلا كاهـنِ

يطـل على غيـبىَ الكامـنِ

ليقرأ نفسى كالمومياء عليها نقوش ولا تعلـم

ولا أعلـم

* * *

ومـرت بنـا نعجـةٌ

عجـوزٌ بأسـمالها

تصيـح بأطفالهـا

تَمِـيلُ لِظِـلِّ الضحى

وتـرقـدُ تحت الجـدارِ

تشَـم الطـلاء الخشن

وما حفلت بالزمانِ

تُحرك شدقين لا يفترانِ

وأعينها أكؤسٌ فارغاتْ

فهل مضغت ذِكرياتْ

وراق لديها الفرارْ

* * *

وأحرق ظلَّ الضحى

شواظُ النهارْ

وحدَّاثتي رقدت من تعَبْ

ونامت على الرملةِ

وقمت الى خلوةٍ معتمة

لأنظر من كُوَّةٍ

لضوء النهارْ

تسلَّق ذاك الجدارْ

مُوسيقى وخَمر

بورتسودان ٣ر٨ر٥٠



وجَرَعْنَا الحبابَ سَقْسَقَ فى الأَفواهِ كالطَّيْرِ فى شِرَاكٍ ينِـــدُّ
ومزجْنا السِّيقانَ بالنغم الجيَّاشِ نَعْدُو على مَدَاهُ ويغْـــدُو
وَعَقَدْنَا الأَكُفَّ كُلُّ بَنَـانٍ ذِمَّــةٌ مِنْ رُؤَى الغَرَام وَوَعْــدُ
والشفوفُ الرِّقَــاقُ يَلمحُ فيها الْحُسْنُ كالطَلِّ فيه يَلْمَحُ وَرْدُ
كالغَمامِ الرقيقِ والقمرُ الوضَّاحُ فى ظِلِّـه يغيــبُ ويبْــدُو
وتَغصُّ اللحـــونُ فهْىَ عِتــابٌ فيــه أَخــذٌ من القلوب وَرَدُّ
مِنْ حنينٍ إذا اسْتفاقَ فللنــايِ صُرَاخٌ يَبَــحُّ منــه وجهْــدُ
لَيْسَ لى فى رحاب وَصْفِكَ إلا حَــيْرةٌ أبكمتْ هوايَ وَوَجْــدُ

العَـودة

الخرطوم – ١٤ر٧ر١٩٥٩



لَزِمْتُ دَارِى وأَطفالى بهم أمنت ... نَفْسِـى الحزينـةُ من هَمٍّ وَبلْبَال
وقـد هجرتُ سرابَ الشِّعْرِ ماوَجَدَتْ ... خُطَـاىَ منه سِـوىَ قَيْـدٍ وأَغْـلالِ
قـد كانَ لى وَطَنٌ بالأمس خَيَّلَـهُ ... وَهْمُ الشـبيبةِ من حُبٍّ وآمَـالِ
وضاعَ حينـا ولكنِّى ظفرتُ بـه ... حُلْـوَ البشائر فى دَارِى وأَطفَالِى
الحمد لله حَمْداً أَسـتعينُ بـه ... على تَقَلُّبِ أَحـداثٍ وأَحْـوَالِ

فهرس